

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الإخوة منتوري - قسنطينة-

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا

رقم التسجيل:

الرقم التسلسلي:

التصورات الاجتماعية للعنف الرمزي من خلال الكتابات الجدارية

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس وعلوم التربية

تخصص علم النفس الاجتماعي

إشراف:

أ. الدكتور: الهاشمي لوكيا

إعداد الطالبة:

عامر نورة

تاريخ المناقشة: 2005-11-23

لجنة المناقشة:

رئيسا	جامعة الإخوة منتوري قسنطينة	أستاذة تعليم عالي	أ.د. رواق عبلة
مشرفا ومقررا	جامعة الإخوة منتوري قسنطينة	أستاذ تعليم عالي	أ.د. لوكيا الهاشمي
عضوا	جامعة الإخوة منتوري قسنطينة	أستاذ تعليم عالي	أ.د. شلبي محمد
عضوا	جامعة الإخوة منتوري قسنطينة	أستاذ محاضر	أ.د. العايب رابح
عضوا	جامعة الإخوة منتوري قسنطينة	أستاذ محاضر	أ. أوقاسي لونيس

السنة الجامعية: 2006-2005

مقدمة:

لقد شهد تاريخ الإنسانية الكثير من الأحداث والتغيرات، واتسم بجملة من الظواهر والآفات التي سجلت بالخط العريض في تاريخ البشرية قاطبة، كونها لازمت مسيرة حياة الشعوب والأمم، وعدلت منها أو حتى غيرتها، ولكننا لسنا بصدد ذكرها للتأسف والتحسر على ما خلفته أو غيرته، بقدر ما نحن بصدد التركيز على واحدة من أهم الظواهر التي كانت ولا زالت موجودة، وإن اختلفت في تواجدها ذاك حسب قوتها وكيونتها، وبحديثنا هذا فإنما نشير إلى ظاهرة لازمت كل ما قدمه الإنسان من إنجازات وتطورات، بل ولا زالت ترافقه إلى حد الآن ألا وهي ظاهرة " العنف " .

إن هذه الأخيرة لم تستثن لا حقبة تاريخية ولا منطقة جغرافية، ولا حتى حضارة معينة أو ثقافة ما، والمفارقة أنه وبالرغم من كل ما حصله الإنسان من تقدم ورقي في شتى الميادين: فكرية، ثقافية، علمية، اجتماعية، سياسية واقتصادية...؛ إلا أنه لم يستطع التخلص منها، حيث تزايدت لدرجة أصبحت مقلقة ومحيرة لكل المجتمعات المتقدمة منها والمتخلفة على حد سواء، بل وأصبح من الضروري تدخل المختصين للعمل على فهمها وتشخيصها واقتراح الحلول المناسبة للتقليل منها على الأقل.

والجزائر على غرار بقية الدول - وإن اختلفت الظروف والأسباب - كانت ولا زالت تعاني من هذه الظاهرة التي رسمت لنفسها أبعادا كثيرة، فشملت معظم المستويات، وأصابت كل شرائح المجتمع على اختلاف أشكالها وميادينها، فمن العنف السياسي إلى العنف الاقتصادي، إلى العنف الاجتماعي، وكذا العنف في الوسط الحضري، مروراً إلى العنف في المدارس والأسر وفي المؤسسات، فقد بات العنف نذير شؤم مهدد لكيان المجتمعات وبنائها، وباختلاف الأطر الاجتماعية راحت طرق أدائه تختلف وتتنوع تبعاً لذلك، فبعض النظر عن العنف المادي المباشر والواضح للعيان في آثاره وأسبابه إلى نوع آخر شكل علامة استفهام للعامة من الناس والخاصة منهم، وهو العنف الرمزي، أو كما يسمى بالعنف المقلع أو الخفي، فلا إشارة لفاعليه، ولا علامة له إلا بجملة ما يخلفه من رموز تبعث هي الأخرى للمستهدف منها برسالة ما ولكنها عنيفة في محتواها.

إن العنف الرمزي أخطر بكثير من العنف المباشر وإن كان في مجمله يهدد نمط الحياة الاجتماعية، وما نقصده هنا كل التصرفات والسلوكيات العنيفة الممارسة يوميا في الوسط الاجتماعي أو بالأحرى الحضري، والمنتهكة للنظام والأمن العامين من جملة المغالطات الأخلاقية والسلوكية من اعتداءات إلى جرائم بشرية وسرقات، واختلاسات، إلى سلوك آخر بات يمس بنظافة المحيط برمته من ركامات الفضلات عند العمارات والمؤسسات، إلى تلك الجدران المليئة والمزدحمة بخربشات أو كتابات أصبحت هي الأخرى تبعث على القلق وتدعو إلى الاهتمام بها.

وفي تقديمنا هذا إنما نود الإشارة إلى نمط سلوكي ربما يعد دحيلا على المجتمع الجزائري وقيمه، وإن كنا بهذا الصدد نود التركيز أكثر على ظاهرة تسمى بالكتابات الجدارية (Les Graffitis). إنها تعتبر أسلوب عنف وإن اختلفت الآراء حول ذلك (سنأتي على ذكر ذلك في الجانب الميداني)، كما أنها ملزمة بكل المجتمعات على حد سواء، وعلى اعتبار أن العنف: " سلوك يؤدي إلى إيقاع الأذى بالآخرين سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة "، فإن الكتابات الجدارية تحيء كعنف رمزي مؤذي لكل أطراف المجتمع، وإن اتخذ من الجدران فضاء له فإنه يخلف آثارا متباينة على كل الأفراد سواء بالإيجاب أو بالسلب، وهذا من خلال جملة الرموز والإشارات التي يحويها في مضامينه.

إن ظاهرة الكتابات الجدارية في شتى أنحاء العالم ولاسيما في الجزائر شكلت ولم تزال علامة استفهام، لأن ما تحمله ضمن طياتها يهدد بمحو وإزالة أو بتشيويه كل ما تحويه المجتمعات من قيم حضارية عريقة وأصول دينية ثابتة، ولعل هذا سر الاهتمام بها كظاهرة تستوجب البحث.

إن دراسة العنف تعتبر رائدة ضمن جملة الدراسات التي حظيت باهتمام الباحثين، على العكس من ذلك فإن موضوع الكتابات الجدارية لم ينل ولو القسط القليل في مجمل الدراسات العربية، أما الدراسات الأجنبية فهي غنية جدا بهذا الموضوع غنى تلك الظاهرة هناك وتبعاً لتطورها، فقد أصبحت فنا رائجا يدعو إلى السلم والوثام عكس ما هي عليه الآن في الدول العربية أين تعيش أولى بداياتها، ولعل هذا أحد الأسباب المهمة لاختيارها كموضوع لبحثنا الذي سعينا في مجمل أهدافه إلى دراسة التصورات الاجتماعية للعنف الرمزي من خلال الكتابات الجدارية مستعينين بمحور التصورات الاجتماعية دون الاتجاهات أو الآراء تبعا لنمط الموضوع وطبيعته؛ ولقد تناولنا هذا البحث بالدراسة انطلاقا من الفصل الأول بهدف معرفة التصورات الاجتماعية من جملة التعاريف المختلفة حولها، إلى ذكر أهميتها وصفاتها مرورا إلى بنيتها ومحتواها وآليات عملها، وكذا بعض المقاربات النظرية حولها، أما فيما يخص الفصل الثاني وهو العنف الرمزي فقد ارتأينا فيه الإشارة أولا إلى العنف عموما من تعريفه وأنواعه، ثم تطرقنا إلى فحوى العنف الرمزي بالقدر المستطاع من المعلومات المتوفرة، ثم تناولنا الفصل الثالث الخاص بالكتابات الجدارية بداية من لمحة تاريخية عنها، إلى ذكر بعض مفاهيمها والإشارة إليها كظاهرة متنامية في الدول العربية ومزدهرة في الدول الغربية مع أمثلة معتبرة عنها في بعض الدول، وكمقارنة بسيطة تناولنا هذه الأخيرة في الجزائر مدعمين ذلك ببعض الصور سواء المحسدة أو الحقيقية. ولأن هدف بحثنا هو دراسة الكتابات الجدارية في المجتمع الجزائري، فقد دعمنا هذا الجانب النظري بآخر ميداني محاولين فيه إبراز التصورات الاجتماعية المتباينة للعنف الرمزي من خلال الكتابات الجدارية، معتمدين في ذلك خطة منهجية لبلوغ الهدف المنشود.

الجانِب النظري

1-1/ الإشكالية:

الثابت أن العنف لا يصدر عن عامل واحد منفرد، وأن حدوده لا تنحصر عند شخص بعينه، بل أصبح ظاهرة معقدة الدواعي والأبعاد، وبالمثل تبدو تجلياته في مظاهره العديدة التي ليست إلا تعبيراً عن أنماط من السلوك الهدام لا محالة، وقد مرت بها معظم المجتمعات فاندثرت لأجلها حضارات، وسقطت بسببها حكومات، وألحقت أضراراً مادية وبشرية بالأفراد والجماعات والمؤسسات على حد سواء. وإن كان هذا النوع من السلوكات السافرة والعلنية القابلة للمعاينة البسيطة قد حظي باهتمام الباحثين والعلماء من جميع النواحي واليادين، فإن هناك نمط آخر يرسل بخيوطه الأولى في صلب كيان المجتمعات برمتها، فيضرب بنائها ويهدم استقرارها، وما نقصد به إلا ذلك النوع من العنف الغير مباشر أو كما يسمى بـ " العنف الرمزي " الذي اتخذ بأشكاله العديدة والخفية مواقع حساسة تشكل خلفية قوية لظواهر تظل بلا اهتمام كافي، وهي وجه آخر لا يقل أهمية عن الوجه المعلن، بل قد يكون تحليل هذا النوع ضرورة منهجية وحتمية منطقية للفهم العام لظاهرة العنف كاملة. ومجدثنا هذا إنما نود أن نركز على إحدى مظاهر العنف الرمزي التي اتخذت من الكتابات الجدارية فضاء يشهر فيه فاعلوه عنفهم ضد المجتمع وبيئته جملة لا تفصيلاً، وإن اختلفت الآراء أو بالأحرى التصورات الاجتماعية حوله، إلا أنه يشكل محور نقاش فعال وآبي سواء في الدول الغربية أو العربية، وإن كانت هذه الظاهرة تعتبر دخيلة على المجتمع الجزائري مثلما هو الأمر بالنسبة لبقية الدول العربية، حيث لم تلق الاهتمام الكافي واللائق بها لخطورة فحواها وأبعادها المترامية الأطراف، والمؤذية في مجموعها لكل شرائح المجتمع، عكس ما هي عليه في الدول الغربية أين كانت بدايتها تقريباً في الستينات، وبعد التطورات الهائلة التي شهدتها منذ ذلك الوقت سلكت في الوقت الحالي منحنيات أخرى، ربما تدعى بالفنية، حيث تطرح في معظمها العديد من القضايا المجتمعية، أما في الجزائر فإن الكتابات أو الرسومات الجدارية تحمل في محتواها زمرة معتبرة من الدلالات وإن كانت في مجملها وحسب اعتقادنا ذات مدلول عنيف أكثر من أي شيء.

إن الكتابات الجدارية ومهما كان الهدف منها سواء المطالبة بالحقوق المهضومة، أو أسلوب تعبير أو رفض للواقع المعاش، أو فرصة سانحة لرد الاعتبار، فإنها في مجملها أسلوب عنف يعمد فاعلوها إشهاره في وجه العامة عبر ما يكتبونه بوضوح أو بغموض مفضلين هذا الأسلوب على الظهور العلني، ومؤثرين الرموز الجدارية للتخفي على نشاط ممنوع قانونياً واجتماعياً، ومن خلالها تدان الحكومات، وتشتم الدساتير وتنتهك الأخلاقيات والمبادئ، وتهان الكرامة والكبرياء، فمن منا لا يتحدث قيمه وأحاسيسه وهو يقرأ رموزاً وإشارات بذئنة في مجملها باختلاف مواضعها وأماكن تواجدها، وإن كانت تنتشر وبشكل كبير في الأحياء الفقيرة والشعبية.

رغم كل هذا الحيز الذي تشغله الكتابات الجدارية سواء من حيث الأهمية، أو مجال انتشارها ناهيك عن حساسيتها كموضوع يشغل اهتمام العامة من الناس والخاصة منهم بشكل أدق، بالإضافة إلى تأثيرها اللامتناهي على كافة أطراف المجتمع، إلا أنها كموضوع بحث قلما تم تناوله بالدراسة والتنقيب، ولعل هذا من أهم دوافع بحثنا الذي نأمل أن نوفق ولو في جزء بسيط منه.

ورغم هذا فإن موضوع الكتابات الجدارية يعد جديدا على الساحة العلمية المحلية والعربية، وإن تم تناوله من قبل فإنما من خلال تحليل مضامين تلك الرموز والإشارات من منظور نفسي تحليلي، على عكس دراستنا هذه التي تهدف إلى التطرق إليها بالبحث ولكن من منظور يتموقع ما بين علم النفس وعلم الاجتماع، على اعتبارها ظاهرة تنشأ في الوسط الاجتماعي وتمارس من طرف أفراد يشكلون جزء من ذلك المجتمع، ولأنها أسلوب أو طريقة موجهة ضد كل الأفراد، فإن لها جملة مختلفة من الآراء والمواقف حولها كظاهرة اجتماعية، لكننا سنلم بكل هذا من خلال محاولة دراستها عن طريق التصورات الاجتماعية كأسلوب بحث يصلح لهذا النوع من الظواهر. و انطلاقا من هذا كانت إشكالية بحثنا تصب في هذا القالب وتتمحور حول التساؤل التالي:

- ما هي جملة التصورات الاجتماعية للكتابات الجدارية؟.

1-2/ صياغة الفرضيات: وعلى اعتبار أن الفرض هو حل مؤقت في انتظار التأكد منه لا حقا عبر بقية مراحل البحث، فإن هذه الخطوة تشكل جوهر البحث بأكمله، لذا فإنه من الجانب المنهجي تراعى الدقة في تحديدها وصياغتها. ولأن التصورات الاجتماعية للعنف الرمزي من خلال الكتابات الجدارية موضوع متشعب وصعب المراس خصوصا من منظور التصورات، فإننا ارتأينا صياغة فرضية عامة دون الفرضيات الجزئية، وإن كان هذا تبعا لطبيعة الدراسة والهدف منها. و عليه فإن دراستنا هذه تنطلق من فرضية عامة فحواها هو:

توجد تصورات اجتماعية للعنف الرمزي المحسد في الكتابات الجدارية.

1-3/ التعريفات الإجرائية للمصطلحات المفتاحية في البحث :

ويمكننا تحديد ثلاث مصطلحات مفتاحية تشكل دعائم بحثنا وفصوله وهي:

*** التصورات الاجتماعية:** هي أنظمة تفكير حول مواضيع معينة يكون الفرد بواسطتها على اتصال بمجمعه، تختلف عن الآراء والاتجاهات، وهي نوع من المعرفة العامة والمشاركة بين كل أفراد المجتمع، حيث أنها تكون مهينة ومقسمة اجتماعيا بينهم، وهذا باختلاف معايير معينة (ثقافية ، أيديولوجية...)، وهي حصيلة نشاط عقلي يعتمد على إعادة بناء الواقع و إعطائه معنى خاص أو تصور خاص، كما أنها مرنة وليست ثابتة فهي تختلف من عصر لآخر ومن مجتمع لآخر تبعا لظروف المجتمع الحالية، وهي متداولة بين كل أطرافه كالتصورات الاجتماعية حول الصحة والمرض، أو حول المرض النفسي، أو الإرهاب، أو الجنون، أو مواضيع أخرى كالإعلام الآلي، أو كما هو الأمر في بحثنا حول الكتابات الجدارية، فهي دوما تتركز على هدف معين.

*** العنف الرمزي:** نمط خاص من العنف العام يسمى أحيانا بالعنف المقنع أو المستور أو حتى العنف الخفي، وهو أسلوب موجه إلى عامة الناس خلاف العنف المادي أو المباشر الذي يكون هدفه محدد، فالعنف الرمزي يتخذ عدة أشكال وأنماط تشكل في مجملها إشارات أو رموز للمواجهة غير المباشرة، حيث يعتمد فاعلوه على التخفي دون الظهور علانية.

*** الكتابات الجدارية:** برزت حديثا في الساحة العامة، وإن كانت قديمة قدم تواجد البشرية، لكنها مستجدة بجدية الحياة ودروها، وهي جملة الكتابات و الرسومات أو حتى النقوش المحسدة على الجدران الحجرية أو الطينية أو الإسمنتية، وهي تختلف ما بين المجتمعات العربية التي تعيش أولى بدايات ظهورها، عكس الدول الغربية التي اتخذت منحنيات فنية لها. وهي بمعنى آخر كل الخربشات المعبرة عن الآراء والأفكار المقهورة، فهي عنف رمزي موجه للعامة من المجتمع والخاصة منه كرد فعل على ما مورس عليهم.

1-4/ أهمية البحث:

يستمد موضوع التصورات الاجتماعية للعنف الرمزي من خلال الكتابات الجدارية أهميته العلمية بالنظر إلى الدراسات العلمية الجادة سواء على المستوى المحلي أو حتى العربي، وإن كان ما وجد منها ليس إلا محاولات بسيطة لإعادة ذكر العبارات المترامية على الجدران مع محاولة تفسيرها أو حتى ترجمتها من منظور نفسي أو تحليلي. لذا جاءت دراستنا هذه لمعرفة ما هي جملة التصورات الاجتماعية حول الكتابات الجدارية انطلاقاً من فرضية العنف الرمزي.

وتستمد هذه الدراسة أهميتها بالنظر إلى الموقع الجوهري الذي تحتله التصورات الاجتماعية ضمن البحوث النفسية والاجتماعية وحتى الأنثروبولوجية، فلطالما كانت جل المواضيع يتم دراستها عن طريق الاتجاهات والآراء، وإن كانت في محتواها نفسية أو تربوية، أما موضوع التصورات الاجتماعية فهو الأوسع والأشمل لإمامه. بمعظم البحوث ولاسيما في علم النفس الاجتماعي، وإن كان حسب رأينا هو الأنسب لدراسة موضوعنا، وهذا لأننا بصدد معرفة جملة التصورات المتباينة أو المتضاربة حوله.

كما ترجع أهمية موضوعنا إلى الموقع الجوهري الذي يحتله كظاهرة يجمع عليها عامة الناس من خاصتهم، وكذا بسبب جذبها للأنظار، وهذا ما لمناه وبشدة في أولى خطوات بحثنا، وإن كان هناك اختلاف في التصور الاجتماعي حولها فإنما مرد ذلك إلى العديد من العوامل كما سنرى من خلال الجانب النظري والميداني.

1-5/ أسباب اختيار البحث:

لن نطيل الحديث كثيراً لنلخص دوافع اختيارنا لموضوع التصورات الاجتماعية للعنف الرمزي من خلال الكتابات الجدارية في بضع نقاط وهي:

- حداثة الموضوع في علم النفس عموماً وعلم النفس الاجتماعي خصوصاً.
- قلة الدراسات فيه أو بالأحرى انعدامها، وهو دافع مهم للبحث والتمسك بالموضوع.
- جملة التصورات الاجتماعية المتضاربة حول الموضوع، فجاء اختيارنا ليس للفصل فيها وإنما لمعرفة محتواها أكثر.
- دوافع أخرى تتلخص في مجملها في تفاقم هذه الظاهرة وبشكل مثير ولفت انتباهنا لهذه الظاهرة من خلال المظهر الجديد الذي أصبحت عليه مدننا وشوارعنا.
- وأخيراً الرغبة الشخصية في دراسة موضوع حساس في الوسط الاجتماعي وبأسلوب بعيد نوعاً ما عن الروتين النظري، وبمحاولة بسيطة للخروج إلى أرض الواقع ودراسة الموضوع بأسلوب أو طريقة تؤدي الغرض المنشود.

صعوبات البحث:

وككل البحوث فلا شيء يجيء من العدم، وإنما بالتتبع والجهد، كذلك هو الأمر بالنسبة لموضوعنا وإن صادفتنا جملة من الصعوبات أو الحواجز، فإنما هذا سبب إضافي للتمسك بالموضوع وتكاملته. وهذه الصعوبات هي:

أولاً: قلة الدراسات السابقة على المستوى المحلي، فلم نستند إلى على دراسة واحدة من جامعة وهران وإن كانت بعيدة في محتواها وأسلوبها عما نبحت فيه ونبتيه.

ثانياً: قلة المراجع باللغة العربية بالنسبة للفصلين الأول والثاني، وانعدامها بالنسبة للفصل الثالث (الكتابات الجدارية)، حيث اعتمدنا بشكل كلي على مواقع الأنترنت.

ثالثاً: صعوبات تتعلق بالجانب التطبيقي، حيث بذلنا أقصى مجهوداتنا لتطبيق تقنية جديدة على الساحة العلمية في موضوع التصورات الاجتماعية، وهي تقنية شبكة التدايعات Le réseau d'associations للباحثة " Annamaria Silvana de Rosa " التي طبقت على أحداث 11 سبتمبر 2001 بعد قصف بنايات مركز التجارة العالمية بالو.م.أ لمعرفة التصورات الاجتماعية للإرهاب، وسرى ذلك مفصلاً في الجانب الميداني. و لأنها دراسة حديثة وجد متطورة فقد اعتمدت على البرامج الآلية لمعالجة المعطيات " les logicielles " والتي لم نستطع الحصول عليها لانعدامها على مستوى الجامعات وحتى في مواقع الإنترنت، حيث تبين أنها تباع في كندا وفرنسا وبأسعار باهظة.

أمام كل هذه العراقيل لم تنقص عزيمتنا في المواصلة، رغم بعض الانتقادات التي وجهت إلينا بسبب التمسك بهذه التقنية، لكننا أكملنا على ذلك المنوال وإن كان للضرورة أحكام فلا ضرورة أكثر من هذه، لذا ارتأينا تطبيق هذه التقنية حسب إمكانياتنا، وقد استغينا عن تلك البرامج واكتفينا بتبويب البيانات إحصائياً مع تحليلها ومعالجتها قدر الإمكان.

الجانب الميـداني

أولاً: منهجية الدراسة:

وحتى لا نكون في قطيعة عما أوردناه فيما سبق من الجانب النظري، فإننا سنحرص في هذا الفصل على تحقيق أهداف بحثنا المرجوة انطلاقاً من دراسة منهجية كسائر الدراسات المستعملة في البحوث النفسية والاجتماعية، لكننا سنحاول الخروج نوعاً ما عن الروتين العادي من جملة الاستثمارات والمقابلات. ولأننا بصدد دراسة موضوع التصورات الاجتماعية ولا سيما للعنف الرمزي من خلال الكتابات الجدارية، فإننا انتهجنا أسلوباً جديداً لتحقيق هدف البحث من خلال استعمال أسلوب التداعي كواحد من أهم أساليب دراسة التصورات الاجتماعية، وبالضبط فإننا وفي محاولة بسيطة منا طبقنا تقنية تسمى بـ " شبكة التداعيات Le réseau d'Associations " رغم الصعوبات التي واجهتنا، إلا أننا حاولنا قدر المستطاع التقيّد بخطواتها إلا ما تعذر علينا القيام به، وعليه فإننا سنتناول هذا الجانب عبر عدة نقاط ترمي في مجملها إلى الخروج بنتائج تفي وتؤدي الغرض المنشود من الدراسة.

I/ المنهج المستخدم في البحث:

وكل البحوث النفسية الاجتماعية، يأخذ تحديد المنهج المستعمل في الدراسة أهمية قصوى قصد إبراز طريقة البحث، وعليه وتبعاً لطبيعة موضوعنا، وكذا لفرضيتنا العامة، فإننا تعمدنا استعمال المنهج الوصفي كأحسن منهج للبحث مع التعديل في بعض تقنياته (باستعمال شبكة التداعيات كما سبق وأن أشرنا)، مدعمين ذلك بخطوات تحليل المضمون نظراً لاستحالة اقتناء برامج معالجة المعطيات، وتبعاً للمنهج المستعمل فإننا سنشرح فيما يلي طريقة البحث المستعملة، مع الإشارة أيضاً إلى العينة، أما بالنسبة للمجال الزماني والمكاني فسنتأني على ذكرهم لاحقاً بعد شرح تقنية البحث.

II/ أدوات البحث:

وقد تم تطبيق تقنية شبكة التداعيات كإحدى أساليب البحث في التصورات الاجتماعية، وإنما ضمن الطرق المتداعية التي تستعمل إلى جانب الطرق الاستفهامية كما رأينا في الجانب النظري في فصل التصورات، وعليه سنأني فيما يلي إلى شرح هذه التقنية كما وردت. أما عن كيفية تطبيقها فإننا سنأني إليها بعد ذكر العينة وطريقة اختيارها.

* **تقنية شبكة التداعيات " Le réseau d'Associations "** ⁽¹⁾: وهذه التقنية للباحثة " Annamaria Silvana de Rosa "، وتهدف لكشف بنية ومحتويات المؤشرات القطبية والحايدة والنمطية للمجال المعنوي (الدلالي) المتصل بالتصورات الاجتماعية. إن هذا النموذج "شبكة التداعيات" يستطيع

1/ Annamaria Silvana de Rosa : Le réseau d'Associations in Jean-claude Abric : Méthodes d'étude des représentations sociales, © éditions érès, 2003, pp. 82-92.

أن يقدم كتقنية للدراسة الحقيقية قصد استخراج بنية ومحتويات وقطبية المجال الدلالي المتداعى لإحدى التصورات. لقد كانت فرصة تقديم هذه التقنية بادئ ذي بدء مع " روزا " في 1995، ثم بعدها ذهبت مع العديد من التجارب التي حضيت بالاهتمام الكبير ولا سيما في العشر سنوات الأخيرة، حيث ارتكزت على معطيات غنية مأخوذة (محصلة) من خلال العديد من أعمال ومشاريع البحث الأصلية وهي في حقيقتها مرتبطة بعدد من ميادين الدراسية، حيث هذه التقنية استعملت بالتوازي مع طرق أخرى، وفي 1995 نشر هذا العمل مع مجموعة من الطرق المتداعية من طرف الباحثين في مجال التصورات الاجتماعية. وما يمكننا قوله حول هذه التقنية أنه قبل تقييمها ووضعها في مضمون أو محتوى منهجي يجب أن نلاحظ أن تقنية شبكة التدايعات تعرف فقط بعض المجالات الدلالية والتقييمية المرتبطة بالتصورات خصوصا، أو باستشارة لتصورات المواضيع المتصلة فيما بينها، (Moscovico 2000)

(Rosa 2001, Roussiau & Bonardi 2001, Seca 2001) وهي المقارب الوحيدة ذات المنهجيات المتعددة (Rosa 1987) والتي تستطيع حقا أن تزيح التعقيد للأبعاد العديدة للتصورات الاجتماعية

* شبكة التدايعات من خلال تمثيل واتباع الخطوات المنهجية:

إن شبكة التدايعات هي أداة الأكثر جاذبية للمواضيع بسبب بساطتها ووضوحها، وكذلك بالنسبة للباحثين، وبواسطة قوة ثباتها للتأقلم مع أهداف البحث، وخلال تطبيق بقية الطرق البحثية كالاستمارة مثلا أيا كان نوعها، فإننا نلمح تقييدا للفرد المفحوص، حتى وإن كانت تلك الاستمارة بأحسن البناء ومطولة، أما في هذه التقنية فالشيء مختلف، حيث تستعمل طريقة بسيطة لتجميع نفس المعلومات وإنما بوقت أقل، وكذلك بنفس إحساسات المفحوص التي لا تجرد عنه كما في الاستمارة، أما من حيث تطبيقها فمنذ انشائها لم يتلق الباحثون صعوبات حولها بتعدد المواضيع التي استعملت فيها، بل واتضح جيدا مدى الفهم السريع والجيد لها، بالإضافة إلى ملائمتها لكل الأعمار (حيث أنها استعملت حتى مع الأطفال في سن التمدرس)، وضمن أي شروط اجتماعية أو خلفيات ثقافية (لقد طبقت في كثير من البحوث العالمية)، وهكذا فإن سهولة استعمالها وفهمها مصحوبة بمرونة كبيرة في مدى تأقلمها مع أهداف البحوث الأكثر اختلافا، حيث يمكننا تطبيقها مع أي بحث فقط مع تغيير المقطع المنبه. وفيما يلي نوضح جليا كيف تطبق هذه التقنية بمراحلها الأربعة ببساطة مع شرحها والغرض منها، وتستخدم هذه الأداة لوحدها أو إلى جانب طرق أخرى، لكننا في بحثنا هذا سنركز على هذه التقنية أكثر من غيرها حتى نحافظ على نوعية البيانات المحصل عليها. كما أن هذه الطريقة تستعمل لتحليل بيانات فردية أو جماعية، كما يمكن تطبيقها على مجموعة ولو صغيرة.

ثانياً: تطبيق أداة البحث:

انطلاقاً من ترتيب خطوات بناء شبكة التدايعيات، وبعد اختيارنا للمنهج المناسب والأداة المناسبة (التقنية)، وتحديدنا للعينة مع شرحها لم يكن أمامنا من خطوة سوى التوجه إلى مكان تواجد وتكاثف الكتابات والرسومات الجدارية، حيث تم التقاط مجموعة معتبرة من الصور أين تركزت في الأحياء الشعبية والفقيرة بالإضافة إلى الأماكن العمومية (مراحيض، مواقف الحافلات، والنقل عموماً، ساحات عامة) كما وجدت على جدران المدارس والثانويات والمؤسسات، وحتى تكون مجموعة الصور ملمة نوعاً ما بالموضوع، تم التنقل عبر عدة نقاط من الشرق الجزائري لاقتنائها بدءاً من: " سطيف، العلمة، قسنطينة بأحيائها: باب القنطرة، الشالي، جنان الزيتون، واد الحد، وكذا ضواحيها: ديدوش مراد، عين السمارة، الخروب، إلى أم البواقي وعين مليلة، وكذا شلغوم العيد، تاجنات (ولاية ميله) "، كما تم الاستعانة بالانترنت، وكان العدد الإجمالي تقريباً 26 صورة وقد توخينا الحذر في عدم تكرار المواضيع لأننا في أول الأمر وتسهيلاً للعملية قسمنا مواضيع الصور إلى محاور: سياسية، عاطفية، عنيفة...، ولأننا اخترنا تقنية شبكة التدايعيات فإننا وحسب خطواتها ارتأينا استعمال صورة مجسدة للمقطع المنبه بدلاً من عبارة الكتابات الجدارية، وبعدها بدأنا مباشرة عملية بناء شبكة التدايعيات حسب خطواتها.

***مرحلة بناء الشبكة على 15 حالة:** ومن خلال ما تقدم من شرح حول بناء شبكة التدايعيات حسب الباحثة " Annamaria Silvana de Rosa "، فإننا سنطبق المراحل الأربعة السابق ذكرها على عينة بحثنا المتمثلة في 15 فرد (حالة)، وإن كنا سنكتفي بعرض مخطط الحالة الأولى فقط ضمن صلب البحث، بينما بقية الحالات الأخرى فسيتم عرضها في الملاحق (ملحق رقم 01).

-2- التصورات الاجتماعية:

تمهيد:

إن ارتباطنا ووجودنا في العالم المحيط بنا يجعلنا دائما نحتاج إلى معارف لفهمه، بحيث أنه يزخر بالمواضيع والأشخاص والوضعيات المرتبطة ببعضها البعض، ولكل عنصر أهمية قصوى في المجتمع، وهناك من تلك الوضعيات ما هو مجسد لحياتنا الشخصية أو الذاتية، وأيضا ما هو سجل لقيمنا وعاداتنا، ومهما كانت صلتنا بتلك المواضيع والوضعيات فإن الفرد بحاجة دوما إلى ذلك التواصل سواء بصورة سلبية أو ايجابية، لأنها تجسد في كينونتها جملة متفرقة من المعارف والطقوس والعادات المختلفة والمشاركة بين كل أفراد المجتمع، ولعل من بين المواضيع التي هي جزء لا يتجزأ من تلك المعارف: العائلة والمدرسة، والعلاقات الاجتماعية كالصداقة والزواج، وكذا الجانب المادي (النقود) ووضعية كثيرة وجمة كالأطباء، المعلمين والعمال، وغيرها مما تجسد ميادين الحياة الاجتماعية المختلفة والتي تلزم الفرد بالتواصل مع محيطه الاجتماعي مهما كان نمط ذلك التواصل⁽¹⁾.

إن جملة المعارف التي سبق الحديث عنها لا يمكن أن تولد مع الفرد، وإنما هي نتيجة احتكاكه الدائم والمتواصل بالمجتمع الذي نشأ فيه، فهي تبني وتتشكل عنده من خلال عدة عمليات عقلية وفكرية، والتي تدخل ضمنها عملية بناء التصورات أو يدخل ضمنها التصور كسيرورة لبناء المعارف لدى الفرد، بحيث إذا ما فتحنا نقاشا مع أقرب الناس، فإننا نقع في اختلاف وجهات النظر ولو في جزء بسيط من ذلك الموضوع، وهذا لا لشيء سوى لأن لكل فرد منا تصورات خاصة به تسمى "تصورات فردية"، ولكنها غير معزولة عن بقية تصورات أفراد المجتمع، سواء من حيث الاتفاق أو الاختلاف في مجملها، وإنما هي تجسد جملة من التصورات العامة التي يطلق عليها "التصورات الاجتماعية"، وفي هذا السياق فهي تساعد الفرد على مواجهة العالم المحيط به من خلال معالجة، وتعديل المواقف، وحل المشاكل التي يواجهها الفرد، ولإحاطة بالتصورات الاجتماعية فإننا اعتمدنا على عدة نقاط سنحاول من خلالها توضيح الخلفية التاريخية لهذا المصطلح والتعريف به مع ذكر علاقته بالعلوم الأخرى ووظائفه وصفاته... وغيرها من النقاط راجين من الله عز وجل أن نوفق ولو في جزء بسيط في الإلمام بهذا المصطلح الجد متشعب والمعقد.

1/ Pascal Moliner : les représentations sociales, © presses universitaires de Grenoble, Mai 2001, p. 7.

2-1/ لمحة تاريخية عن مفهوم التصورات:

يعد مفهوم التصور قديما قدم الفلسفة الإغريقية، ولكنه كمفهوم إجرائي يعتبر حديثا نسبيا، حداثة ظهوره في الخطاب التربوي، أين ثبتت أهميته في مختلف التطبيقات خاصة فيما يتعلق بالميادين البيداغوجية، ولاسيما أن هذه الأهمية برزت وتجسدت في أبحاث ودراسات لعلماء قدامى أمثال: " إيمانويل كانط "، " دوركيم "، وغيرهم في ميدان المفاهيم والمدرجات المعرفية⁽¹⁾.

لقد أثار هذا المفهوم خلال الأربعين سنة الأخيرة نقاشات كثيرة في ميدان علم النفس الاجتماعي، وهو ينحو اليوم إلى أن يحتل موقعا مركزيا في العلوم الإنسانية، فمنذ انطلاق حركة البحث حوله في فرنسا على يد "سارج موسكوفيسي Serge Moscovisi" تعددت الملتقيات والمنشورات في أوروبا والولايات المتحدة وباقي دول العالم، وأصبحت تشمل كل العلوم الاجتماعية: الأنثروبولوجيا، علم الاجتماع، التاريخ...

ويعتبر " إيميل دوركيم " أول من استعمل وعرف مفهوم التصور الاجتماعي حينما قارن بين التصورات الفردية والتصورات الجماعية، وذلك في مقال مشهور له نشر في مجلة "المتافيزيقيا والأخلاق" 1898م "، بحيث يعتبر التصورات الجماعية موضوعا مستقلا للدراسة، وأكد على خصوصية التفكير الفردي. وكما أن للتصورات الفردية خصائص تميزها حيث لا يمكن اختصارها في عملية فيزيائية - كيميائية يقوم بها المخ الذي سببها، كذلك التصورات الجماعية فإنه لا يمكن اختصارها واعتبارها مجرد مجموع تصورات الأفراد الذين يشكلون ذلك المجتمع.

وظل مفهوم التصورات الجماعية عاما يشير إلى الأساطير والطقوس وأنواع التفكير التي تميز مجتمع ما، ونظرا لعموميته وتضمنه لكل أشكال التفكير الاجتماعي لم يعد من الممكن تمييز التصورات عن الذهنيات و الأيدولوجيا، فأصبح هذا المفهوم ظاهرة ولكنها غير إجرائية⁽²⁾.

وبعد فترة من عدم الاستعمال، عاد مفهوم التصور الاجتماعي للوجود كأحد مباحث علم النفس الاجتماعي، وتعود الأسباب الرئيسية وراء هذا النسيان إلى هيمنة المدرسة السلوكية⁽³⁾ على علم النفس لمدة طويلة في تلك الفترة، والتي لم تكن تؤمن إلا بالسلوكيات الظاهرة والقابلة للملاحظة والقياس: كالسلوكيات اللفظية والحركية، أما الاستجابات الكامنة الضمنية وكل الأنشطة المعرفية فلم تعرها أي اهتمام، ومن بين المواضيع التي درست في تلك الحقبة مفهومي " الاتجاه والرأي " فهذين المفهومين يتصلان مع مفهوم التصور الاجتماعي، لكنهما يختلفان عنه، فالرأي يمثل استجابة ظاهرة

1/ Revue des sciences humaines, série n° 27, 1993.

2/ Ferreol Gilles : Dictionnaire de Sociologie, 2ème édition, Armand Collin, Paris, 1995 pp. 242-249.

3/ Denise Jodelet : Les représentations Sociales, © presses universitaires de France, 3ème édition, Avril 1993, p. 38.

قابلة للملاحظة والقياس، أما الاتجاه فيستمد أصوله من علم النفس العام، وقد استعمل في البداية للتأكد من وجود علاقات بين المثيرات والاستجابات وذلك في حساب زمن رد الفعل، أما مفهوم التصور فهو أكثر تعقيدا وذلك بسبب طبيعته الكامنة، فهو عملية بناء للواقع يؤثر في آن واحد على المثير والاستجابة، فيعدل الأول و يوجه الثاني⁽¹⁾.

كما أشار "موسكوفيسي" إلى أن التصورات تتحدد في آن واحد بالمثير والاستجابة، وأنه: "لا توجد قطعة (فصل) بين العالم الخارجي و العالم الداخلي للفرد أو للجماعة"⁽²⁾.

كما يعود تأخر تطور مفهوم التصور الاجتماعي إلى سيطرة النموذج الماركسي الذي يؤمن بأن إنتاج الأفكار للتصورات يرتبط بالنشاط المادي للناس، كما يؤمن بأن مفهومية آليات التدرج والمراتب ما بين أدنى وأعلى البنيات يعطي الشرعية الكاملة لدراسة هذا النمط، بحيث أن التصورات هي لغة الحياة الواقعية، ولكن مع التطور الذي عرفه كل من علم النفس المعرفي وعلم الاجتماع المعرفة بدأ هذا المفهوم يأخذ مكانة له في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، والتاريخ، وعلم النفس الاجتماعي، وهذا التطور النوعي لمفهوم التصور الاجتماعي حدث في ميدان علم النفس الاجتماعي علي يد "موسكوفيسي" الذي درس تصورات الجماعات المختلفة للتحليل النفسي، ونشرت نتائج دراسته في كتابه: "التحليل النفسي، صورته وجمهوره La Psychanalyse son image et son public" عام 1961.

لقد أراد "موسكوفيسي" في دراسته الرائدة أن يفهم كيف تنتشر نظرية علمية لدى الجمهور وما هي التغيرات التي تطرأ عليها بعد مرور نصف قرن من الزمن، مع الإشارة أنه لا يوجد تصور واحد للتحليل النفسي بل تصورات، وهي تختلف في محتواها ومستوى بنائها وتوجهها العام نحو التحليل النفسي، كما تختلف أيضا حسب الانتماء الاجتماعي⁽³⁾. وبالتوالي معه، عدد كبير من الباحثين اهتموا

بالتصورات الاجتماعية ودرسوا عدة ظواهر من خلالها أمثال : Laplantine , Herzlich, D. Jodelet :
Jean Claude Abric, René Kaës, Bourdieu, Chombart de lauwe, Gorin, Milgram Quaglino,
وسنأتي على ذكرهم بأعمالهم وسنوات بحوثهم في عنصر آخر (التصنيف الوصفي للمواضيع التي تناولت بالدراسة التصورات الاجتماعية...).

1/ Herzlich Claudine : La représentation sociale, in Serge Moscovici : introduction à la psychologie sociale
Tome 1, Larousse, paris, 1972, pp. 303-304.

2/ Denise Jodelet : les représentations sociales, 1993, op-cit, p. 39.

3/ Ferréol Gilles : Dictionnaire de sociologie, op-cit, p. 244.

2-2 / المفهوم العام للتصور:

لقد تم تناول هذا المفهوم من نواحي متعددة، و أعطيت له معاني كثيرة، مما جعله وسيلة عمل صعبة المراس، فبالرغم من الأبحاث التي أجريت حوله فإن مفهوم التصور الاجتماعي ظل غامضاً، ومرد ذلك إلى درجة تعقيده واشتماله على كل شيء: من العلم إلى الحركات الاجتماعية، إلى الأفراد وغيرها من العمليات و السيرورات... الخ⁽¹⁾.

ولأن التصورات الاجتماعية مفهوم يعد قديماً قدم علم النفس وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا، إلا أنه ظل في طي النسيان لسنوات طويلة، وبفضل الباحث "موسكوفيسي" أعيد التطرق إليه وبشكل جديد، وبقوة شملت العديد من الميادين، لكن يبقى سر قوة هذا المفهوم غير مقتصر على معانيه المتعددة، وإنما يتعدى إلى سيروراته، وبنائه المعقد، وأهدافه المختلفة، ومجالاته العديدة. ولكي نصل إلى فهم جيد لهذا المصطلح فإنه لا بد من التطرق أولاً إلى المفهوم العام للتصورات، وبعدها نأتي إلى التصورات الاجتماعية مع ذكر مختلف التعريفات لها.

- المصطلح العام للتصور:

إن مفهوم التصور يعود إلى الكلمة اللاتينية " Représentare "، والتي معناها الاستحضار. ويعرفه القاموس الفلسفي على أنه: " كل ما يمكن أن يتصور من طرف الفكر "، أما المعجم النفسي فيعرفه على أنه: " استدراك صورة عقلية ضمن المحتوى الذي يأتي بهدف لوضعية وسلسلة... في العالم الذي يحيا فيه الموضوع (الفرد) "، أي هو عملية استحضار صورة موجودة في الذهن والتي هي مرتبطة بالخيال الذي يعيش فيه ذلك الفرد. ويعود الفضل في استعمال مفهوم التصور إلى:

* " إميل دوركيم Durkheim " الذي أدخله لأول مرة سنة 1898، حيث استخدم عبارة التصور في الإطار الاجتماعي لإبراز الطابع الخاص للفكر الجماعي مقابل الفكر الفردي، فكان لا بد من الانتظار ستون (60) سنة لكي تكون التصورات محل دراسة معمقة، وهذا بفضل الباحث "سارج موسكوفيسي". وبالنسبة لدوركيم فيعرف التصورات بأنها: " ظواهر تتميز عن باقي الظواهر في الطبيعة بسبب ميزاتها الخاصة... وبدون شك فإن لها أسباب، وهي بدورها أسباب...، إن إنتاج التصورات لا يكون بسبب بعض الأفكار التي تشغل انتباه الأفراد، ولكنها بقايا لحياتنا الماضية، إنها عادات مكتسبة، أحكام مسبقة، ميول تحركنا دون أن نعي، وبكلمة واحدة إنها كل ما يشكل سماتنا الأخلاقية le caractère morale"⁽²⁾.

1/ Leyens Jaque-Philippe: Sommes nous des psychologues ?, Approche psychosociale des théories de la personnalité, Pierre Mardaga, Bruxelles, 1983, p. 19.

2/ E. Durkheim : Sociologie et philosophie, Paris, Edition PUF, 1967, p. 113.

وهذا يعني أن التصورات ليست فقط ما يدور في ذهن الفرد من أفكار حالية، بل هي جملة ما اكتسبه من الماضي من خبرات وأفكار مرسخة في الذهن، وهي تضم كل القيم والأفكار الخاصة بالفرد والمرتبطة بمحيطه.

ويرى "دوركيم"⁽¹⁾ أن التصور الجماعي لا يمكن حصره فقط في الفرد الذي هو أساس الجماعة، وإنما هو أكبر من هذا بكثير، إذ أنه يمثل أحد العناصر المهمة التي بواسطتها نثبت أهمية الجماعة على الفرد، ويتطور التصور الجماعي ليؤثر على التصور الفردي؛ أي أن التصورات الجماعية هي إحدى الوسائل التي من خلالها تؤكد سيطرة المجتمع على الفرد، إذ يقول: " أن الجماعي يشكل عددا كبيرا من الظواهر النفسية، وهي تشمل حتى ما نطلق عليه بالعلم والأيدولوجيا والأساطير، وهي لا تنفصل من حيث التمييز، بين ما هو ذو مظهر فردي عن ما هو ذو مظهر اجتماعي"⁽²⁾. وهنا يؤكد "دوركيم" قوة التصور الجماعي على التصور الفردي، لأن الجماعي يحتويه وبالتالي فهو أشمل منه.

وبالعودة إلى المعنى اللغوي إلى التصورات فإنها: " فعل استرجاع حساس لبعض الأشياء على الأقل بعض الصور، رمز، إشارة"، وهذا التعريف إنما يوحي لنا ببعض الكلمات المفتاحية التي تسمح بتقريب معنى التصورات وهي: الموضوع، الهدف، رسم، صورة، رمز، إشارة، استدراك الحدث، بحيث أن الموضوع قد يكون فرد أو جماعة اجتماعية، أما الهدف فيستطيع أن يكون شخص، شيء، حدث مادي، نفسي أو اجتماعي، ظاهرة طبيعية، فكرة نظرية...، كما يمكن أن يكون حقيقي، تخيلي أو اعتقادي لكنه دوما ضروري في عملية التصور. بينما استدراك الحدث يوحي إلى فعل استخراج الهدف من خلال المعاني (بصري، سمعي، شفهي)، أو من خلال العمليات العقلية (تفكير، تخيل، إدراك...).

أما بقية الكلمات: رسم، رمز، صورة، إشارة، فهي تصورات بهدف الإرسال و الاستقبال.

* **سارج موسكوفيسي Serge Moscovici**: كما سبق وأن ذكرنا في كتابه: التحليل النفسي صورته وجمهوره سنة 1961، بحيث يرى أن التصور هو: " إعادة إظهار الشيء للوعي مرة أخرى رغم غيابه في المجال المادي، وهذا ما جعله (التصور) عملية تجريدية محضة إلى جانب كونه عملية إدراكية فكرية"⁽³⁾، أي أن التصور هو عملية ذهنية تعتمد على محاولة استحضار شيء من خلال صورة، رمز، إشارة... إلى الواقع بالرغم من غيابه فيه، وعليه فإن التصور هو عملية فكرية محضة. كما يعرفه بأنه: " يعيد تقديم الكائن أو الشيء للشعور، بمعنى أن يقدمه مرة أخرى، أي يجعله حالي رغم غيابه ".

1/ Nicolas .Roussiau & Christine Bonardi : Les représentations Sociales ; état des lieux et perspectives, édition Pierre Mardaga , 2001, p. 23.

2/ Serge Moscovici : la psychologie sociale, © presse Universitaires de France, 1ère édition, Quadrige, , Octobre 2003, p. 368.

3/ Serge Moscovici: Psychologie Sociales, op-cit , p. 40.

أي يحاول أن يجعل ذلك الموضوع الغائب شيئاً حاضراً من خلال فكره وعملية الإدراك. إذ يوضح " موسكوفيسي " بأن: " التصور يلعب دور الشاشة الانتقائية بحيث ينتقي ما يلائم موضوعاً ته من عقل الإنسان ويستعين بالذاكرة كصورة دينامية "⁽¹⁾، أي أن الفرد يقوم بالتصور لموضوع ما بواسطة التذكر، ويظهر من هذا التعريف أن التصور ليس مجرد انعكاس داخلي لواقع خارجي، وعلى هذا الأساس يمكن القول أنه ليس مجرد نسخة مطابقة لكل ما يحدث خارج عقل الإنسان، هذا الأخير ومن خلال ذاكرته يحمل مجموعة من التصورات لأشياء مختلفة ومتداخلة.

كذلك عرفه على أنه: " واقع ملموس، يدور، يتقاطع، يتبلور، دون توقف عبر الكلمة، الحركة... " ⁽²⁾. أي أن الفرد لا يملك تصور واحد وإنما جملة من التصورات حول العديد من المواضيع وإن كانت تتداخل فيما بينها مثل التصورات الاجتماعية حول الإدارة الجزائرية عند طلبة الجامعة، فهي قريبة من بعضها بسبب تقارب الظروف المحيطة بهم، كما أنها متداخلة فيما بينها، وتظهر فقط من خلال بعض الرموز والإشارات التي تجسد ذلك التصور، وعرفه أيضاً بأنه: " صلة بين المفاهيم والمدركات، أي بين المجرد والمحسوس ⁽³⁾، والفرد عندما يتلقى مثير خارجي (فكرة، حادثة، معلومة...) يقوم بمعالجته ذهنياً، وهذه المعالجة تختلف من فرد لآخر حسب عوامل ذاتية تتعلق بشخصية الفرد مثل الخبرة، المهنة، التكوين، وعوامل ليست ذاتية مثل العائلة، المجتمع، المؤسسات... ونتيجة هذه المعالجة يتكون التصور "⁽⁴⁾. وهذا التعريف إنما هو امتداد لما سبق ذكره، حيث رأينا أن التصورات قد تتشابه وقد تختلف ومرد ذلك إلى اختلاف العوامل التي ينشأ فيها الفرد، من اختلاف الوسط العائلي بالإضافة إلى عوامل أخرى شخصية...، وخير مثال ندعم به هذه الفكرة هو موضوع بحثنا المتمثل في التصورات الاجتماعية حول الكتابات الجدارية التي هي موضوع واحد لكن تصوراته جد مختلفة، فإن كان البعض يعتبرها عنف رمزي، فإن البعض الآخر يعتبرها وسيلة تعبير، وإلى غير ذلك من التصورات التي سوف نلمحها في الجانب التطبيقي لبحثنا. ودوماً حسب "موسكوفيسي" فإن: " التصورات تقع بين ما هو خارجي وما هو داخلي، أي بين الحقيقة الجسمية والحقيقة النفسية "⁽⁵⁾، على اعتبار أنها عملية ذهنية يحاول الفرد استحضارها في أرض الواقع.

* **التصور حسب قاموس نوبير سلامي Nobèrt Sillamy**: " التصور ليس مجرد استرجاع صورة بسيطة للواقع فقط، بل تكوين أو بناء للنشاطات العقلية، إذن فهو بناء عقلي لنشاطنا "⁽⁶⁾.

1/ Serge Moscovici : la psychanalyse son image et son public, édition PUF, 1972, p. 56.

2/ Serge Moscovici: la psychanalyse son image et son public, op-cit, p. 41.

3/ Serge Moscovici: Psychologie Sociales, op-cit, p. 368.

4/ Serge Moscovici : la psychanalyse son image et son public, op-cit, p. 96.

5/ <http://www.iperlogo.it/gypsies/français/cours/reprès/caratter sociologique.htm>

6/ Nobèrt Sillamy : Dictionnaire usuel de psychologie, L- Z, édition Bordas, Paris, 1983, p. 1029.

وهنا نشير إلى تعقيد مصطلح التصور.

* **سار تر J-P Sarter**: " التصور هو جعل الشيء حاضرا في غيابيه ونحن نعلم أنه غائب، إذن فنحن نجد في الدرجة الأولى نية موجهة لشيء غائب ذو محتوى، وهذا المحتوى يجب أن تكون له علاقة مع الموضوع أو الشيء "(1)، أي أن للتصور هنا قصد مسبق موجه نحو موضوع ما من أجل استحضاره.

* **ريني كيس Kaës**: التصور هو: " إنتاج وسيرورة لنشاط وبناء عقلي للواقع عن طريق جهاز نفسي إنساني انطلقا من معلومات يتلقاها بمعانيها، هذه المعاني يكتسبها الفرد من خلال تاريخه، والتي تبقى في ذاكرته، وهي بدورها تأتي من العلاقات التي يقيمها مع الآخرين، أفراد أو جماعات، هذه المعلومات تصنف في نظام معرفي شامل ومتناسق بدرجات متغيرة، وتسمح بفهم العالم أو جانب منه بشكل يمكن من خلاله التأثير عليه، التكيف معه أو الهروب منه "(2)، كما يرى أيضا أن التصور هو بناء عقلي يعتمد على مكتسبات الفرد من مجموع القيم الأخلاقية، والعلاقات الاجتماعية، وهذا البناء يصنفه الفرد حسب مواضيع معينة، وهو جزء خاص بشخصيته، ويختلف عن تصورات غيره يستخدمه كحلول في تفاعله مع محيطه.

* **جون بياجى jean Piaget**: يرى أن التصور هو: " الميكانيزم الذهني الذي يسمح ببناء الصورة الذهنية، وهذا يخص إرجاع إلى الحاضر ما هو من الماضي كفكرة أو موضوع أو حادثة معينة، والتصور يعد الممثل الرئيسي للموضوع الذي عاد بناؤه رمزيا "(3). ودوما حسب نظرية بياجى في النمو فإنه وبخصوص التصور، يعتبره ميكانيزم ذهني لاسترجاع صورة من الماضي عن طريق رمز مهما كان ذلك الرمز، موضوع، حادث...، كما يعتبر أن التصورات ترجع إلى استمرار النمو الحس-حركي أين تكمن الوظيفة في إقامة علاقات مع العالم الخارجي. والتصورات حسبه تبقى عملية مستقلة عن كل تأثير للمحيط، كما أن المحتوى الاجتماعي للتصورات لا يمكن اعتباره إلا على أنه اكتساب متأخر.

* **والون Wallon**: " التصورات هي عملية إعلامية بين الفرد و العالم، فهي تؤخذ على أنها عنصر لحل التناقضات التي تميز علاقات الإنسان داخل وسطه، فالتصور الحقيقي لا يمكن الوصول إليه إلا عن طريق الرمز، كما أن دور اللغة هو تثبيت التصورات داخل الوعي، حيث يقول: " التصورات لا

1/ فدوى بوكردم: تصور أعضاء فريق CNFPH لأدوارهم المهنية في إطار العمل بمشروع المؤسسة، أطروحة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس التربوي، جامعة منتوري، قسنطينة، 2002، ص 7.

2/ وداد بوحوش: تصورات رؤساء مؤسسات التعليم الثانوي لمشروع المؤسسة، أطروحة لنيل شهادة الماجستير في علوم التربية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2002، ص 10

3/ Jean Piaget : La représentation du monde chez l'enfant, PUF, Paris, 1967, p. 8.

تستعمل الوظيفة الرمزية للغة، فهي في حد ذاتها تعتبر مستوى للغة والوظيفة الرمزية⁽¹⁾، وهنا يؤكد " والون " على دور اللغة في ترسيخ المفاهيم التي تحفظ لنا التصور في الذهن وكذا في عملية استحضاره ومن ثمة التعبير عنه، كما يميز في هذا المفهوم الصلة والرابطة بين ما هو اجتماعي وما هو فردي، فتطبيقات الطفل مشروطة بالحقيقة المادية، التقاليد Les mœurs ، العادات العقلية وكذلك اللغة، أي أن التصور الفردي مرتبط بمعطيات الواقع الاجتماعي، ويقصد بذلك جملة الطقوس والأنماط الفكرية السائدة في وسط ما.

* **شاتو Château** : " التصورات هي فضاء عقلي وهمي Illusion مرسخ عن طريق الاتجاهات، كما أن التصورات توافق أو تطابق تقديم معتمد أو مقصود "، وهنا يربط التصور بالنية الموجهة مسبقا وإن كان يقرب مفهوم التصور إلى مفهوم الاتجاه والذي هو في الحقيقة مختلف عنه.

* **ماريو Malrieu** : " التصورات هي عملية لها علاقة مع تغيرات اتجاه الشخصية " .

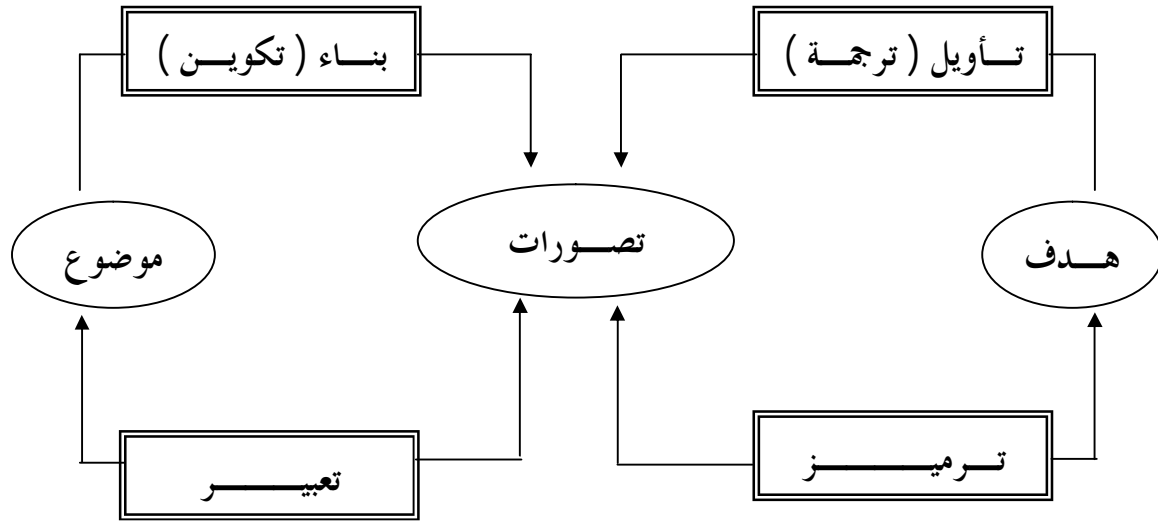
إذن ومن خلال ما سبق من المفاهيم، نخلص إلى أن التصور هو حاصل أنشطة التحليل والتصنيف لمختلف أبعاد الأشياء، حيث يبنى بشكل داخلي من طرف الأفراد في احتوائه للواقع، وبالتالي يتدخل في كل من عملية التعرف على الشيء (الموضوع) وكذا في استحضاره، وعليه يمكن إبراز ثلاث نقاط أساسية تخص التصور وهي:

- أن التصور ينطلق من معلومات يوفرها المحيط الخارجي، أي يتم الاستحضار عن طريق رمز موجود في الواقع.

- أن هذه المعلومات تعالج وتبنى وتنظم في العقل، أي أنه عملية ذهنية إدراكية.

- أن نتائج البناء الذهني هو ما يطلق عليه مفهوم التصور، أي حوصلة استحضار المواضيع الغائبة إلى أرض الواقع عن طريق عمليات ذهنية استدرائية انطلاقا من مؤشرات أو رموز واقعية تشكل عملية التصور وهي تختلف عن الاتجاه والاعتقاد.

1/ Marie Josée & Chombart de Lauwe : La représentation Sociale dans le domaine de l'enfance, in Denise Jodelet: les représentations sociales, 1993, op-cit, pp. 321-322.



مخطط رقم 1

حيث يوضح عملية بناء التصورات وأن لها موضوع معين يتم بناؤه ذهنيا بعيدا عن الواقع، لكنه يستحضر من خلال الترميز (إشارة، حركة، صورة...)، وله هدف معين ويتم استحضاره بمساعدة اللغة والتعبير عنه، فتخرج التصورات إلى أرض الواقع ويتم تأويلها أو ترجمتها تبعا لعوامل البيئة الثقافية والاجتماعية.

2-3/ أبعاد التصور:

استنادا إلى التعاريف التي تطرقنا إليها في الفقرة السابقة، يتضح أن هناك تفاعل بين ما هو نفسي وما هو اجتماعي، إذ الفرد لا يبني تصوره عن موضوع معين بدون الرجوع إلى ما اكتسبه في مجتمعه، انطلاقا من المعلومات التي يتلقاها عن طريق الحواس، والتي تظل محفوظة في ذاكرته مع تلك العلاقات التي يقيمها مع الآخرين، كل هذه المعلومات تبقى داخل نظام معرفي شامل ومنسجم بدرجات مختلفة تسمح للفرد بالتكيف مع المحيط، وتيسر اتصالاته داخل الجماعة. ويحدد "كايس" ثلاثة أبعاد للتصور في سياقها: النفسي والاجتماعي، والثقافي الذي تظهر وتتطور فيه⁽¹⁾:

البعد الأول: التصور هو عملية بناء للواقع من طرف الشخص، إذ يشكل جهدا في النشاط النفسي باعتباره عمل أو إجراء يركز على عدد من الإدراكات المتكررة في بناء جملة من المعلومات التي موضوعها الواقع، إذ يمكن اعتبار التصور شبكة لقراءة الواقع.

البعد الثاني: التصور هو نتاج ثقافي، وتعبير تاريخي ظاهر ومعبر عنه اجتماعيا كنموذج ثقافي مجسد تاريخيا، بحيث يسجل التصورات دائما في سياق تاريخي معين، وهي تابعة للوضع الواقعية والتميزة أساسا بطبيعة المشروع الاجتماعي، السياسي، وتطور شبكة العلاقات الاجتماعية والأيدولوجية،

1/ R. Kaës, p110, in Denise Jodelet : les représentation sociales, 1993, op-cit, pp. 104-105.

ومختلف الطبقات المكونة للمجتمع، وكل ذلك في إطار زمني محدد. وتبعاً لتلك العلاقات الاجتماعية التي ينشط بها الفرد، ولوضعية الطبقة والنشاطات الاجتماعية، فإن التصورات نجدتها كذلك مرتبطة بجملة المعتقدات والطبقات والأفكار والقيم ذات المرجعية الأخلاقية والجمالية الخاصة بمختلف الفئات الاجتماعية، وهذا ما تؤكد "Mollo" بقولها: " إن كل طبقة اجتماعية تحفي تصوراتها، خاصة تلك المرتبطة بأنظمة القيم المرجعية"⁽¹⁾، وكل تصور له مرجعية ثقافية واجتماعية ودينية خاصة بكل مجتمع وتضم تصورات أفرادها.

البعد الثالث: التصور كعلاقة اجتماعية للفرد مع عنصر من محيطه الثقافي: بما أن كل تصور يسجل داخل نسيج معقد من العلاقات التي تربط الفرد بالمجتمع، فإن تصور هذا الفرد لأي عنصر من محيطه الثقافي لا يكون دون توسط هذه العلاقات الاجتماعية التي تمنحه مميزات خاصة وتوجب عليه انتقاء بعض العناصر للموضوع الذي يتصوره.

ومن خلال عرض هذه الأبعاد الثلاثة، يتضح أن تصور الفرد لأي عنصر من عناصر محيطه الثقافي والاجتماعي يعتمد بشكل مباشر على العلاقة الاجتماعية، وهذا يمنحه مميزات خاصة توجب عليه انتقاء بعض عناصر الموضوع الذي يتصوره وعزل العناصر الأخرى، فالتصور ذو بعد نفسي لأنه يحوي عملية ربط ووصل بين المحرد والمحسوس أي عملية الإدراك، وذو بعد اجتماعي نتيجة تأثير مظاهر المجتمع في مظاهر الفرد، ونتاج ثقافي معبر من خلال الكائنات والأشياء والمعايير الموجودة في ثقافة المجتمع.

2-4/ بعض المفاهيم القريبة من مفهوم التصور:

هناك تداخل بين التصور وبعض المفاهيم النفسية والاجتماعية القريبة منه، نذكر منها: الرأي، الاعتقاد، الإدراك و الصورة...، وإذا تمعن الباحث ملياً وجد أنه في هذا المجال يقوم بتنوع التخصيص للسلوكيات، وذلك تبعاً لنمط الشخصية القاعدية، الذكاء، العاطفة⁽²⁾، فكثيراً ما يخلط الفرد ما بين التصور وهذه المصطلحات لأنها قريبة من حيث الفهم:

*** التصور و الرأي:** وهذا الأخير هو استجابة لفظية واضحة قابلة للقياس والملاحظة، إذ يرى الدكتور "عبد الرحمان عيسوي": " أن الرأي يعتنقه الفرد لمدة محددة، وغالباً ما يعبر الرأي عن الشعور القومي السائد لدى أفراد المجتمع، وغالباً ما يعبر رأي الفرد على ما يجب أن يكون عليه الوضع وليس ما هو كائن فعلاً، والآراء قابلة للتغيير مثل الاتجاهات، إلا أن ذلك يختلف، فالاتجاه يتعرض للتغيير بدرجة

1/ Mollo.S:représentation et image que se font des deux autre partenaires les enfants ,les parents ,les maîtres ,debessé (M) et mialaret (G) en traite des sciences pédagogique,T6 ,Paris,1974, p110 .

2/ Jeun Claude Abric : L'études expérimentale des représentations sociales, in Denise Jodelet : Les représentations sociales, 1993, op-cit, p. 187.

أقل عمقا من الرأي "(1). ومن خلال هذا التعريف يظهر أن التصور أشمل من الرأي، كون أن الرأي خاص بالفرد وهو لا يعطيه خاصية، لأنه يعتنقه لمدة محددة، كما أنه قابل للتغيير، في حين نجد أن التصور يتميز بشيء من الثبات ويحمل خصائص الجماعة؛ ومنه فإن التصور يتأثر بالآراء الشخصية على حد تعريف "موسكوفيسي" للتصور على أنه: "جمع من الآراء"(2) يفهم من خلالها التصور، وبهذا فالرأي عبارة عن أداة تمكننا من الوصول إليه.

* **التصور والاتجاه:** و يعد الاتجاه أكثر تعقيدا من الرأي، فهو يمثل مواجهة كاستجابة مسبقة التحضير المباشر للفعل، ويعرف "مصطفى سويف" الاتجاه على أنه: "حالة من الاستعداد أو التأهب العصبي والنفسي من خلال خبرة الشخص، وتكون ذات تأثير توجيهي أو ديناميكي على استجابة الفرد لجميع الموضوعات والمواقف التي تستثير هذه الاستجابة"(3). ومنه يلاحظ أن الاتجاه يرفع الستار عن التصور الاجتماعي وذلك من خلال ما يحمله من دلالة رمزية أو ملموسة لمحيطنا، حيث يمكن القول أن التصور يمثل الدلالة العقلية لاستكشاف المحيط، في حين أن الاتجاه يظهر عبر إشارات، حركات، وضعيات... الخ.

* **التصور والاعتقاد:** ويعرف "كير لينجر kerlinger" الاعتقاد بأنه: "فرضية ثابتة أو اعتقاد متعلق بالأنظمة الاجتماعية كأهداف الحياة ووسائل تحقيقها، وأصناف السلوكيات الاجتماعية". وبهذا فالتصورات تشرح الاعتقادات وتفيدنا كطريقة تستعمل من أجل فهمها والتكيف في المجتمع. كما أن الاعتقاد يخفي مفهوم التنظيم الاجتماعي الذي ساهم "موسكوفيسي" بقدر واسع في توضيحه وتمييزه عن الاعتقاد، وذلك بإظهاره بأنه في المجال المعرفي للتصور الاجتماعي يساعد على تألف الاعتقاد، وهذا باستخدام معلومة جديدة انطلاقا من نماذج مكونة اجتماعيا، بفضله يستطيع الفرد أن ينسق وضعه مع فوج عمله (مجتمعه)(4).

* **التصور والصورة:** وهي انعكاس حقيقي للواقع، أي تعكسه كما هو موجود فيه، أما التصور فهو انعكاس داخلي لواقع خارجي، وهو عملية بناء للواقع انطلاقا من المعطيات الخارجية. وبهذا يتضح الفرق بين الصورة والتصور الذي يكمن في ميكانيزم الانعكاس، فإذا كانت الصورة طبق الأصل لما هو

1/ د. عبد الرحمن عيسوي : دراسات في علم النفس الاجتماعي، دار النهضة العربية، بيروت، ط-1، 1994 ص 163.

2/ Dr Maache.Y & Chorfi M.S & Kouira.Aicha : les représentations Sociales, un concept au carrefour de la Psychologie sociale et de la sociologie, les éditions de l'Université Mentouri Constantine, 2002, p. 13.

3/ د.مصطفى سويف، 1972 ص327 في سليمان بومدين: التصورات الاجتماعية للصحة والمرض في الجزائر، رسالة دكتوراه دولة في

علم الاجتماع، قسنطينة، 2004/2003 ص.31

4/ Serge Moscovisi : La psychanalyse son image et son public, op-cit, p. 81.

موجود في الواقع، فالتصور قولبة لما هو موجود فعلا، نتيجة الخصائص البنائية والاجتماعية التي تعطي التصور دلالة خاصة⁽¹⁾.

***التصور والإدراك:** ويعرف "موسكوفيسي" الإدراك على أنه: " فعل بنائي، حيث الفرد يفسر الأحاسيس التي يتلقاها ويضعها في علاقة مع بعضها البعض، ويعطي لها معنى خاص"⁽²⁾، وهو العملية التي يقوم الفرد عن طريقها بتفسير المثيرات الحسية، حيث تقوم عمليات الإحساس بتسجيل المثيرات البيئية، بينما يضطلع الإدراك بتفسير هذه المثيرات و صياغتها في صور يمكن فهمها⁽³⁾. فالإدراك إذن هو استقبال الذهن لصور الأشياء المدركة كما يبدو لنا، وكما تنقلها الحواس، في حين أن التصور يعتبر الوسيط الذي يجمع بين النشاط الإدراكي والفكري كما يقول " دويك Dwik": " التصورات تقود الإدراكات التي بدورها تنشئ التصورات"، ويرى "هيرزليش Herzlich" بأنه: " لا يظهر محتوى التصور كمعنى إدراكي إلا إذا ظهر على المستوى المادي"⁽⁴⁾، أي عن طريق التصور يمكننا إدراك المواضيع المحيطة بنا وجعلها في العالم المادي.

2-5/ مفهوم التصورات الاجتماعية:

رغم أننا تطرقنا إلى عدد معتبر من التعاريف حول المفهوم العام للتصور، إلا أن هذا لا يكفي للفهم الجيد لهذا المصطلح المعقد ألا وهو " التصورات الاجتماعية"، لذلك سنسرد جملة من أهم الباحثين الذين نشطوا في ميدان التصورات الاجتماعية وكيف يعرفونها:

* **سارج موسكوفيسي Serge Moscovici:** ودوما نذكر بأن "دوركيم" هو أول من تطرق لهذا المصطلح لكن تحت مفهوم التصورات الفردية والجماعية، وأن هذا المصطلح غاب زمنا طويلا ثم استعاد أنفاسه بفضل الباحث "موسكوفيسي" الذي يعرف التصورات الاجتماعية على أنها عبارة عن: " وقائع ملموسة تقريبا، وهي تدور، تتقاطع، تتبلور دون توقف، عبر كلمة ولقاء في عالمنا اليومي"⁽⁵⁾، أي أننا نتعامل بها في حياتنا اليومية، في تصرفاتنا ومبادئنا، وأفكارنا لكنها تظل محتفية، فقط تظهر من خلال هذه الرموز، ويعرفها أيضا بأنها: "نظام من القيم والمفاهيم والممارسات المتعلقة بمواضيع، مظاهر، وأبعاد الوسيط الاجتماعي التي لا تسمح فقط بتثبيت إطار الحياة، ولكن تشكل أيضا وسيلة توجيه وإدراك

1/ كترة بوجلال: طبيعة تصور معلمي الطور الأول والثاني لظاهرة سوء المعاملة، أطروحة لنيل شهادة الماجستير علم النفس العيادي،

جامعة منتوري، قسنطينة، 2001، ص. 32.

2/ وداد بوحوش: 2002، سبق ذكره، ص. 21.

3/ آرنوف وتيج: مقدمة في علم النفس، ترجمة عادل عز الدين الأشول وآخرون، دار ماكروهيل للنشر، القاهرة، مصر....

4/ C. Herzlich : la représentation sociale, in Serge Moscovici : psychologie Sociale, 2003, op-cit, p. 388.

5/ Dr Maache.Y & Chorfi M.S & Kouira.Aicha : les représentations Sociales, 2002, op-cit, p. 09.

للوضعيات وبناء الاستجابات...⁽¹⁾، وهي طريقة للتفسير والتفكير حول واقعنا اليومي، بحيث أن التصورات الاجتماعية حول موضوع معين هي التي توجهنا إلى سلوك ما دون غيره.

إن التصورات الاجتماعية عبارة عن: "شكل من أشكال المعرفة الخاصة بالمجتمع، إنها نظام معرفي وتنظيم نفسي كما تعتبر بمثابة جسر بين ما هو فردي وما هو اجتماعي، إذ تسمح للأفراد والجماعات بالتفاهم بواسطة الاتصال والذي يدخل في بنية ديناميكية المعرفة"⁽¹⁾، وهنا يعتبر "موسكوفيسي" التصورات الاجتماعية، همزة وصل ما بين الفرد والمجتمع، وإن كان لكل مجتمع نظامه الخاص به من جملة العادات والتقاليد. إنها تشير إلى: "شكل من المعرفة الخاصة، معرفة المعنى المشترك الذي من خلاله يوضح عملية تطور منتج وظيفيا واجتماعيا، كما أنها تشير إلى معرفة اجتماعية"⁽³⁾، كذلك فإنها: "تكتسي صفة اجتماعية لأنها مهياة وموضوعة على سيرورات التغير والتفاعل الاجتماعي لبناء وتكوين علم مشترك خاص بجماعة، إذن فهي توجه التصرفات والقرارات الفردية، وتسمح لكل طرف في المجتمع بالتحكم في المحيط الذي يعيش فيه"⁽⁴⁾.

وعليه فإن "موسكوفيسي" يرى أن للتصورات الاجتماعية دور في تفسير الوقائع وهيئة الفرد للاستجابة بطريقة محددة حول موضوع ما، وكذلك هي توجه سلوك الفرد وتقوده، وهي تتشكل نتيجة الاتصال الاجتماعي المتواصل، إذن يمكن أن نحدد مصطلح التصور الاجتماعي من خلال تعريفات "موسكوفيسي" انطلاقا من العناصر التالية: توفر الجانب المعرفي، توفر الجماعة المشتركة في التصور، التصورات الاجتماعية تقود وتوجه سلوك الأفراد، تهدف إلى تفسير وتشكيل الواقع، تتشكل من خلال الاتصال الاجتماعي بين الأفراد. ويشرح نمط هذه التصورات على أنها: "أنظمة من القيم، الأفكار والتطبيقات، حيث تكون الوظيفة مزدوجة، فهي في بادئ الأمر تؤسس وترتب نظام يسمح للأفراد بالتوجه والتحكم في محيطهم المادي، كما أنها تشمل الاتصال بين مختلف أعضاء الجماعة وتزويدهم بمرم لتعيين وترتيب مختلف جوانب أسلوبهم وتاريخهم الفردي والجماعي"⁽⁵⁾، بما أنها تتشكل من جملة القيم والأفكار وتطبيقاتها، فإنها تشترك بين كل أفراد ذلك المجتمع، كما تعمل على توحيد أفكارهم، وبالتالي تسهل الاتصال بينهم.

1/ C.Herzlich : Santé et maladie ; Analyse d'une représentation sociale, Paris 1969, in Serge Moscovici : Psychologie Sociale , 2003, op-cit, p. 388.

2/ Serge Moscovici: Les représentations Sociales in le grande dictionnaire de psychologie Larousse 1992 p668.

3/ Serge Moscovici : la psychologie sociale, 2003, op-cit, p. 360.

4/ Pascal Moliner : La dynamique des représentations sociales, 2001, p. 8.

5/ Serge Moscovici, in Gun. R. Semin : Prototypes et Représentation sociale, in Denise Jodelet : les représentations sociales, 1993, op-cit, p. 243.

* **جودلت Denise Jodelet**: وتعرف التصورات الاجتماعية على أنها: " طريقة استعمال لتفسير الحقيقة، للسيطرة على محيطنا وقيادتنا في المجتمع "(1)، أي بما نفسر الوقائع ونحكم على الأشياء. وفي تعريف آخر ترى، أن التصورات أو فعل التصور هو: " عملية عقلية وفكرية تحدث عندما ينشغل الإنسان بشيء، هذا الشيء يمكن أن يكون شخص، شيء جامد، حدث، فكرة، نظرية...، ويمكن لهذا الشيء أن يكون مجسد أو خيالي، وهي أيضا شكل معرف، مبنى اجتماعيا ومشترك، لها وجهة وغاية تطبيقية وتهدف إلى بناء حقيقة مشتركة خاصة بمجموعة اجتماعية "(2)، وهذا يعني أن الهدف قد يكون مادي أو معنوي، والتصور هو عملية فكرية تهدف لبناء الواقع. وقد أوردت "جودلت" جملة من التعاريف حول مفهوم التصورات الاجتماعية حيث عرفتها:

" هي شكل من المعرفة السارية والمألوفة والتي تشير إلى معنى ومفهوم مشترك "، وهي تتحدد وتميز بالصفات والخصائص التالية: (انظر إلى المخطط رقم 2).

- إنها مهياة ومقسمة اجتماعيا، وهي مركبة من تجاربنا ومن المعرفة، كما أنها نمط تفكير تنتقل وتستقبل من خلال العادات والتربية والاتصال الاجتماعي، أي لها صفة اجتماعية وهي مكونة من مجموع التصورات الفردية، ومن المعارف والعادات والتقاليد، وتستقبل من طرف الأفراد، وتنتقل من جيل إلى آخر مع حدوث تغيرات ضعيفة تخص العوامل الطائفية وليست النواة المركزية.

- لها هدف، وهو تطبيق النظام، والتحكم واستخدام المحيط، وتوجيه التصرفات والمسالك والاتصال.
- تشارك في بناء واقع مشترك (جماعي) بجملة اجتماعية أو ثقافية معطاة، وبناء عليها يغير الفرد من تصرفه تجاه موضوع ما، فيتشبث برأيه أو يلغيه، وهي تختلف عن الأحكام المسبقة، بمعنى أن التصورات الاجتماعية هي ظواهر معقدة دائما نشطة وفعالة داخل الحياة الاجتماعية، معقدة لأنها تتداخل مع المواضيع الأخرى كالاتجاه والصورة والاعتقاد...، ونشطة لأنها تنتقل من جيل إلى جيل مع تغيرات بسيطة، وكل هذا في الحياة الاجتماعية للفرد. إن التصورات الاجتماعية هي دائما تصورات لشيء ما (موضوع)، ولشخص ما (الفاعل)، ولمميزات الفاعل والموضوع تأثير عليها، كالتصورات الاجتماعية حول الأطباء والمهندسين والرؤساء والقادة، وكذا حول الموت والجنون والجنة والتعليم ...

كما ترى "جودلت" بأن مفهوم التصورات يكتسي بعدا اجتماعيا، وهي: " أنظمة تفسير علاقاتنا مع العالم ومع الآخرين، كما توجه وتنظم سلوكياتنا واتصالاتنا الاجتماعية ".

1/ Dr Maache. Y & Dr CHorfi. M.S. & Dr Kouira. A, 2002 , op-cit, p. 9.

2/ Denise Jodelet : Les représentations sociales, 1993, op-cit p. 37.

إن التصورات الاجتماعية هي: " ظواهر معرفية تعبر عن الانتماء الاجتماعي للأفراد من خلال استدماجهم لممارسات وخبرات ونماذج سلوكية وفكرية "، على اعتبارها جزء من تراثهم الاجتماعي والثقافي وتعود إليه بوجه أو بآخر.

هي بمعنى آخر شكل من أشكال المعرفة التي تختلف عن المعرفة العلمية، وتسمى عادة بالمعرفة العامة، أو المعرفة الساذجة، التي نجد لها كعنصر نشيط في صلب العلاقات الاجتماعية، لأنها تنشأ بعفوية وبطرق تدريجية، كما أنها تظهر بسبب مثير (رمز)، وبشكل عفوي وساذج وليس عن عمد. هذا الشكل من أشكال المعرفة يتضمن عناصر معرفية وإخبارية، وإيديولوجية، ومعارية، ومعتقدات وقيم، واتجاهات وآراء، وصور...، فبالنسبة إلى "جود ليت" فإن مفهوم التصورات الاجتماعية يرتكز على عمليتين أساسيتين هما: عملية معرفية، وعملية اجتماعية، أي أن الإنتاج الاجتماعي للتصور، أو ما يسميه كل من "Berger et luckeman" بعملية البناء الاجتماعي للحقيقة *la construction sociale de la réalité* (1)

وهذا يعني أن التصور الاجتماعي، إنما هو إعداد لبناء سيكولوجي واجتماعي وهذا حسب اتجاهين:
الاتجاه الأول: ينطوي على المحيط البيئي، باعتبار الشخص في تفاعل أو أمام منبه اجتماعي، والتصوير يظهر كحالة لمعرفة اجتماعية، كما يتناوله علم النفس الاجتماعي، زيادة على هذا وبما أن الإنسان اجتماعي بطبعه، فإنه يدمج في إعداداته المختلفة أفكار وقيم وأنماط من المجموعة التي ينتمي إليها والأيدولوجيا الشائعة.

الاتجاه الثاني: يركز على الجوانب الذاتية للفعالية التصورية، ويعتبر الإنسان كمنتج للمعنى، يعبر من خلال تصوره عن تجربته في المحيط الاجتماعي (2)، وحسب "Jodelet" فإن الهيئة العلمية أجمعت بالموافقة على تعريف التصورات الاجتماعية كما يلي: " هي شكل من المعرفة المهيأة والمقسمة اجتماعيا، لها رؤية تطبيقية وسارية لبناء حقيقة مشتركة وبجملة اجتماعية " (3).

* **أبريك Jean Claud Abric:** التصورات الاجتماعية هي: " حصيلة لنشاط عقلي يقوم بواسطته فرد أو جماعة بإعادة بناء الواقع الذي يواجههم وإعطائه معنى خاص " (4)، أي إعادة تشكيل أفكار أخرى عن العالم بشكل من الخصوصية لكل فرد، كما أنها نتاج وسيرورة لعملية ذهنية، التي من خلالها الفرد أو الجماعة تعيد بناء الواقع، وهي مستقطبة لدلالات خاصة.

1/ Denise Jodelet : les représentations sociales, 1993, op-cit, p. 36.

2/ أ. محفوظ بوشلوح: مداخلة بالملتقى الوطني حول العنف والمجتمع، CNFPH، مطبعة الضمان الاجتماعي، قسنطينة، ديسمبر 2001.

3/ <http://www.Iperlogo.it/gypsies/francais/cours/repres/caracter sociologique.htm>

4/ Abric.J.C:coopération, compétition et représentations sociales, causes et delval, 1988, p.64.

وكذلك يعتبر التصورات نتاج عمل ذهني حول موضوع معين، وتظهر بسبب الترميز لها، وعليه فإن التصورات هي عبارة عن مجموعة من الآراء، الاتجاهات، والمعتقدات، والمعلومات التي ترجع إلى موضوع ما أو وضعية معينة، فهي محددة في نفس الوقت عن طريق الفاعل نفسه (تاريخه، حياته) وعن طريق النظام الاجتماعي والإيديولوجي الذي يسير عليه، وأيضاً طبيعة الصلات والروابط التي تكون بين الفاعل والنظام الاجتماعي.

لا يوجد تعريف واحد، لكن الذي يهمنا هو الطبيعة الحقة للعوامل التي تشكل التصورات، ومن ذاك اتفق أغلبية الباحثين والكتاب على أن التصورات الاجتماعية هي مختلف الاعتقادات، الآراء، الاتجاهات المنظمة حول دلالة مركزية.

* **Willem doise & A. Palmonari**: والذي اقترح تعريف نفسي - اجتماعي للتصورات الاجتماعية، حيث عرفها كما يلي: " هي مبادئ عمومية للتكفل بوضعية مرتبطة بإدراج خاص ضمن مجموعة من المراتب الاجتماعية، منظمة بسيرورات رمزية متداخلة مع المراتب "(1)، أي أنها جملة من المبادئ المشتركة بين أفراد المجتمع تبرز من خلال رموز في أرض الواقع وهي متدرجة ما بين طبقات المجتمع .

* **Fisher فيشر**: يعرف التصورات على أنها: " بناء اجتماعي لمعارف عادية تهيئ من خلال القيم والمعتقدات، ويتقاسمها أفراد جماعة معينة، وتدور حول مواضيع مختلفة (أفراد، أحداث...)، تؤدي إلى توحيد نظرهم للأحداث، كما تظهر أثناء التفاعلات الاجتماعية"(2)، وهذا ما يعطيها صفة الاجتماعية لأنها مشتركة بين كل الأفراد، وبسبب احتوائها على كل العادات السائدة في المجتمع فإنها توحد نظرهم و بالتالي تصورهم.

* **كلودين Claudine Herzlich**: هذا الكاتب يحدد التصورات الاجتماعية كسيرورة لبناء الواقع، حيث يقول: " التصورات التي تمنا أولاً من خلال دورها في بناء الحقيقة الاجتماعية "(3)، أي أنها بناء عقلي مصمم غير قابل للفصل عن النشاط الرمزي للموضوع، وهي نفسها متضمنة في المجال الاجتماعي(4). لقد تعدى مصطلح التصورات الاجتماعية الإطار الفعلي المعرفي، حيث يقول "هارزليش": " ليست فقط مصفاة تأويلية (تفسيرية)، وهي ليست تطبيق سهل لشبكة كما يقوم بها بقوة الملاحظة الفعلية " .

1/ W. Doise & A. Palmonari : L'étude des représentations sociales, Neuchâtel, Delachaux et Niestlé, 1986, <http://www.serpsy.org/socio/livet2.html>

2/ Ficher Gustave- Nicolas : Les concepts fondamentaux de la psychologie sociale, Dunod, montréal, 1993, p. 118.

3/ C. Herzlich : Santé et maladie ; Analyse d'une représentation sociale, Paris, Mouton, 1969, p.24.

4/ C. Herzlich : La représentation sociale, in S. Moscovisi, (éd), introduction à la psychologie sociale (vol. 1), Paris, Larousse, 1972, p. 306.

* **مالريو Malrieu**: ويرى أن التصورات الاجتماعية هي عملية لها علاقة مع متغيرات اتجاه الشخصية، كما يعرفها بأنها: "شبكة من العلاقات المؤسسة عن طريق الفاعل اجتماعيا، تقع بين عناصر ووضعيات التي تهتم بحياة الفرد" (1).

* **M.J.Chambart** : يعتبر أن التصورات الاجتماعية تقع بين ما هو نفسي وما هو اجتماعي، فهي في نفس الوقت ميكانيزم نفسي بصفته تعبير للتفكير الإنساني، وميكانيزم اجتماعي بصفته إنتاج ثقافي، وهنا تسمح التصورات بالاتصال بين الأفراد وبصفة خاصة بين الأجيال (2).

* **Guimelli. Merahihi & Pénochet** : ويعتبران التصورات الاجتماعية: "المنتوج والسيرورة لنشاط ذهني بواسطته الفرد أو المجموعة تشكل الحقيقة (الواقع) وتواجهها، وتعطيها دلالات خاصة ومتميزة".

* **Di Giacomo**: يقول أن "التصورات الاجتماعية تشكل نماذج تفسيرية تصنف العلاقات بين مختلف الأشياء في البيئة"، ولتوضيح ذلك يضرب المثال التالي: ماذا تعرف عن الفيزياء النووية؟ وما هي البيوكيمياء؟ وما هو علم اجتماع المعرفة، أو ما هي الأيثولوجيا؟، ولعل كل واحد منا يملك خبرة ذاتية عن هاته المفاهيم، ولكنه لا يملك تعريفا دقيقا وكاملا عنها، إنه إلمام بسيط بالموضوع، وهو ما يسمى بالتصور الاجتماعي، كقول أحدهم: إن الأيثولوجيا هي التحليل النفسي للحيوانات، ولكن ما هو التحليل النفسي (3)؟

* **Jean Blaise Crise**: وبالنسبة إليه فإن التصورات هي: "شكل من المعرفة الخاصة، لا ترجع على معرفة علمية خاطئة أو غير صحيحة، فهي توظف محتواها داخل مجالات عديدة، فهي تعمل على طريقة الترجمة، الاقتباس، التشابه، وهي تنتج احتمال من أجل مقاومة، فهي متناقضة مع المعرفة وعدم المعرفة في علاقتها مع التطبيق" (4).

* **فرانسوا لابلونتين François Laplantine** : يرى أن مفهوم التصور لا ينتمي إلى ميدان تخصصي معين، فكثير من التخصصات في العلوم الإنسانية تناولته وأعطته معاني مختلفة، ولكن مهما كان الجانب الذي يتم التركيز عليه، فإنه لا يجب أن نتجاهل أن مفهوم التصورات يتضمن العناصر التالية:

- يقع التصور في نقطة الاتصال ما بين ما هو فردي وما هو اجتماعي .

1/ Malrieu.PH : Langage et représentation, La genèse de la parole, Symposium de L'association de psychologie scientifique de langage Française, Paris, PUF, 1977, in Denise Jodelet : Les représentations sociales, 1993, op-cit, p.324.

2/ Marie Josée & Chombart de Lauwe : La représentation Sociale dans le domaine de l'enfance, in Denise Jodelet: les représentations sociales, 1993, op-cit, pp. 324-326.

3/ Leyens Jaque-Philippe: Sommes nous des psychologues ?, 1983, op-cit, p. 19.

4/ Jean Blaise Grise : Logique Naturelle et représentations sociales, in Denise Jodelet : Les représentations sociales, 1993, op-cit, p.162.

- يقع التصور ضمن ثلاثة ميادين بحث وهي: الحقل المعرفي le champ de la connaissance، لأن التصور هو قبل كل شيء معرفة، ثم الحقل القيمي Le champ de la valeur، لأن التصور ليس معرفة فقط عند صاحبها بحيث لا يحكم عليها من حيث صحتها فحسب، بل هي معرفة جيدة أو سيئة، أي أنها تقييم، ثم يأتي الحقل العملي Le champ de l'action، فالتصور لا يمكن اختصاره في مجرد مظاهر معرفية أو تقييمية، إذ هو تعبير وبناء للواقع الاجتماعي في آن واحد، والتصورات ليست فقط وسيلة للمعرفة، بل إنها أدوات للعمل⁽¹⁾.

وبناء على ما سبق، يقترح " لابلونتين " التعريف التالي: " التصورات الاجتماعية هي التقاء الخبرة الفردية بالنماذج الاجتماعية حول طريقة تناول الواقع، إنها معرفة يبينها أفراد مجتمع معين حول جزئية من وجودهم أو حول وجودهم برمتهم، إنها تفسير اجتماعي للأحداث بحيث يصبح بالنسبة للأفراد المنتمين لذلك المجتمع الحقيقة ذاتها " ⁽²⁾.

وعلى ضوء ما سلف ذكره من تعاريف مختلفة للتصورات الاجتماعية، فإن هذه الأخيرة يمكن اعتبارها جملة من المعارف الاجتماعية والآراء والاتجاهات والخبرات التي يصدرها أفراد مجتمع معين حول موضوع أو حادثة، إنها وسائل توجيه ونظام للتفاعلات الاجتماعية بين الأفراد، تسهل الاتصال بينهم وتساهم في تفسير مختلف عناصر بيئتهم. إن عملية بناء الواقع تتم دائما بشكل جماعي، فمنذ نعومة أظافرنا تلعب المدرسة والعائلة والمسجد ووسائل الإعلام دورا أساسيا في غرس وترسيخ مبادئها ضمن طرائق تفكيرنا، كما تقترح علينا نظرتها نحو الأشياء التي تحيط بنا، وبعدها تعمل الجماعات والنوادي والجمعيات التي ننتمي إليها على تبادل الأفكار والقيم والنماذج، وكلها تساهم في تعديل إدراكنا للبيئة، لذلك يمكن القول أن معارفنا ومعتقداتنا وقيمنا هي التي تسمح لنا بأن نتقاسم مع الآخرين نظرة مشتركة للأشياء⁽³⁾.

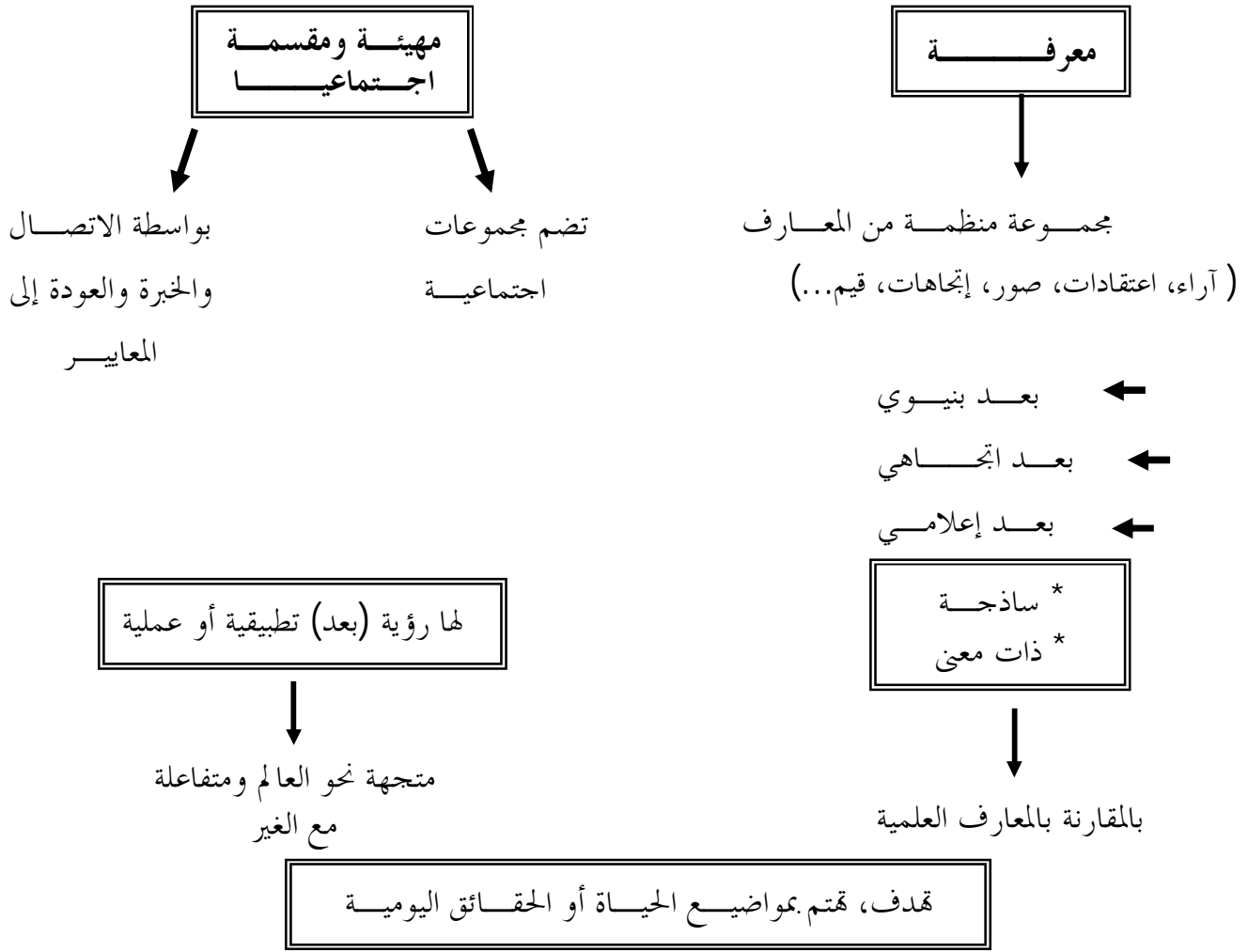
فالتصورات الاجتماعية حسب "جودليت " يتم بناؤها وتقاسمها اجتماعيا، لذلك نجد أن لها نظرة عملية وهي التحكم في البيئة وتوجيه السلوكات والاتصالات، كما تساهم في بناء واقع مشترك لأي جماعة ثقافية أو اجتماعية⁽⁴⁾.

1/ سليمان بومدين: التصورات الاجتماعية للصحة والمرض في الجزائر، 2003، سبق ذكره، ص 16.

2/ Laplantine François : Anthropologie des systèmes des représentations de la maladie, in Denise Jodelet : les représentations sociales, 4^{ème} édition, PUF, Paris, 1994, p. 278.

3/ سليمان بومدين: التصورات الاجتماعية للصحة والمرض في الجزائر، 2003، سبق ذكره، ص 17.

4/ Petard. J.P & al : Psychologie sociale, bréal, Paris, 1999, p. 161.



مخطط رقم 2

يوضح تعريف "جودليت" للتصورات الاجتماعية، وهو مخطط مجسد، وملخص لكل ما سبق تقديمه من جملة التعاريف للمفهوم العام للتصور وكذا التصورات الاجتماعية، ونستنتج أنه يمكننا الاستمرار في سرد التعاريف المختلفة لهذا المفهوم، لكننا لن نتمكن أبداً من الإلمام بها، ولا يمكننا حصرها جميعاً وهذا لا لسبب إلا لأنه مفهوم غني جداً، وكذا لاتصاله بأكثر من موضوع، وعليه فإننا نستنتج علاقة التصورات وتدخلها في عدة ميادين وسنأتي على ذكر ذلك لاحقاً.

2-6/ أنواع التصورات وأهميتها⁽¹⁾:

استناداً لما سبق ذكره من العناصر يمكننا وبإيجاز التطرق لبعض أنواع التصورات الأكثر شيوعاً وهي:

* **التصورات الفردية:** وقد سبق الحديث عنها في اللمحة التاريخية، وكيف أن "دوركيم" تحدث عنها، وحسب "J.Clenet" فالتصورات الفردية هي: "أي موضوع يمكن استنباطه إلى وضعية معاشة مما يعطيها معنى"، وأبعد من هذا فهي قائمة على خبرات فردية محايدة، أي تخص ذلك الفرد ونمط معاشه".

1/ <http://www.serpapay.org/socio/livet2.html>

* **التصورات الجماعية:** وهو المصطلح الذي اهتم به علم الاجتماع، وتدل على تصورات موزعة من طرف مجموعة اجتماعية لمصطلح ضمني مهم. وهو مفهوم مستعمل بشكل كبير في الأنثروبولوجيا ويعطي الأسبقية للتصورات الاجتماعية عن بقية العلوم الإنسانية.

* **التصورات الاجتماعية:** وهو مفهوم جد حديث برز في أعمال "موسكوفيسي" والذي اهتم بهذه التصورات كتفاعل بين الأفراد أو الجماعات، وهذا المصطلح يشير أكثر إلى التصورات التي تدرس ضمن دينامياتها وهيئها وحركتها إذن، في محتواها. وهذه التصورات الاجتماعية تدخل ضمنها التصورات الفردية والجماعية. (وقد تم تناول ذلك فيما سبق).

2-7/ أهمية التصورات الاجتماعية وعلاقتها ببقية العلوم:

تلعب التصورات دورا هاما في العلوم الإنسانية والاجتماعية، بحيث أن هذا المصطلح لقي الإصغاء والأهمية عند أغلب العلوم الإنسانية وبالخصوص عند:

- علم النفس المعرفي: الذي يحاول فهم الميكانيزمات العقلية (الفكرية) التي تخلق التصورات.
- علوم التربية: التي تحلل تأثيرها على التعليم والتعلم وكل ما يخص المنظومة التربوية.
- علم الاجتماع: الذي تطرق وعالج هذا المفهوم انطلاقا من دراسة الايديولوجيات.
- التاريخ: الذي اهتم بالذهنيات: (ثقافة، تفكير، ثم اتجاهات، سلوكيات وتصرفات جماعية لا شعورية).

- الجغرافيا: التي اهتمت بالأصل الاجتماعي لهذه التصورات.

- الأنثروبولوجيا، وعلوم اللغة والاتصال والإعلام و نماذج أخرى حسابية كالإحصاء...

وعليه يتضح لنا جلليا أهمية التصورات الاجتماعية انطلاقا من أهمية هذه العلوم التي هي على علاقة وثيقة بالتصورات، وهذا إن بين شيئا فإنما يبين قيمة التصورات في مجال البحث النفسي والاجتماعي.

2-8/ صفات (خصائص) التصورات الاجتماعية:

وحتى تكون هناك تصورات اجتماعية محضة وحققة، ومجسدة لكل التصورات الفردية داخل المجتمع، فإنها لا بد أن تتصف بجملة من الصفات، وسنحاول ذكر البعض منها:

- أ- **هي دوما تصورات لهدف ما⁽¹⁾:** بحيث لا توجد تصورات بدون هدف، مهما كانت طبيعتها مختلفة، لكنها دائما مهمة جدا، وبدون هدف لا توجد تصورات اجتماعية، وهذا الهدف يمكن أن يكون طبيعة مجردة مثل: الجنون والإعلام، أو ممكن أن يكون فئة من الأشخاص مثل: الأساتذة،

1/ Serge Moscovisi : Psychologie Sociale, 2003, op-cit, p. 368.

الصحفيون...، والموضوع يكون دائما في اتصال مع الفاعل (أو الشخص). فالتصور هو السيرورة التي من خلالها يؤسس علاقاته، كما أنه يكون هناك تفاعل بين الموضوع والفاعل، وكل واحد منهما يؤثر في الآخر. وفي كتاب "هارزليش Herzlich" الذي يحمل عنوان: "La santé et la maladie"، يقول "موسكوفيسي": "لا يوجد فصل بين العالم الداخلي والعالم الخارجي للفرد (أو للجماعة)، فالفاعل والموضوع ليسا بالضرورة مختلفان، كما أن تقديم الشيء هو إعطاء المثير والرد أو الإجابة، وهذا ليس رد فعل ولكن إلى أبعد من ذلك فهو مصدره". وفي دراسة التصورات إنما نهتم بدراسة ظاهرة التفاعل بين الفاعل والهدف "الموضوع و الهدف".

ب- لها صفة (معنى) تمثيلية صورية **l'aspect imageant(figuratif)** : وهي أهم صفة للتصورات، حيث تكون متلازمة للمعنى الدلالي لأي بنية تصورية، وكما يقول "موسكوفيسي": "تبدو ازدواجية، ولها وجهين منفصلين مثل وجه وظهر الورقة؛ وجهة تمثيلية وأخرى رمزية، ونكتب: التصورات = تمثيل (صورة) / المعنى⁽¹⁾، بحيث أن لكل صورة معنى ولكل معنى صورة (تمثيل)"، أي أن "موسكوفيسي" يرى بأن التصورات تظهر بوجهين متلازمين، ولكن منفصلين، ويشبه ذلك بوجهي ورقة، فالصورة والمعنى كلاهما يشكلان التصور الاجتماعي ولاغنى عنهما.

ج- لها معنى رمزي ودلالي **Elle à un caractère symbolique et signifiant** ⁽²⁾: إن مفهوم التصورات الاجتماعية هو نفسه متضمن في علم النفس الاجتماعي، وهذا بسبب تقصير النماذج الكلاسيكية، وبمساهمة النموذج السلوكي الذي يأخذ بعين الاعتبار علاقاتنا وتفاعلاتنا التي لها دلالات مع العالم حسب "فرانك" 1974، و"موسكوفيسي" في نقده لمفهوم الصورة، الآراء، والاتجاهات سنة 1969 وضح جيدا كيف يمكن لسلوكيات الأفراد أن تتغير، وذلك حسب العلاقة ما بين الموضوع والهدف، ولأن التصور إنما هو إعادة استذكار أو تقديم شيء غائب إلى الوعي، فإنما ذلك يكون من خلال احتفاظ الموضوع برموز تعبر عن كثير من المواضيع خصوصا المجردة، وبواسطة الاستذكار إنما يحاول إعطاءها المعنى والدلالة التي تفي بشرحها (بياجي 1968).

د- لها صفة بنائية (ذهنية) **Elle à un caractère constructif** : وما نستطيع قوله، أن هناك دوما جانبا من النشاط البنائي، وإعادة البناء في عملية التصورات ومسبقا على ميدان الاستقبال والإدراك، حيث يقول "بياجي": "الموضوع ليس سهلا ليمثل على سلسلة من الأجزاء المستقلة

1/ Serge Moscovici : psychologie sociale, 2003, op-cit, p369.

2/ Serge Moscovici : psychologie sociale, 2003, op-cit, p. 370.

والمنفصلة، وهو يقوم بتعديلها مسبقا بواسطة القانون، وتحدث اتزان جسمي وآلي، إنه العامل والفاعل في هذه البنية...⁽¹⁾. هذه الصفة للتصورات الاجتماعية إنما تحدث عندما يستدخل الفرد موضوعا خارجيا على المستوى الذاتي، فإنه يقوم بربطه مع مواضيع متواجدة من قبل في الدائرة الفكرية، فينتزع منه بعض الخصائص ويضيف له أخرى، وهذا ما يميز التصور عن باقي العمليات النفسية، فهو لا يعتبره مجرد تكرار أو إعادة إنتاج سلبى للموضوع، بل عملية تركيب وبناء ذهني، ويقول "Abric": " كل حقيقة هي تقديم، بمعنى موضوعة من قبل الفرد أو الجماعة، تكونت داخل نظامه المعرفي، وأدجت في نظام من القيم، وتخضع للتاريخ والبيئة الاجتماعية والأيدولوجيا المحيطة به "⁽²⁾.

ه- لها صفة الاستقلالية والإبداعية: التصور ليس إنتاجا بسيطا، لكنه ترتيب يستلزم في الاتصال جزءا مستقلا للإبداع الفردي أو الجماعي⁽³⁾، إن المحازات المسرحية والسياسية تسمح بتحديد جوانب أساسية للتصور الاجتماعي، وهذه الجوانب هي: مبدع، مستقل، فالتصور المسرحي يقدم بالصوت والصورة للعامة أفعال وكلمات تعيد تقديم بعض الأشياء غير المرئية: الموت، القدر، الحب...، وفي التصور السياسي المنتخب الممثل يأخذ المكان الذي يمثله، يتحدث باسمه، ويقرر له، من هنا يستغل مقارنة بما يتصور فهو يمتلك قوة مبدعة.

إن التصورات الاجتماعية لها تأثير على سلوكيات واتجاهات وتصرفات الأفراد، وقد ثبت ذلك في دراسات "هارزليش" في تصورات الصحة والمرض.

و- لها صفة اجتماعية: فالتصور يتحدد تبعا لبيئة المجتمع الذي يتطور فيه: " عندما نتوضع في مستوى اجتماعي حصر لتحليل فعل الذات الذي يصور الموضوع، يظهر أن التصور يستوجب دائما بعض الأشياء الاجتماعية "⁽⁴⁾. و لأن الفرد في مجتمعه يتفاعل مع غيره، فإن هذه التصورات تكتسي طابعا اجتماعيا بالإضافة إلى الطابع النفسي الذي يمثل آرائه ووجهة نظره الخاصة، ويعبر عن انفعالاته وتفكيره. وفي هذا الصدد فإن التصور هو عملية بنائية وإنتاج اجتماعي، حيث يتم بناؤه (التصور) خلال التفاعل والاتصال الاجتماعي، فالنشاط المعرفي للفرد يعطي له طابع اجتماعي، وهذا التطبيع الذي يضمن التنظيم الاجتماعي للمعرفة⁽⁵⁾.

وهكذا، ومن خلال ما سبق عرضه، فإن للتصورات الاجتماعية خمسة صفات تكسبها قيمة

ووزنا في العلوم الإنسانية والاجتماعية، وعليه فإننا وباختصار نعيد ذكرها كالتالي: (6)

1/ Serge Moscovici : psychologie sociale, 2003, op-cit, p. 370.

2/ J. C. Abric : pratique sociales et représentations, PUF, 1994, 2ème édition, 1997, p. 23.

3/ Serge Moscovici : psychologie sociale, 2003, op-cit, p. 363.

4/ Serge Moscovici : psychologie sociale, 2003, op-cit, p. 363.

5/ W. Doise : Les représentations sociales, un label de qualité, in connexion n° 51, 1988.

6/ Serge Moscovici : psychologie sociale, 2003, op-cit p. 371.

- هي دوما تصورات لهدف معين ولا توجد تصورات بدون هدف.
- تتصف التصورات بصفة صورية أو تمثيلية، فالمعنى والصورة يشكلان التصور الاجتماعي.
- لها معنى رمزي أو دلالي، فرغم غيابها في الواقع ووجودها في الماضي إلا إنها تبرز في كل سلوكياتنا من خلال جملة القيم الاجتماعية والأخلاقية المكتسبة من علاقة الفرد بمحيطه.
- لها صفة البنائية الذهنية: فهي نشاط ذهني كما عبر عن ذلك "بياجي".
- لها صفة الاستقلالية والإبداعية.
- لها صفة اجتماعية.

9-2/ وظائف التصورات الاجتماعية:

ونظرا لأهمية دراسة التصورات الاجتماعية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، فإننا سنركز في هذا الجزء على الوظائف التي من الممكن أن تؤديها التصورات، وهذا إنما يثبت قدرتها على التحكم في المحيط وتسيير التصرفات، وعلى العموم فإن التصورات الاجتماعية لها عدة وظائف رئيسية نذكر منها⁽¹⁾:

أ- **وظيفة معرفية Fonction de savoir**: تسمح بشرح الواقع وتفسيره، وحسب "موسكوفيسي" فإنها تساعد الأفراد على اكتساب المعارف وإدماجها في إطار مفهوم منسجم ومنسق مع نشاطهم المعرفي وقيمهم التي يؤمنون بها، كما أنها تقوم بتسهيل عملية الاتصال الاجتماعي بحيث تحدد الإطار المرجعي المشترك الذي يسمح بعملية التبادل بين أفراد المجتمع.

ب- **وظيفة الهوية Fonction identitaire**: تقوم التصورات بتحديد الهوية الاجتماعية، وتسمح بالحفاظ على خصوصيات الجماعات، كما أنها تساعد الأفراد على تمركزهم في الحقل الاجتماعي، وهكذا فإن التصورات الجماعية تقدم بطريقة ايجابية سلوكيات تلك الجماعة التي ينتمي إليها الفرد ومميزاتها من أجل الحفاظ على صورة إيجابية لهذه الجماعة.

إن التصورات الاجتماعية تساهم في عملية المقارنة والتصنيف الاجتماعيين، مثلا الشخص المعارض لرياضة "صراع الثيران" يرى في أمثاله أناسا لطفاء، بينما يرى في مؤيديها أفراد دمويين. وتقول "جودليت": "التصورات هي توزيع فكرة، لغة، وهي أيضا تأكيد لموقع اجتماعي مع هوية"⁽²⁾، أي أن الفرد يربط كل تصور بهوية أشخاص لهم صلة به مهما كان ذلك الموضوع، مثلا كالتصور الاجتماعي لمهنة التدريس عند الطلبة، فهو مرتبط بهوية الأستاذ الذي يقدم الدروس، حيث يعطيه هؤلاء هوية الشخص الوقور الذي يرتدي بدلة كلاسيكية، ويكون متقدما في السن، وبالإضافة إلى هذه الهوية

1/ Petard . J. P:et AL : psychologie sociale,op-cit, pp . 166 - 167.

2/ Denise. Jodelet : Les Représentations Sociale, 1993, op-cit, p. 372.

فإن هذا التصور يضم جملة الأطراف الأخرى كالمدرسة، ووسائل التدريس (الكراس، القلم، السبورة...).

ج- وظيفة التوجيه **Fonction d'orientation**: حيث توجه التصورات الاجتماعية السلوك والممارسات على ثلاث مستويات على الأقل:

- تدخل مباشرة في تعريف الغاية من الموقع، فهي التي تحدد نمط العلاقات المناسبة للفرد، فنحن نفضل مصاحبة الذين يشاطروننا نفس التصورات حول قضايا محيطنا مثلاً.

- تنتج التصورات نظاماً للتوقعات، فنحن نختار ونفسر كل المعلومات المتعلقة بموضوع معين حتى نجعلها مماثلة لتصوراتنا.

- إن تصوراتنا تؤثر على السلوك الذي نقوم به وحتى قبل القيام به أحياناً، فأتجاهاتنا وقولنا تؤثر على التفاعل الذي سيحدث بيننا وبين الآخرين، أي أن النتائج تحسم أحياناً قبل القيام بالفعل، فالتصورات تشكل أنظمة لفك رموز الواقع، ووظيفتها توجيه انطباعاتنا وتقسيماتنا وسلوكياتنا.

- تقرر التصورات السلوكيات والممارسات التي نقوم بها، إذ تحدد لنا ما هو مسموح به وما هو غير مسموح في موقف ما، وتلعب بالتالي دور المعايير.

د- وظيفة التبرير **Fonction de justification** (1): إن التصورات الاجتماعية تبرر المواقف والسلوكيات التي يقوم بها الفرد، فهي تسمح له بالتبرير القبلي، أي قبل أن يشرع في أي عمل، أو التبرير البعدي، أي بعد قيامه بسلوك أو فعل ما، فهي إذن تسمح بشرح المواقف في وضعيات مختلفة، وهذه الوظيفة في غاية الأهمية، لأنها تسمح للفرد بتقوية التمايز الاجتماعي بتبريره، وعليه يمكن باختصار ذكر أهم وظائف التصورات الاجتماعية في النقاط التالية:

- توجيه التصرفات والمراتب الاجتماعية.

- تبرير التصرفات والمراتب الاجتماعية.

- تسهيل الاتصال الاجتماعي.

- تأويل الحقائق اليومية وفهم الظواهر الجديدة والغريبة.

- إنشاء وحفظ الهوية النفسو-اجتماعية (جانب إيجابي).

إن هذه الوظائف الخاصة بالتصورات الاجتماعية إنما تسمح بتمييزها عن بقية الميادين الأخرى، وتمكن من الحفاظ عليها وتأويلها بالشكل الملائم.

1/ كتره بوجلال: 2001، سبق ذكره، ص 35.

2-10/ محتوى التصورات الاجتماعية:

من الصعب جدا البت في العناصر المكونة للتصورات الاجتماعية، وهذه الصعوبة مستقاة من صعوبة تحديد العناصر المكونة للآراء والمعتقدات والأشياء، وهذا كما سبق وأن اعترف بذلك "J.P.Codol"، وكذلك بسبب ما تحدث عنه "موسكوفيسي" حينما عرف التصورات على أنها: "عالم من الآراء Univers d'opinion، ليضيف "Kaës" مصطلح المعتقدات التي يقصد بها "التنظيم المستمر للمدرجات والمعارف المتعلقة بأحد مظاهر عالم الفرد". وعليه فإنه مهما تكن الطبيعة الدقيقة للعناصر المكونة للتصورات الاجتماعية، فإن هذه الأخيرة يتم تحليلها وفقا للعناصر الثلاثة التالية كما اقترحها "موسكوفيسي"⁽¹⁾.

أ- المعلومات Les informations:

إن دور المعلومات بكل أصنافها يشكل فرضية قوية جدا عند "موسكوفيسي"⁽²⁾ 1961، بحيث يرى أن المعلومات بكامل أنواعها تلعب دورا مهما في تهيئة التصورات الاجتماعية، وكذلك في تقييمها⁽³⁾ على اعتبار أن المعلومات هي جملة من الأفكار المكتسبة حول موضوع اجتماعي معين كما وكيف، وقد تكون هذه المعلومات في شكل قوالب جاهزة، أو عادية (أصلية)⁽⁴⁾، بحيث أن دراسة التصورات الاجتماعية لتحليل النفسي توضح جيدا كيف أن اختلاف التقارير المعلوماتية وكيف تكون تصورات مختلفة حتى ولو كانت نقاط الانطلاق مشتركة وتسمح للعوامل الاجتماعية بالبروز بشكل مختلف. وإذا ما تحدثنا عن المعلومات فجدير بالذكر أن نتطرق إلى كيفية تناقل هذه المعلومات، وعليه ذكر "موسكوفيسي" أن المعلومات والاتصال بأبعاده الاجتماعية المختلفة، إنما تؤثر على الدينامية الاجتماعية، وتؤثر على دينامية التصورات الاجتماعية، وهذه المعلومات تنتقل عن طريق وسائل الإعلام والاتصال، بأبعاده الثلاث ألا وهي:

- الاتصال اليومي ما بين الأفراد: ولأن التصورات إنما هي معارف مهياة وموزعة ومقسمة في المجتمع وهذا بجملة من العلاقات ما بين الأفراد بفعل التفاعل الاجتماعي، أي أن الاحتكاك بين الأفراد يسمح بنقل المعلومات وتداولها، وبالتالي نقل وعمل التصورات الاجتماعية.

1/ Herzlich. Claudine: La représentation sociale in S. Moscovici : introduction à la psychologie sociale, op-cit, p. 308.

2/ Nicolas Rousseau & Christine Bonardi : les représentations sociales ; état des lieux et perspectives, édition pierre Mardaga, éditeur Sprimont, Belgique, 2001, p. 181.

3/ Nicolas Rousseau et Christine Bonardi : les représentations sociales ; état des lieux et perspectives, 2001, op-cit, p. 179.

4/ W. Doise & A. Palmonari : Un nouveau champ d'études caractéristique des représentations sociales, Neuchâte, Paris, Delachaux et Niestlé, 1986, p. 20.

- الاتصال الإعلامي: والذي تتكفل به وسائل الإعلام والاتصال، وهي وسيلة جد هامة للديمومة التصورات، وقد ذكر "موسكوفيسي" أن: " الجهد الأساسي للمتكلم في عملية الانتشار La diffusion، هو جد مهم، وأن الانتشار هو نمط لعلم مشترك وموزع، وهي عملية ضرورية لنقل التصورات"، وقد ذكر أيضا عدة نقاط تساهم في هذه العملية، وركز على مفهومي الانتشار والدعاية " La propagation & la propagande".

- الاتصال مابين الجماعات⁽¹⁾: وتحدث عنه "روكات Rouquette" (1994-1996)، حيث أنه يشغل مكانة مهمة في سيرورة وانتقال التصورات، وتعتبر كإشارة متزامنة مع مختلف الجماعات، وهي تعرف به، والتصورات الاجتماعية هنا تكسب قيمة تجاذلية وتدور حول نفسها حسب نقطة التكيف، وحسب الهدف والعوامل المساعدة في تشكيلها، وهذه الأصناف الثلاث للاتصال إنما هي سبل لعمل وسيرورة التصورات الاجتماعية.

ب- حقل التصور Le champ de représentation:

يعبر أولا عن فكرة تنظيم المحتوى، إذ يوجد هناك حقل للتصور كلما وجدت وحدة هرمية للعناصر، كما يعبر عن غنى هذا المحتوى، وهذا يعني أنه يجب توفر حد أدنى من المعلومات القابلة للتنظيم، فحقل التصور مثله مثل مستوى المعلومات، يختلف من جماعة لأخرى، وحتى داخل الجماعة نفسها وفقا لمعايير خاصة، فبالنسبة لأصحاب المهن الحرة مثلا فإن حقل تصور التحليل النفسي يتضمن بعض المظاهر المشتركة، كتصوره الممارسة التحليلية وصورة المحلل النفسي، وتقييم العناصر المتسببة في اتساع نطاق التحليل النفسي، وبالمقابل نجد تباينا داخل نفس الجماعة تبعا لمعايير أيديولوجية حول قضية علاقة التحليل النفسي بالمشكلات الاجتماعية والعمل السياسي، ففي حين يرى اليساريون أن لا تداخل بين التحليل النفسي والمشكلات الاجتماعية، يرى بالمقابل اليمينيون والوسطيون أن المشكلات النفسية والاجتماعية والسياسية تنتمي إلى نفس المجال، ونستنتج من ذلك أن العوامل الأيديولوجية في مثل هذه الحالة لها دورا أساسيا في بنية حقل التصور.

ج- الموقف أو الاتجاه L'attitude⁽²⁾:

يعبر عن التوجه الايجابي أو السلبي حيال موضوع التصور، ويبدو أن بعد الاتجاه أسبق في الوجود من العنصرين السابقين، أي بعدي المعلومة وحقل التصور، فالإتجاه يتواجد حتى في ظل معلومات ضئيلة،

1/ Rouquette. M. L : Sur la connaissance des masses, Grenoble : presses, Universitaires de Grenoble, 1994, p. 185.

2/ سليمان بومدين : التصورات الاجتماعية للصحة والمرض في الجزائر، 2003، سبق ذكره، ص 20.

وحقل تصور قليل التنظيم، فطبقة العمال وبعض أفراد الطبقة الوسطى كان لهم اتجاهها واضحا حيال التحليل النفسي في دراسة "موسكوفيسي" رغم تواضع معلوماتهم حول هذه المسألة. إن هذا التحليل ثلاثي الأبعاد، يسمح لنا من جهة بتحديد محتوى التصورات والعلاقة بين أبعادها المختلفة، ومن جهة أخرى بإجراء دراسات مقارنة حول التباين بين مختلف الجماعات والتميز بينهم وفقا لتصوراتهم الاجتماعية.

ومما سبق يتضح لنا أن المعلومة، حقل التصور، الاتجاه، كلهم يشكلون الأرضية الخصبة للتصور، فمهما كانت المعلومة ضعيفة، فإن هناك حقل لها، ومهما كان الحقل ضعيف فإن له توجه نحو التصور، ومثال ذلك موضوع بحثنا، فحقل التصور للكتابات الجدارية عند النساء الماكثات في البيت هو محدود رغم ضعف معلوماتهن، لكن هن اتجاه ما نحو هذا الموضوع بأي شكل من الأشكال.

11-2/ مقاربات نظرية حول بروز مفهوم التصورات:

مع أننا تطرقنا فيما سبق إلى لمحة تاريخية عن نشأة مفهوم التصورات الاجتماعية، إلا أننا سندعم ذلك بجملة من المقاربات النظرية لتوضيح الرؤية أكثر حول بروز هذا المفهوم إلى الساحة العلمية وبشكل مثير وملفت للانتباه، وعليه فإن هناك عدة مقاربات نظرية تناولت هذا المصطلح وسعت جاهدة لتوضيح وجهة نظرها حياله ومن أهمها:

أ- المقاربة المبدئية L'approche Initiale:

إن مصطلح التصورات هو مصطلح قديم جدا، استخدم في الأصل من طرف الفلاسفة للبحث عن سبل وشروط المعرفة، وحسب " إ. كانط " (1804 - 1724) الذي يرى بأن: " أهداف معرفتنا ليست إلا تصورات ومعرفة لحقيقة نهائية ومستحيلة، فإن معارفنا هي منتوج لفئات ذهنية، المجال الثلاثي الأبعاد، تواجد وكيونة التلاحق (التواصل) الخطي للوقت - المنطق الشكلي - هذه الفئات لا تدل بالضرورة على البنيوية أو على عرض للحقيقة نفسها". (J.C Ruano - Borbalan 1993)⁽¹⁾، حيث يشير "كانط" وكما شرح ذلك " Borbalan " إلى تحليل شروط المعرفة التي هي إطارات ذهنية (عقلية) حين نجسها ولكي نعرف لا بد أن نأخذ بعين الاعتبار الازدواجية أو الثنائية التالية: الهدف الدراسي / الموضوع المدروس، في شتى نطاقات الأبعاد. أي أن تعميم فكرة من أجل التعرف لا بد من الاهتمام في نفس الوقت بهدف الدراسة والفرد المدروس⁽²⁾. لقد أرجع "موسكوفيسي" إلى كل من "G. Simmel" (1858 - 1918) و" M. Weber" (1864 - 1920) أصل ومنبع فكرة التصورات في مجال علم

1/ Dr Maache. Y & Dr Chorfi. M.S. & Dr Kouira. A, 2002 , op-cit, p.3.

2/ Les approches des représentations sociales ,Internet.

الاجتماع⁽¹⁾. وكذلك أسندت إلى "دوركيم" (1858-1917) أبوية مفهوم التصورات، وهي حسبه: "طبقة واسعة من الأشكال الذهنية أو العقلية (علوم، ديانات، طقوس، فضاء، وقت...) للآراء وعلوم بدون تمييز. إن هذا المفهوم متكافئ مع هذه الفكرة أو هذا الأسلوب، صفاته المعرفية ليست دقيقة". إنه يفرق ما بين التصورات الجماعية والفردية، حيث يعتبر أن قوة التصورات الجماعية هي المسيطرة، كما أنها تستمد قوتها من التصورات الفردية. لقد استعمل "Durkheim" هذا المصطلح من أجل تحليل ميادين اجتماعية مختلفة على اعتبار أنها: "الفرضية التي تمكنا من شرح الظواهر انطلاقا من التصورات والأحداث التي تحوّلها"، وفي مقال مشهور له نشر في مجلة الميتافيزيقيا والأخلاق عام 1898، قارن ما بين التصورات الفردية والجماعية، واعتبر أن هذه الأخيرة موضوعا مستقلا للدراسة، وأكد على خصوصية التفكير الجماعي بالنسبة للتفكير الفردي، وعند هذا السوسولوجي، الأنظمة الأولى للتصورات هي أن الإنسان والعالم لهم أساسيات وأصول دينية، والمجتمع هو الحقيقة الثرية، لها صفاتها الخاصة، لا يمكن إيجادها، أو حتى لا نجدتها تحت نفس الشكل في بقية الكون، وعليه التصورات تشرح إذن كل شيء بما فيه المحتوى، حيث تكون فردية محضة، ويمكن أيضا تأكيد بالتقدم حيث الأولى تضيف شيئا ما إلى الثانية (الفردية والجماعية).

وبعد "Durkheim" يأتي "Lucien Lévy Bruhl" (1857-1939)، الذي طبق هذا المفهوم في دراسة الاختلافات ما بين المجتمعات البدائية والمجتمعات المتطورة لأجل استخراج أهمية الاختلاف في التصورات للقوانين الطبيعية (قوانين الروحانية أو الصوفية عند المجتمعات البدائية، والقوانين المنطقية عند المجتمعات المتطورة) التي يتولد عنها تصورات مختلفة للوقائع تتج أنماط حياة مختلفة.

وعند "Moscovici"، فإن تحليلات "Lévy Bruhl" بدأت باستخراج البنيات الفكرية والوجدانية للتصورات على العموم. ويضيف: "... من خلال الطرح النفسي والشكل الذهني الذي يلصقها Lévy Bruhl، يأخذ بعين الاعتبار التماسك بين المشاعر والوقائع، وأحداث الحياة العقلية الجماعية"، مع العلم أن هذه الرؤى اهتم بها فيما بعد من طرف النفسانيين. ويضيف هذا الباحث: "إن الأفراد يفاجئون بنظام التصورات المسيطرة على المجتمع، وفي إطارها التي تفكر وتشرح جيدا مشاعرهم، وهذه التصورات تختلف حسب المجتمع الذي ولدوا فيه وتواجدوا فيه، حيثما كانوا، فكل نمط ذهني (عقلي) هو مرموز ومتعلق بنمط المجتمع، حيث المؤسسات والتطبيقات الخاصة به"⁽²⁾، أي أن التصورات تختلف باختلاف المجتمعات ونمط الحياة فيها وكيفية بنائها. ولعل "Lévy Bruhl" هنا إنما يوحى بأهمية

1/ Les approches des représentations sociales ,Internet.

2/ Denise Jodelet : Les représentations sociales ,1993, op-cit, p.67.

التصورات الجماعية وسيطرتها على التصورات الفردية، حيث يقول: "يجب إذن التحلي في البداية عن جمع العمليات الذهنية في نمط وحيد مهما كانت المجتمعات المعنية، وشرح كل التصورات الجماعية بواسطة ميكانيزم نفسي منطقي دوما هو نفسه، وإذا كان صحيحا بأنه توجد مجتمعات إنسانية تفرق ما بينها بسبب بنيتها، مثل الحيوانات اللافقارية المختلفة عن الحيوانات الفقارية، فإن دراسة المقارنة لمختلف أنماط الذهنيات الجماعية ليست على الأقل ضرورية لعلم الإنسان، حيث التشريح وعلم النفس المقارن ليسا كما في البيولوجيا"⁽¹⁾.

ب- **المقاربة النفسانية L'approche Psychique**: ويعتبر "موسكوفيسي" أن "بياجي J. Piaget" هو أول من تعمق في دراسة الميكانيزمات النفسية والاجتماعية الضرورية، والتي هي أصل ومنبع للتصورات وتحركها. إنه يدخل القطيعة مع "دوركيم"، ويستنتج أنه إذا ما كانت التصورات الجماعية موازنة مع التصورات الفردية (أي تطور) للطفل فإنه بالنمو يكتسب استقلالية في تصوراته الخاصة، والتي تتحرك من خلال توظيف مراتب متعاقبة يمر بها الطفل خلال نموه النفسي والمعرفي وحتى الاجتماعي، ويتقابل مع المجتمع، بحيث يستخدم الخضوع في مرحلة الطفولة والتعاون في مرحلة الرشد، وبهذا فإن "Durkheim" يفترض حدوث تجانس للتصورات المنقولة (المحوّلة) نحو الأجيال، وهذا طبعا في قالب اجتماعي محض⁽²⁾. وحيث أن "دوركيم" يقدم لنا الطفل على أنه: "لا يعرف أي مجتمع سوى مجتمع الراشدين (الذي يكونه الراشدون) ونقصد به المدرسة، حتى أنه (دوركيم) أهمل كليا تواجد مجتمعات عفوية للأطفال ولأحداث متعلقة بالاحترام المتبادل".

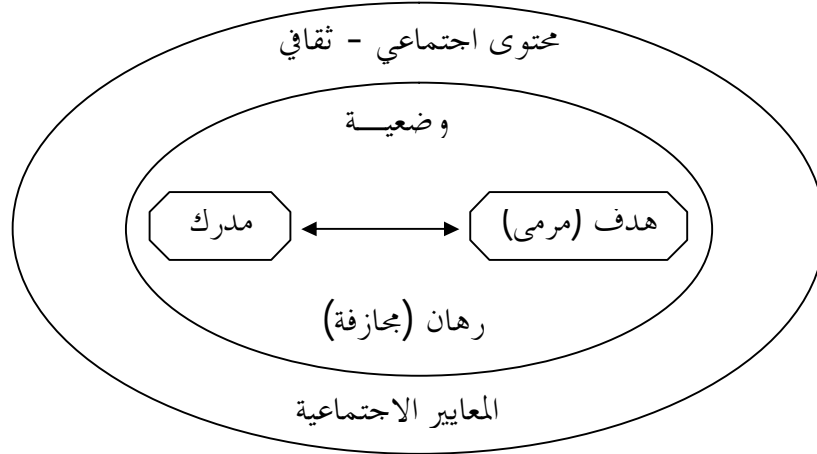
لقد أسند "موسكوفيسي" إلى "فرويد S. Freud" (1856- 1939) تحليل لمنشأ التصورات الفردية عند الطفل، وهذا بالمواجهة مع فعل (بحث واسكشاف الطفل) التصورات الفردية المسبقة، والتصورات الجماعية (الآتية من طرف الأولياء) وتأثيرها على الشعور واللاشعور، لقد استخلص من دراسة "Freud" أنها: "أنها تظهر بواسطة بعض السيرورات المجهولة حتى الآن، التصورات تمر وتحدث في حياة الكل وضمن حياة كل فرد من مستوى شعوري (واعي) إلى مستوى لا شعوري". ومقارنة مع الدراسات التي قام بها بقية الكتاب يستنتج "موسكوفيسي": "أن التباعد بين العناصر الجماعية والعوامل الفردية تأخذ على الأقل أكبر نظرة من أجل النهاية إلى الأبعد"، وهذا الذي قاده سنة 1961 إلى تحديد دراسة التصورات واعتبارها "ظاهرة ملموسة".

1/ Lévy Bruhl : Les fonctions Mentales dans les sociétés inférieures, Paris PUF, in Denise Jodelet : les représentations sociales, 1993, op-cit, p.67.

2/ J.Piaget : Le jugement morale chez l'enfant, ALcan ,p.412, in Denise Jodelet : les représentations sociales ,1993, op-cit, p. 73.

ج- مقارنة علم النفس الاجتماعي: إن مفهوم التصورات قد عرف منذ أربعين سنة العودة التي كانت مرتبطة بتغير اجتماعي، ولكن كذلك مع تعديلات نموذجية في فرنسا، ومع المختص النفس- اجتماعي " Serge Moscovici " سنة 1961، مفهوم التصورات الاجتماعية هيئ بشكل حقيقي في إصداره " la psychanalyse son image et son public "، حيث أراد أن يبرز نظرية علمية جديدة مجسدة ضمن ثقافة معطاءة ومنقولة في وسط هذه السيرورة. ومثلما هي كذلك متغيرة وغير ثابتة بتغير نظرة الناس وبمرور الوقت وحسب الظروف المعاشة. لقد أراد "موسكوفيسي" في دراسته الضخمة للتصورات أن يفهم كيف تنتشر نظرية علمية لدى الجمهور، وما هي التغيرات التي تطرأ عليها، وأشار أنه لا يوجد تصور واحد للتحليل النفسي، وإنما تصورات عدة، تختلف في المحتوى ومستوى البناء والتوجه العام للتحليل النفسي وحسب الانتماء الاجتماعي. ويقول: " إن الثورة حدثت بواسطة الاتصالات، انتشار المعارف العلمية والتقنية، حولت أنماط التفكير وخلقت محتويات ومضامين جديدة"، ويضيف: " هي المصطلح أو العلم الذي لا يترك امتياز للفرد أو امتياز محدود ومفاجيء من خلال مسيرتها كلها كمجموعة تحول، والتي توجب تغير المحتوى والبنية، البنية الجديدة تجسد تصورات بمعنى جدي للكلمة، وفي نفس الوقت مجردة ومصورة مذكورة وملموسة ". هذه العودة للبحث صاحبت تغيرات نموذجية، فالتصورات الجماعية حسب " دوركيم " تعني الأهمية للمصطلح والمحتوى، وهي ربح أو خسارة للتصورات الاجتماعية، وهذا يعني ولادة للتفاعل الفردي والجماعي، فيقول: " نعترف بأن التصورات هي في نفس الوقت مولدة ومولودة (منتجة)، وبإزالة هذا الجانب المسبق الإحصائي الذي كان في النظرية الكلاسيكية، إنها ليست أساسيات وإنما تفاعلات قائمة ". هذه المقارنة الجديدة تسمح بمعرفة التغيرات الاجتماعية و الفردية: " وهذا لا يعني فهم التقاليد فقط، وإنما الابتكار أيضا، كما أنها لا تعني حياة اجتماعية قد سبقت وكانت، وإنما حياة اجتماعية في طريقها إلى الذهاب ". وأضاف "موسكوفيسي" آخر المفاهيم التي اتصفت بها التصورات اليوم، حيث قال بأنها: " منتجة من طرف أشخاص مختصين، وهذا الذي يعطيها صفة بعض الاستقلالية، نحن نعلم بأنه توجد بعض الفئات من المجتمع من الأشخاص الذين يحاولون صنع الأحداث، وهذا الذي يمكن من انتشار المعارف العلمية: أطباء، علاجيين، عمال اجتماعيين، منشطون ثقافيين، مختصون في الإعلام والاتصال والتسويق السياسي...، والأخذ بعين الاعتبار الانتماء إلى صناعات الطقوس والحضارات الأكثر قدما، معارفهم المعمولة مرمزة ومنقولة، وتعتبر كمرجعية بالنظر إلى ما سبق من بعض الأوليات " .

ولعل الكل يجمع على أن بناء وتشكيل مفهوم التصورات حسب "موسكوفيسي"، إنما يرجع على علم النفس الاجتماعي وأنه ذو أصل فرنسي محض.



مخطط رقم 03

د- مقارنة علم النفس الجيني (علم النفس للنمو المعرفي 1980-1996)⁽¹⁾: لقد نشر "جون بياجي" سنة 1946 في كتابه أن: "تكوين الرمز عند الطفل هو التقليد، اللعب، الحلم، والصورة والتصورات"، مبرزا قدرة التصورات التي تقدم كسيرورة لتقليد واستعمال الصور الذهنية، فالطفل منذ الشهر 18 يملك القدرة على الترميز التي تبدو في اللعب بفضل سيرورتي: التقليد، التمثيل. كذلك حسب هذا الكاتب، التصورات هي: نظام لقواعد بمستوى، حيث العضو يحتفظ بصفات محيطه، وهذا يعني إدراك واسع لجميع السيرورات المعرفية التي تحل محل تصورات الميلاد". ويقول أيضا: "إن الطفل واقعي لأنه يفترض أن التفكير متصل بهدفه حيث الأسماء مرتبطة بأشياء مسماة، وحيث الأحلام هي خارجية"، أي أن الطفل يتعامل مع معطيات محيطه الملموسة والمجسدة ولا وجود للتفكير الخيالي، إنه يجعل من التصور الذهني الهدف الذي يسعى ليقى رمزي. وهذا المفهوم للنشاط الذهني له إبداعه واستقلاليته... الخ، حيث أن "بياجي" يغير في نظريته المتقدمة للنمو المعرفي، وعليه من أجل التطويق والتحكم في هذه التصورات وضع أو صاغ مشكلتين رئيسيتين هما:

- الأولى: مرتبطة بمفهوم الحقيقة، وي طرح عدة تساؤلات منها: ما هو نموذج التفكير الطفلي (عند الطفل)؟ أي تفكيره، هل هو مصبوغ (متصف) بالحقيقة؟، وبمصطلح آخر هل يفصل بين عالمه الفعلي وعالمه الداخلي الذاتي؟، أي كيف يفكر الطفل؟، هل يربط جملة أفكاره وإدراكاته الداخلية الكامنة فيه بمقتضيات المحيط أو لا؟.

1/ J.Piaget : La représentation du monde chez l'enfant, Paris, édition PUF, 1972, p. 107, in Denise Jodelet : les représentations sociales, 1993, op-cit, p. 72.

- الثانية: متعلقة بفكرة السببية الطفلية، كيف يفسر الطفل ظواهر العالم الخارجي؟. ولأن التصورات صعبة التطويق، توصل "بياجي" إلى اقتراح تقنية خاصة ومتميزة، لقد حذر من طريقة الاختبار والتي هي حسبه غير قادرة على السماح بتحليل شامل، حيث يقول: "الاختبار غير مجدي لعدة نقاط ووجهات نظر...، إنه يخاطر بترك (المرور على) أسئلة مهمة، فوائد عفوية لمطالب بدائية...". إذا ما هي الطريقة المثالية حسب "بياجي" لدراسة التصورات عند الطفل؟

لقد اقترح طريقته العيادية مع استخدام وسائل مهمة كالملاحظة المباشرة، التي تسمح بدراسة تساؤلات عفوية عند الطفل، وتوصل إلى تطويق فوائد الأطفال بأعمار مختلفة، والمشاكل المطروحة. وأثناء تطبيق هذه الطريقة ظهرت عدة عقبات من نوع: عدم القدرة على تفهم واستيعاب الواقعي الوهمي، لعب الاعتقاد عند الطفل؛ ومن أجل كل هذا، فإن "بياجي" يعلمنا باقتراح طريقة أخرى أكثر فعالية لدراسة التصورات. هذه الطريقة كما يقول: "تجمع وسائل الاختبار والملاحظة المحضة، إنه إذا اختبار عيادي يجب وضع السؤال الثاني: هل الطفل يدرك الحقيقة الخارجية لنفسه؟".

وإذا كان منطق الطفل لا يأتي بالشدة ولا بالموضوعية، فهذا بسبب الأنانية الفطرية التي تتعارض مع تنشئته الاجتماعية، لكن ما هي هذه التنشئة التي تبدو ذات أهمية في نظرية بياجي؟. إنها محددة بدنيامية للتقارير المتداخلة بالطفل مع الأشياء، وكيف يمكن للطفل أن يفصل نفسه لتكوين تصورات موضوعية عن الحقيقة؟. ومن أجل ذلك اعتمد "بياجي" ثلاث مراحل:

- الأولى تمثل عاملا جد عفويا، الطفل يعتقد بأن تفكيره مع فمه، وأن هوية التفكير في الصوت، التفكير مسقط مع الأشياء المادية والكلمات التي تخرج الأشياء.

- الثانية ملاحظة بواسطة تدخل الراشد، الطفل يأخذ ما يفكر به مع رأسه أي له صوت في رأسه.

- الثالثة ملاحظة بواسطة تدمير الماديات للتفكير، إنه يستخرج مفهوم المادة الفيزيائية. وكذلك حسب "بياجي"، التصورات هي: "ميكانيزم جد مهم بحيث يستعمله الطفل خلال نموه المعرفي، إنه يسمح له بترجمة (تأويل) الأحداث للوسط الخارجي انطلاقا من أفعاله وخبراته الداخلية، إنها مجهزة بمعلومات من أجل تعديل التنشئة". كما وضع أيضا أصوله على اتصالية النمو الحس-حركي، حيث الوظيفة المبدئية تعقد العلاقات مع العالم الخارجي، إنها إذن خلاصة استبطان مخططات الحس-حركية، يبدو في محتوى التقليد الذي هو وسيلة مهمة تسمح بالمرور منها إلى الرمزية.

الصورة الذهنية تتكون بواسطة التصورات التي تحمل الميلاد في تلك التي سماها بياجي "بالتقليد المؤخر". أن التصورات المصممة من طرفه هي سيرورة مستقلة عن تأثير الوسط (هذا ما هو مهم حتى في النظرية البنائية التي تعطي الأولوية للموضوع من طرف تقارير المحيط)، بحيث أن المفهوم الاجتماعي للتصورات

لا يبنى إلا متأخرا، هذا الذي جلب انتقادات كثيرة لا سيما عند: " Brunery & Vygotsky " اللذان يؤكدان أن السيرورة المعرفية للتصورات متصلة، والاستيعاب الثقافي للأهداف والقيم اللازمة مع الوظائف الاجتماعية. وعند "Wallon"، التصورات هي سيرورة للوساطة ما بين الموضوع والعالم، إنها تبدد التعارض الذي تتصف به علاقات الطفل مع وسطه، وعلى عكس "بياجي"، فإن " والون " يؤكد الأهمية المركزية للدور العاطفي في النمو المعرفي. إنه يغير الأمكنة التي تتواجد ما بين شخصية الطفل التي تعطي الأصل في الانفعالات والدوافع الحركية والنمو المعرفي. بينما يرى "بياجي" أن التصورات تأخذ الأصل في التقليد وهي تكتمل مع اللغة، إنها لا تكون باستعمال في المواجهة الرمزية للغة، إن لها بعض مستويات اللغة والوظيفة الرمزية.

ه- مقارنة علم النفس المعرفي: ويميز فيها بين معنيين للتعبير عن التصورات: واحد يعني سيرورة التأويل (ترجمة)، والآخر يطبق لإنتاج هذه السيرورة (معارف أو معتقدات)، وأكثر من ذلك توجد أشكال كثيرة من التصورات، حيث يقول " بياجي ": " الصور الذهنية، المفاهيم، والتصورات متصلة بالحدث، الصور الذهنية تأخذ بعين الاعتبار العوامل الوصفية (صفات) للاستقبال المرئي: الشكل واللون وحجم الأهداف، وكذلك توجههم في الفضاء، التصورات المفهومية (المنوية) إنما هي جد متصلة باللغة، بمصطلحات كذلك مختلفة كالسياسية، الاتصال، الحزن، تغير من هذه المقاربة حتى إذا كان من الممكن فصل (عزل) التصورات الصورية عن هذه الكلمات، إن التصورات متصلة بقيام معنى بالعلم الذي نحن نقدمه للموضوع بطريقة، كالقيام بنشاط وهذا يطبق على معطيات كذلك مختلفة كما في وصفة المطبخ، أو هي أيضا الطريقة لخوض تجربة علمية، هذا العلم يأتي على الأفعال التي نحن نحاول تحقيقها أولا (1)".

2-12/ التصنيف الوصفي للمواضيع التي تناولت بالدراسة التصورات الاجتماعية:

هناك برتبيات كثيرة أثبتت أنه هناك عدة تخصصات مرتبطة ببعضها البعض، والتي تناولت بالدراسة التصورات الاجتماعية، وهذه التخصصات إنما تحصى جملة المواضيع المدروسة المحتفظة في الأذهان، وهناك العديد من المساعي لترتيب جملة المواضيع للتصورات والتي هي على الأقل تعكس ترتيب حقيقي وترقيم بسيط تثبت كلها المكانة الجيدة التي تحتلها التصورات في قائمة البحوث، وتثبت شمولية هذا المفهوم وامتيازته على بقية الطرق العلمية، وعليه سنحاول حسب Christine Bonardi & Nicolas Roussiau ذكر بعض هذه التصنيفات (2):

1/ Dr Maâche. Y & Dr Chorfi. M.S & Dr Kouira. Aicha : La représentation sociale, 2002, op-cit, p. 6.

2/ Christine Bonardi & Nicolas Roussiau : Les représentations sociales ; état des lieux et perspectives, édition Pierre. Mardaga, Belgique, 2001, p. 23.

أ- **موسكوفيسي**: إن جملة البحوث الملاحظة في ميدان التصورات تجمع على أنه هو من قام بترتيبها، انطلاقاً من بروز وتساعد التصورات إلى مستوى أحد المجتمعات، والمهم هو بروز نظريات علمية أكثر دقة وملائمة، هذا التنظير من خلال المعنى المشترك وكذا بروز أحداث اعتيادية.

- في الملائمة (تخصيص) العلمية نجد أن أفضل مكانة تحتلها تصورات التحليل النفسي لموسكوفيسي عام 1961، والتي ترجع إلى انتشار اجتماعي لنظريات علمية، هذه الأعراف إنما سميت بالتعميم العلمي *Vulgarisation Scientifique* برزت في أبحاث: (Barbichon 1972, Ackerman & zigouris 1966,) (... Barbichon & Moscovisi 1965).

- المرور بالتغيرات الاجتماعية والتقنية، هو فرصة لتحديد وتقييم التصورات مع الوقت والتقارير ما بين التصورات والتطبيقات الاجتماعية، وهذا ما اشتهر لاسيما في أعمال: المرض العقلي (Jodelet 1989)، الجسم (Jodelet 1976)، الجماعات والعلاج النفسي (Kaës 1976)، الصحة والمرض (Herzlich 1969).

- المحيط والفضاء الفيزيائي (المادي)، الاجتماعي والثقافي، هي كذلك حاملة للتصورات تبدو ظاهرة أكثر من السابقة بالوظائف اليومية، إننا نحصى الأعمال على الصورة لمدينة باريس (Milgran & Jodelet 1976)، الثقافة (kaës 1968)، العلاقات بين الجماعات (Quaglino 1979)، الطرق التربوية (Gorin 1980)، أو الطفل (Chombart de Lauwe 1963-1979).

- يمكن كذلك إكمال هذه الترقية بواسطة أبحاث، خاصة المقامة على طريقة المقاربة التجريبية⁽¹⁾ واستخراج أهداف ومواضيع اجتماعية كثيرة وأكثر تمييزاً من تلك السابقة، وعلى سبيل المثال نذكر: أثر التصورات على السلوك في وضعيات تناقسية (Faucheux et Moscovici 1968)، تصورات الذات والجماعة والالتزام " شغل " (Codol 1974)، حلول المشاكل (Abric 1976)، أو تصورات الجماعة (Codol et Flament 1971).

ب- **جودليت Jodelet**: في سنة 1948، عندما فصلت في الميدان بستة (6) رؤى، كل واحدة تشكل حقل التصورات الخاصة:

- **الرؤية الأولى**: مرتبطة بالنشاط المعرفي المحض، وبواسطتها يمكن للفرد أن ينشأ تصورات، بحيث أنه هناك بعدين يؤديان إلى التصورات الاجتماعية: أحدهما مضموني، بحيث أن الفرد في وضعية تفاعل اجتماعي أو مقابل منبه اجتماعي، حيث تبدو التصورات كحالة للمعرفة الاجتماعية وبالضبط تناو لها

1/ Christine Bonardi & Nicolas Roussiau : Les représentations sociales ; état des lieux et perspectives, 2001, op-cit, p. 24.

علم النفس الاجتماعي؛ والثاني إنتمائي، حيث الموضوع أو الفرد، هو موضوع اجتماعي ويجب أن يستدعى لتكوين الأفكار، القيم، والنماذج التي يستوحىها من جماعته التي ينتسب إليها، أو من الإيديولوجيات السارية في المجتمع. الدراسات التحريية للتصورات في ترتيبها للتصرفات، تضم في الأغلبية هذه الرؤية أو المقاربة (J. P. Abric 1971-1972-1982 a et b ; E. Apfelbaum, 1967 ; J. P. Codol, 1969-1970 a et b ; C. Flament, 1971-1979..ext⁽¹⁾).

- **الرؤية الثانية** : ونقصد بها العمل الفردي لإنتاج المعنى الذي سوف يبرز في خلق التصورات، إنتاج لن يكون أفضل إذا لم يستوعب بمقاييس اجتماعية (نظام التشفير أو الرموز، قيم، مبتغى ...)، التي هي أصل التصورات المبنية اجتماعيا (Kaës 1968, Herzlich 1969, Chombart de Lauwe 1976-). 1979 .

- **الرؤية الثالثة**: حينما توظف التصورات كخطاب في الاتصال الذي يكسبها خاصيتها الاجتماعية، الكل كما في الالتحام الجماعي للأفراد المتصلين ببعضهم (Lipiansky 1979, Windisch) (1982).

- **الرؤية الرابعة**: تعتبر أن تطبيقات الأفراد عامل اجتماعي يساعد على اتخاذ موقف إيديولوجي، حيث التصورات الناجمة تعكس المعايير المؤسسية (Jodelet 1984, p. 366)، كما نجد مثل هذه الحالة في أبحاث (Gilly 1980 & Plon 1972) .

- **الرؤية الخامسة**: إن دينامية العلاقات ما بين الأفواج توضح هذه التصورات، حيث هذه الأخيرة هي التي تعبأ في تفاعلات مخصصة لتبرير العلاقات الاجتماعية المؤكدة، ونجدها في (J. P. Giacomo 1980 & W. Doise 1972-1979) .

- **الرؤية السادسة**: حيث المجال الاجتماعي يثقل على الفرد بالوزن، إنتاج مخططات للتفكير الثابت اجتماعيا (Jodelet 1984 p. 366) ، وله نظرة بنيوية بواسطة الإيديولوجيات المسيطرة، وذلك ثنائية (إعادة) التماثل للمراتب الاجتماعية. كل هذه المکانیزمات حسب جودليت، وجدت إشعاعا في أعمال كل من: (Boltanski 1971, Bourdieu 1980, Maître 1975, Robert, Faugeron 1978) ، وفي الحقيقة نود القول بأن هذا التفكيك والتفصيل للعوامل الفردية والاجتماعية تجاوز الميدان الخاص بالتصورات الاجتماعية، وليس في النهاية متطلب، وأكثر من ذلك يوجد في أبحاث مذكورة، متموقع ما بين الديناميات الفردية، الجمعية، أو الجماعية. وإذا كانت "جودليت" قد اقترحت وأضافست هذا

1/ Serge Moscovisi : psychologie sociale, 2003, op-cit, p. 371.

التفصيل للرؤيات ومالحقتها من التقسيم الجديد للأبحاث في دائرة تطبيق التصورات الاجتماعية، فهذا جيد، لأن هذه الأخيرة تدخل في حقل التصورات الاجتماعية، وتعتبر ناطقة جيدة لتلك الاعتبارات، حيث يمكننا تعديلها، مثل: الحسابات المتصلة بالتربية (Gilly 1980)، ومن إعلام التصورات إلى صفات الطفولة (CHombart de Lauwe 1979)، أو أعمال (Deschamps et Doise 1975)، وكذا الإعلام الجماعي (Kaës 1976) إلى النفسي والجسمي (Herzlich 1969, Farr 1981, Jodelet 1982)، أو إلى المحيط (P. E. Barjonet 1980, D. Jodelet 1982, S. Milgram & D. Jodelet 1976, Pailhous 1979) (1).

ج- ولكر Walker & Augoustinos: في سنة 1995 لم يقبلوا في بيانهم (قائمتهم) أن دراسات التفكير كصفات لتقاليد التصورات، هذا الذي غير في النهاية فكرة أنماط التصورات المدروسة بأنماط منهجية مطبقة.

- إن عمل (Herzlich 1969) على موضوع الصحة والمرض يشع بالأعمال التي تجسد عمق التاريخ، والتي تقوم على منهجيات نوعية.

- أما أعمال (De Rosa 1987) التي كانت على الاضطرابات أو الاختلالات الذهنية كمثال لوسائل أكثر هدفية (استمارة، مفارقات دلالية...).

- بينما أبحاث (Hewstone, Jaspars & Lalljee 1982) على تصورات ما بين الجماعات و(Di Giacomo 1980) على المفردات المستعملة من طرف الطلبة سوف تشع وتوضح إذا ما كانت الفئات المختلفة للأشخاص تمتلك تصورات مختلفة.

- وفي الأخير تأتي دراسة للتصورات في المخابر مع خبرة (Abric 1984) المتصلة بوضعيات معاشة. د-Wagner: في 1994 أيد كذلك سابقه، وساعد بترتيبه على المجتمع، حيث اقترح ثلاث مجالات للتصورات:

- الأول: يضم العلم، التقنيات، والنظريات، وذكر في أبحاث (Mugny & Carugati 1985)، و(Deconchy 1990) في الطب، أما في التحليل النفسي فذكر عند (S. Moscovici 1961).

- الثاني: يضم الأهداف الثقافية، برز في أبحاث المرض العقلي (Jodelet 1989)، المرض والصحة (Herzlich 1969)، الطفولة (CHombart de Lauwe 1979)، الدور الاجتماعي للمرأة (Aebischer 1985)، وأيضاً الجنسية المثلية (Furnham et Taylor 1990).

1/ Christine Bonardi & Nicolas Roussiau : Les représentations sociales ; état des lieux et perspectives, 2001, op-cit, p. 25.

- الثالث: مجال البنية الاجتماعية والأحداث السياسية المقدمة من طرف المعلمين (Gilly 1980)، العمل (Salmaso & Pombeni 1986)، السلطة (Galli & Nigro 1992) (1).

ه- مولنر **1996-1993 Moliner**: ويعتبر كبحث للتناسق وتعدد الحسابات الغيرية، وهذا التناسق يكون في وجهات مشتركة ما بين الأهداف، ووضع " المجال الشكلي Polymorphe " (2) لهدف اجتماعي وقيمته المرهونة، إن الهدف الدراسي هو تحديد إذا ما كانت كل الأهداف المدروسة هي فعلا مسيبة للتصورات، أو أن كل الأهداف يمكن أن تقدم مادام ظهورها متصل ببعض التفاصيل الخاصة، وقد ذكر ثلاث أنماط للأهداف وهي:

- أهداف اجتماعية مؤسسة (عضوية) على التنظيم الاجتماعي (نمط الفوج Codol 1972)، تطبيقات (Guimelli 1989)، الصيد (Fourgeror 1978)، العدالة (Robert)، التجديد (تكنولوجيا جديدة- أنترنت)، أو كذلك إنحرافات (تسمات).

- أهداف متصلة بأصناف كالأفراد، لكن رجعية مقارنة بمحيطها اليومي: عنصر بيولوجي ونفسي (اختلاف الجنس، الذكاء)، الصحة والمرض (Herzlich 1969)، المحيط أو إطار الحياة (Morin 1984)، الوقت (Ramos 1987)، النقود أو المال (Vergés 1992).

- أهداف متصلة بإصدارات إنسانية: التحليل النفسي (Moscovici 1961)، الثقافة (Kaës 1968)، إقتصاد (Larrue 1978)، إقتصاد (Vergès 1989).

ونعود إلى مساعي تلك الترتيبات التي تضع أولا تنوع الأهداف للتصورات المستكشفة، والتي توضح جملة ما تحمله البحوث المحضرة في ميدان التصورات. إن التحقيقات واختلافاتها تشهد لمحاولات كثيرة، بحيث أنه ليس فقط الهدف هو الذي يحدد ويعرف بالتصورات، وإنما بقية عناصرها كالسيرورات والميكانيزمات، والظواهر، والمحتويات المنظمة التي تعرف مسبقا بهدف التصورات.

وأخيرا وبمحاولة الترتيب هذه، نلاحظ أنه يوجد وبقوة الهدف الاجتماعي المهم وبشكل نهائي، والذي أطلقت عليه "جودليت" تسمية "الطاقة الاجتماعية".

إن هدف التصورات هو حاليا معطى برهان اجتماعي أكثر أو أقل أهمية لمجموعة ما أو للفرد، حيث نوعية الرهان الاجتماعي تتدخل في إنعاشه أو محوه، إنه يخرج بعدد كبير من الأحداث والأشياء المتوافقة مع فترة معطاة أكثر أو أقل طولا، هذه الملائمة تغذي التكوين والتقويم في المجال

1/ Christine Bonardi & Nicolas Roussiau : Les représentations sociales ; état des lieux et perspectives, 2001, op-cit, p. 25.

2/ (الشكلي، متعدد الأشكال: Polymorphe)، سهيل إدريس: المنهل، قاموس فرنسي/عربي، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط33، 2004، ص 939.

النفوس- معرفي للتصورات المختلفة، كذلك عن التحليل النفسي (Moscovici 1961)، وعن الإشعاعية (Galli et Nigro 1987)، والكمبيوتر (Sansales & Degrada Ercolani. Areni 1987)، البحث (Courtial et Kerneur 1996)، أو كذلك الأترنت (Roussiau et Bonardi 1999)، وكل ما يمكن قوله كما أشار (Codoi 1984)، أن هدف التصورات ليس فقط بطبيعتها، وإنما بالوقت والثقافة والمجموعة المعطاة⁽¹⁾.

2-13/ آليات عمل التصورات الاجتماعية:

تحتل التصورات الاجتماعية موقعا استراتيجيا في علم النفس الاجتماعي، وهذا للأسباب التالية :

- تلعب التصورات الاجتماعية دورا هاما في عملية التفاعل الاجتماعي، لأنها تشكل جزءا من النظام المعرفي والتواصلية للأفراد.
- تعمل التصورات الاجتماعية على إقامة وإبقاء العلاقات الاجتماعية.
- تعتبر التصورات الاجتماعية حلقة وصل بين الفرد وبيئته الاجتماعية، وسنركز في هذا الجزء على عملية تشكل التصورات وبنائها، وهذا من خلال التحليل النفسي والاجتماعي، لأنها ليست دائمة ولا ثابتة، وإنما متغيرة ومرنة تبعا لظروف المجتمع الماضية والحالية والمستقبلية، ولمعرفة كيفية بناء وعمل التصورات الاجتماعية فإننا سنستند إلى ما ذكره "موسكوفيسي" حينما حاول دراسة كيف يتم التعديل في نظرية علمية مثل التحليل النفسي حتى تدخل المجتمع ويتم استهلاكها من قبل مختلف الجماعات الاجتماعية، وبهذه الدراسة أوضح هذا الباحث أن عملية التصور تتضمن "نشاطا تحويليا" للمعرفة، وهذا من خلال سيوروتان رئيسيتان وهما: التوضيح l'objectivation، والترسيخ L'ancrage، وكلاهما يبين كيف تبنى وتعمل التصورات الاجتماعية على أساس أن السيرورة الأولى تهدف إلى الانتقال من العوامل النظرية المجردة إلى الصور الملموسة، أما الثانية فتهدف إلى دمج وتقديم نظام تفكيري متواجد مسبقا. وعليه فإن "موسكوفيسي" يبين كيف أن المجتمع يحول الهدف والمعلومة والحدث إلى تصورات، ومن جهة أخرى الطريقة التي تؤثر بها هذه التصورات على المجتمع⁽²⁾.

ومن خلال هاتين السيوروتين: التوضيح، والترسيخ، نحاول تهيئة وتوظيف التصورات الاجتماعية بحيث يوضحان الاعتماد المتبادل ما بين النشاط السيكولوجي وظروفه الاجتماعية، وأكد مختلف الباحثين أهمية هاتين السيوروتين لمعرفة عمل وبناء التصورات الاجتماعية مثل:

R. Kaës 1968 , C. Herzlich 1972 , P. Roqueplo 1974 , M. Gilly 1980 , U. Windish 1982 .

1/ Christine Bonardi & Nicolas Roussiau : Les représentations sociales ; état des lieux et perspectives, 2001, op-cit, p. 27.

2/ Denise Jodelet : la psychologie sociale , in Serge Moscovici : psychologie sociale , 2003, op-cit, p.373.

أ- التوضيح Objectivation⁽¹⁾: و يعرف "موسكوفيسي" التوضيح على أنه: "الإزاحة التدريجية للمعاني الزائدة عن طريق تجسيدها...، وهي كذلك الانتقال إلى مستوى الملاحظة التي لا هي مستنتجة ولا مرمزة". إن هذه السيرورة (التوضيح) تهتم ببناء المعارف المتعلقة بهدف التصورات، أي أنها تقوم على صفات للتفكير الاجتماعي، وهي تعني تجسيد ما هو مجرد⁽²⁾.

إن التصورات تصبح قابلة للتبدل ما بين الإدراك والمعنى، بحيث تأخذ من الصور مفاهيم مجردة وتعطي تركيبة مادية للأفكار، وتجسيديات لمخططات معنوية. وتعتبر "D. Jodelet" التوضيح عملية تصويرية وبنائية Opération Imageante et Structurante، وهذه الطريقة في العمل تسهل حسب وجهة نظر "جيليون Ghiglione" التواصل، وهو أمر بالغ الأهمية من أجل ربط النسيج الاجتماعي، كما تسهل التواصل عن طريق تفكيك المفاهيم العلمية، وكأن العامة من الناس لا يقبلون بسهولة الرابط بين معارفهم الخاصة والأنماط الأخرى من المعرفة.

وحسب "موسكوفيسي" فإن عملية التوضيح تشتمل حركتين هما: الأولى، والتي تذهب من النظرية إلى الصورة، أما الثانية، فتذهب من الصورة إلى البناء الاجتماعي، ودوما حسب هذا الباحث فإن التصورات الاجتماعية للصحة والمرض مثلا لها علاقة مباشرة بالمعلومات المنتشرة في المجتمع حول هذين الموضوعين، فهذه المعومات يتم انتقاؤها وفقا لنظام القيم والمعايير الثقافية السائدة (مستوى الفهم، المحرمات... الخ)، فلا يحتفظ إلا بما هو مساير للقيم الاجتماعية والدينية، إذ يتم فصل المعلومات العلمية عن إطارها الأصلي الذي تنتمي إليه لتصبح ملكا للعامة من الناس وكأنها جزء من عالمهم الخاص.

إن سيرورة التوضيح تسمح للأشخاص بالتحكم ودمج الظواهر أو المعارف المعقدة، وهي تظم ثلاث مراحل:

- المرحلة الأولى: تظم ميكانيزمين هما الانتقاء والإزاحة عن الإطار الأصلي لعناصر النظرية Sélection et Decontesctualisation⁽³⁾: إن مختلف مكونات الموضوع الجديد يتم فصلها عن إطارها الأصلي وانتقاؤها، فالمعلومات المتداولة حول الموضوع يتم فرزها وفقا لمعايير ثقافية (إذ أن أفراد المجتمع الواحد لا تتوفر لهم بالتساوي فرص الاستعلام حول التحليل النفسي، فمثلا فرص الأطباء والمتقنين تفوق بكثير فرص العمال في هذا المجال)، كما يتم فرزها وفقا لمحكات معيارية، إذ لا يحتفظ إلا بما

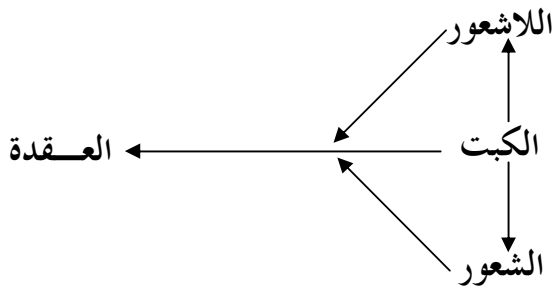
1/ Pascal Moliner : La dynamique des représentations sociales, 2001, op-cit, p. 18.

2/ D. Jodelet : les processus de formation des représentations rendent compte de leur structuration , 1994, op-cit, p. 56.

3/ Denise Jodelet : la psychologie sociale , in Serge Moscovici : psychologie sociale , 2003 , op-cit, p. 374.

يوافق النظام القيمي للجماعة، فالطابوهات المتعلقة بالقضايا الجنسية أدت إلى إغفال بعض عناصر النظرية التحليلية كالليبيدو رغم أهميته فيها. و باختصار فإنه يتم فصل المفاهيم بعد انتقائها عن إطارها الذي تنتمي إليه ليتم استهلاكها (تملكها) من طرف الناس، فيدخلونها في عالمهم الخاص، وبالتالي يتحكمون فيها.

- المرحلة الثانية: المخطط الشكلي **Le schéma Figuratif** : وبعد الميكانيزمين السابقين يأتي المخطط الشكلي، وهو مرحلة تكوين النواة الأساسية للتصورات، بحيث تشكل تنسيق يؤدي من جهة إلى تكاثف عناصر المعلومات، ومن جهة أخرى إلى عزل المفاهيم الأكثر تصارعا؛ إن العوامل المختلفة والمستوحاة تأخذ تنظيمها ودمجها بتهيئة مستخرجة، مصورة، ومرتبة، وهذا ما يسمح بالتماس حقيقة مجردة. ذكر (هارزليش 1972) أن المخطط الشكلي للتحليل النفسي من طرف "موسكوفيسي" 1960 مشكل من بعض المفاهيم البسيطة كما في المخطط رقم 4، ومن خلال تلك التنظيمات النفسية والمقترحة كهدف سهل استخراجها، ويتكون من جزئين: الداخلي والخارجي/ الخفي والظاهر، وهذه مدلولات لمصطلحات الشعور واللاشعور، أي أن نظرية التحليل النفسي كما يقول "موسكوفيسي" قد تم اختصارها إلى مجرد عناصر مادية لها علاقات ملموسة، فالشعور الذي يشير إلى الإرادة والظهور يتعارض مع اللاشعور الذي يشير إلى اللاإرادة والخفاء، وهذا التعارض يتم تكثيفه في عملية الكبت **Le refoulement**، والتي تترتب عنها العقد النفسية⁽¹⁾.



مخطط رقم 4

وهكذا أصبحت الديناميات النفسية عقدا تشبه التشوهات الجسدية الملموسة، وأصبح المحلل النفسي بإمكانه إزالة تلك العقد كما يزيل الجراح والأورام.

- المرحلة الثالثة: وهي مرحلة عوامل النواة الشكلية، عندما يدخل مخطط شكلي لموضوع ما في المجتمع وينتشر بداخله فإنه يصبح (التصور) من البديهيات، فهو ليس مجرد نسخة عن الموضوع، بل

1/ Serge Moscovisi : psychologie sociale, 2003, op-cit, p. 347.

نظرية قائمة بذاتها. إن عوامل النواة الشكلية تصبح عوامل للوقائع بواسطة سيرورة التطبيع، وهذا الانتقال نحصل على اختيار للظواهر المعقدة حيث الوظيفة تكون مدحجة بالعوامل المستخرجة للنظرية القاعدية، والموضوع (الفرد) يستقبل حسب ما يعتقد حول نفسه وبشكل لاشعوري، لأن الكبت موجود مسبقا ومكثف لإنتاج العقد.

هذا التحول من صورة بسيطة للموضوع إلى حقيقة له يجعل منها موجهها لادراكاتنا، أحكامنا، وسلوكياتنا، فالمصطلحات مثل الكبت والعقد النفسية تصبح مصطلحات مجسدة في الواقع وتدخل حتى في اللغة المتداولة بين الناس كقولهم مثلا: " إن فلان خجول لأنه يعاني من عقدة الخجل "، رغم أن "فرويد" لم يشر مطلقا إلى هذه العقدة، وهكذا تستخدم هذه العبارات التحسيدية في تصنيف الأفراد والسلوكيات. ولقد أشارت " Herzlich " إلى نفس الظاهرة السابقة عند دراستها للتصورات الاجتماعية للصحة والمرض، والتي تبني عادة بعيدا عن المعرفة الطبية، إذ وجدت مخططا شكليا ذا قطبين به الأزواج المتعارضة التالية: الفرد / الصحة، والمجتمع / المرض. وتدخل هذه النواة الشكلية في تنظيم التصورات الاجتماعية حول منشأ الأمراض والسلوكيات المفضية إلى المرض، وتستطرد "هرزليش" بقولها إن مختلف الهجومات التي يتسبب فيها أسلوب الحياة كمصدر من مصادر المرض يتم اختصارها في معنى واحد، وهو معوقات المجتمع وأثرها على الفرد السليم، كما يتم جمع المضار كلها في كلمة " تسمم intoxication " والتي تدرك بعد ذلك كحقيقة ملموسة⁽¹⁾.

بينما " أبريك " و"موسكوفيسي" كانا لهما رأيان مختلفان، حيث أن "أبريك" (1976-1994) استرجع جزء من التحليل النفسي لموسكوفيسي حول النواة الشكلية، وطور نظرية النواة المركزية، وسوف نذكر أهم العناصر ومن بينها: أن " موسكوفيسي " يعتبر أن للنواة المركزية دور وراثي؛ أما " أبريك " فيعتبر أن العوامل المركزية تنظم وتعطي دلالات للتصورات، وكذلك نفس الشيء بالتوالي ومع هذه الطريقة يمكن أن يستوعب محتوى التصورات، وعليه نستنتج اتجاهين: إما أنها تعالج حقل بنيوي كما يرى " موسكوفيسي " أو تعالج كنواة بنوية للتصورات كما يرى "أبريك"، ولكن لا بد من تكامل هذان الاتجاهين من أجل بحث منهجي ثري ومختلف⁽²⁾. ويبدو أن المراحل السالف ذكرها حول منشأ سيرورة التوضيح قابلة للتعميم على كل التصورات، فقد أشار " روكبلو Roqueplo " أن عملية التبسيط العلمي " La vulgarisation scientifique " تتبع كعملية نفس مراحل التوضيح، والشيء نفسه

1/ Serge Moscovisi : psychologie sociale, 2003, op-cit, p. 369.

2/ Serge Moscovisi : psychologie sociale, 2003, op-cit, p. 370.

يمكن أن نقوله عن التفكير الاجتماعي الذي يميل إلى تبسيط الظواهر على هذه الشاكلة، وهو قريب مما أسماه "بياجيه Piaget" التفكير المتمركز اجتماعيا *La pensée socio- centrique*. ونستخلص من مجمل العناصر السابقة التي تدخل في عملية التوضيح، أنها عبارة عن معلومات منتقاة مرتبة ومستقلة تساهم في عملية البناء الاجتماعي للواقع، ومنه يستخرج كل فرد تصوره للأحداث والأشياء دون أن يكون في تفرد هذا متعارضاً مع الواقع الاجتماعي. بعد هذه العملية التصويرية والبنائية التي أدت إلى بناء النواة الشكلية، تنتقل إلى الآلية الثانية في عملية بناء التصورات الاجتماعية وهي:

ب- **الترسيخ: L'ancrage** ومن أكثر التعاريف تداولاً لهذه العملية، ما أشارت إلى أنها تعني إدراج عناصر جديدة في تفكير قائم. إن سيرورة الترسخ تشير إلى النماذج المدججة في التصورات ضمن المجال الاجتماعي والتحويلات التي تحدث فيه، وأيضاً إلى الطريقة التي يجد بها الموضوع الجديد مكاناً له في النظام الفكري السابق للأفراد، أو بعبارة أخرى كيف يدمج موضوعاً جديداً، أو غير معروف من قبل؟⁽¹⁾، وكيف يخدم الترسخ التصورات الاجتماعية؟.

- بواسطة الترسخ تشكل التصورات نظام المعاني: وهذا يعني أنه في حالة التحليل النفسي مثلاً، توجد شبكة من المعاني التي هي صفتها، لكنها نتجت عن نظام قيمي راسخ في المجتمع ومختلف الجماعات، كذلك "موسكوفيسي" كتب كيف أن التحليل النفسي يفرض بعض المعايير الاجتماعية أو المسارات الفكرية (فلسفية كانت، أو دينية...)، هذه الرؤية ترجع إلى معاني خاصة وتعتبر كحدث اجتماعي. إن التحليل النفسي موجود ومقدر ومعترف به عند الجماعات - لكن درجة تموقعه تختلف - ويتموقع التطبيق التحليلي في الإدراك السياسي (الوعي) أو العلمي، بحيث يميل أو ينسب إلى مستعملين آخرين، مثال الأشخاص الأغنياء في بداية الأمر، ثم المثقفين، وهكذا دواليك، فهي متعلقة بالتأكيد بنظام للقيم والأفكار الملتحمة مع تلك الجماعة⁽²⁾. وأشار "موسكوفيسي" أن الموضوع الجديد يفسر في كل مرة وفقاً لفلسفة الحركة الفكرية والإيديولوجية السائدة في تلك الفترة وفي ذلك المجتمع، فتصورات الكاثوليك والشيوعيين⁽³⁾ متباينة، لأن كل منهما يعيد بناء الموضوع انطلاقاً من مواقف إيديولوجية خاصة به، وكذلك نفس الشيء بالنسبة لنظرية التحليل النفسي، حيث وصل الأمر إلى الحديث عن تحليل فرنسي، وآخر نمساوي...، وبالتالي ما كان شائعاً لم يعد علماً، ولكن صفة تنعت بها بعض

1/ Serge Moscovisi :psychologie sociale ,2003,op-cit,p. 377.

2/Denise Jodelet : représentations sociales : phénomène,concept et théorie ,in S.Moscovisi :psychologie sociale,paris, 2003,op-cit,p. 372.

3/ Petard.J.P et al : psychologie sociale,1999,op-cit,p. 161.

الجماعات (كالأغنياء، المثقفين، النساء...)، وهذه الصفة تعبر عن علاقات تصادمية أحيانا بين تلك الجماعات (كالصراع الطبقي، الجنسي: أمريكي، فرنسي...)، وهكذا أصبح للمفهوم الواحد شبكة من المعاني Réseau de signification⁽¹⁾.

- بواسطة الترسخ تصبح التصورات نظام للتأويل: إن عملية إدماج موضوع جديد في نظام قيمي قائم لا تحدث دائما بدون صراعات أو اصطدامات، لأن الجديد يزعج أحيانا النظام القائم، لذلك شرعت بعض الجماعات بالتهديد عند ظهور التحليل النفسي، لأنه يهدد بقلب القيم والأطر المعيارية المعتادة، وبالتواصل مع سيرورة التوضيح فإن الترسخ يضيف قيمة ووظيفة للتصورات وهدفها، وحسب " D. Jodelet " فإنه يمكن اعتبار الترسخ مساو لما أسمته باستعمال المعرفة L'instrument alisation du savoir، ففي التحليل النفسي وحسب "موسكوفيسي" فإن العلم تحول إلى معرفة تقدم منفعة للجميع، ثم تتحول أيضا إلى نظام تأويلي وتفسيري (أساسه هو المخطط الشكلي)، ويعتبر كأداة لمعرفة أنفسنا والآخرين في محيطنا⁽²⁾ وتفسير سلوكهم، فذلك يرى في احمرار وجه فلان عقدة الخجل، وآخر يرى أن عدوانية مرؤوسيه تعود لكونه يمثل صورة الأب بالنسبة لهم... الخ، أي أن هذا النظام التأويلي (عن طريق الترسخ) يكون وسيط ما بين الأفراد ومحيطهم، وينتج من ذلك اقتراح فهارس أو نماذج تصنف تلك السلوكات وترتب الأحداث. وهكذا يظهر لنا جليا كيف أن العلم قد أصبح له ميادين عدة، واستعمالات بموجها أصبح لدينا نظام تفسيري Système d'interprétation لتصنيف السلوكات.

- الترسخ يدرج التصورات ضمن أنظمة تفكير متقدمة مسبقا: ونعني بهذا التقرير المتواجد ما بين التصورات المسبقة وما بين الموضوع الجديد، واللذان يتقابلان أو يتواجهان، وهذا التقرير يجسد منبع يعطي (يمنح) التصورات صفات تعريفية، مثلما عرفت عند "موسكوفيسي" بالأطوار المعرفية La polyphasie cognitive، ومن وجهة نظر أخرى فإن صفة الإنشاء في التصورات والاستحداث يسمح بتشكيل مساعدة جادة لدمج الموضوع الجديد، نفس الشيء بالنسبة للتحليل النفسي ونظرية التصورات الاجتماعية، لأنها متعارضة مع أنظمة تفكيرية أخرى، وإطارات تأويلية تفضل التحويل، كما لاحظت "جودليت 1984" حينما قارنت عند بعض الأشخاص نظرية التحليل النفسي بالاعتراف (في التحولات)، ثم شوه التحليل النفسي بعد إدخاله في التفكير السائد. ومن وجهة نظر أخرى فإن إدماج الموضوع الجديد الذي يتزامن مع الترسخ يمنح نقاط خاصة لتغليب الأطر التفكيرية القديمة. وعليه فإن الترسخ يعتبر ميكانيزم للتقريب ما بين العناصر المستحدثة والعناصر المعروفة مسبقا، ثم بعدها توضع نماذج لترتيب السلوكات، حيث

1/ Serge Moscovisi : psychologie sociale, 2003, op-cit, p. 372.

2/ Serge Moscovisi : psychologie sociale, 2003, op-cit, p. 379.

تقول "جودليت": " إن نظام التصورات الاجتماعية يحدث الأطر والمراجع التي من خلالها يمكن للترسيخ أن يرتب في المؤلف ويشرح بطريقة مألوفة"، أي يصحح الموضوع الجديد مألوفاً ومعتاداً عليه (1).

14-2/ بنية التصورات الاجتماعية:

خلال الثمانينات 1980⁽²⁾، ساد انشغال عظيم للباحثين في العلوم الاجتماعية، حيث كان منصبا حول دراسة بنية وتكوين التصورات الاجتماعية، والتي جلبت اهتماما كبيرا بسبب ما تحتويه من غموض حول العناصر المكونة لها. لأن تلك العناصر هي ضرورية لتكوين وحفظ التصورات، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لأن هذه التصورات إنما تمنح للأفراد استقلالية في وضعها تم المختلفة، بحيث يجب النظر للتصورات على أساس أنها أنظمة معرفية هرمية مبنية في قاعدتها على بعدين أساسيين: الأول مركزي والثاني محيطي *L'une centrale et l'autre périphérique*⁽³⁾، وعليه فإن تحديد ما يكون صلب التصورات هو إذن مهم جدا، بحيث أن كلا البعدين يعرف بالآخر، " Moliner . F. C. 1994 " .

أ- مركزية التصورات، نواة أو منطقة أو نظام؟⁽⁴⁾: من المصطلحات التي كانت جد شائعة

هي تلك التي كانت أكثر قدما وتكرارا والمسماة بالنواة المركزي (Abric1987, Flament1989 & Moliner1989)، لكنها بقية تدور حول منطقة مركزية، ثم جاء بعدها مصطلح النظام المركزي (Abric1994)، إن هذه التسميات ليست حيادية لأنها عبرت عن تجسيدات معرفية، واجتماعية- معرفية للعوامل التي تميزت كمركزيات في التصورات، والتي كانت منطبقة مع تلك التسميات، وحينما سميت بهذا النظام وحدثت عدة عوامل نموذجية متفاعلة فيما بينها ومع محيطها. وكذلك فإن: " تحليل النظام يسمح في إطار نموذج تفسيري وبدائي مكيف، أن يكتب ويحتفظ بوظيفته انطلاقا من وصف شامل لمعطيات العوامل وتفاعلها البنوي..."⁽⁵⁾. و حسب " Guimelli " 1994، فإن مركز التصورات يحتوي على بعد وظيفي، بحيث بين دوما أن هذا المركز هو الشيء الأحسن والأفضل للتصورات. كما أن هدف الدراسة لدينامية التصورات تسمح بالتنبؤ بوظائفها والتحويلات الممكنة أن تطرأ عليها، ولأن الثبات محتم في هذا النظام، فإن أحسن تسمية تكون "النواة المركزية"، بحيث أن هذا المصطلح يمثل تقييدا

1/ Serge Moscovisi : psychologie sociale, 2003, op-cit, p. 376.

2/ Christine Bonardi & Nicolas Roussiau : Les représentations sociales ; état des lieux et perspectives, 2001, op-cit, p.119.

3/ (محيطي: Périphérique) أي متعلق بمحيط خارجي لواقع بعيد عن المركز، د. سهيل إدريس: المنهل، قاموس فرنسي/عربي، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 33، 2004، ص 896.

4/ Christine Bonardi & Nicolas Roussiau : Les représentations sociales ; état des lieux et perspectives, 2001, op-cit, p. 119.

5/ Gervet .J : Système théorie générale des ... , in le grande dictionnaire de la psychologie, paris, Larousse, 1991,p. 772 .

وثباتا لبقية المصطلحات السابقة، ويعتبر أفضل مصطلح لدراسة بنية ودينامية التصورات (1).

-**النواة المركزية Le noyau centrale**: لقد أكدت الكثير من الدراسات التجريبية صحة افتراض " أبريك " من أن كل تصور ينتظم حول نواة مركزية، يكون عادة عدد عناصرها قليل. وحسب هذا الباحث فإن التصور هو: "مجموعة منظمة حول النواة المركزية مكونة من عناصر تعطي معنى وتوضح لهذه التصورات، فالنواة المركزية هي العنصر الأساسي للتصورات، فهي تسمح بدراسة مقارنة للتصورات الاجتماعية"(2). أي أن النواة المركزية لها علاقة من جهة بطبيعة هدف التصورات، ومن جهة أخرى بعلاقة ما بين الموضوع (الفرد) المتدخل أو المقابل لهذا الهدف(3)، رغم أن عدد من الكتاب وافقوا على ديمومة وثبات المركزية واعتبروها: "...أنظمة لقيم ومعايير اجتماعية، التي تؤلف المحيط الإيديولوجي للزمن الحالي وللمجموعة..."(4).

- **وظائف و دور النواة المركزية(5)**: إن من أهم وظائف النواة المركزية، أنها تسمح بإعطاء معنى وترابط للتصورات، وعلى العموم هناك وظيفتين أساسيتين للنواة المركزية وهما :
* الوظيفة الإنتاجية (المولدة) La Fonction génératrice: ويعرفها " أبريك " بأنها : " العنصر الذي بواسطته تنشأ أو تتحول به معاني العناصر الأخرى المكونة للتصورات "(6). أي أن بقية العناصر المكونة للتصور إنما تنشأ وتتحوّل بواسطة هذه الوظيفة للنواة المركزية. و هناك أمثلة كثيرة توضح لنا وبشكل جلي أن هذه الوظيفة إنما هي إنتاجية (إنشائية)، وأبرز مثال لأبريك حينما عرض على جملة من الأفراد محاولة تذكر بعض الكلمات المتداخلة حول الحرفيين أو الصنّاع وشرط أربعة شروط تجريبية ...
* الوظيفة التنظيمية La fonction organisatrice : وهي التي تحدد طبيعة الارتباط بين عناصر التصورات، وتحافظ على معناها، وعليه فإن هاتان الوظيفتان إنما تشكلان جملة العناصر المكونة للتصورات، وهي الأكثر ثباتا وارتباطا. وبالتوالي مع "أبريك" فإن عددا من الباحثين أمثال " Moliner & Bonardi & Aissani " أثبتوا وتحققوا من صدق وموضوعية هذه الوظائف للنواة المركزية. بالإضافة إلى هذا فإنها تسمح بالمقارنة بين التصورات، فإذا ما كانت مختلفة فإنما هذا دليل على اختلاف جوهري

1/ Christine Bonardi & Nicolas Roussiau : Les représentations sociales ; état des lieux et perspectives, 2001, op-cit, p.120.

2/ سليمان بومدين :التصورات الاجتماعية للصحة والمرض في الجزائر، 2003، ص 31 .

3/ J.C.Abric : l'étude expérimentale des représentations sociales, paris © presses universitaire de France,1989, p.197 .

4/ J.C.Abric : pratique sociale et représentations, paris © presses universitaire de France,1994, p. 23.

5/ Christine Bonardi & Nicolas Roussiau : Les représentations sociales ; état des lieux et perspectives, 2001, op-cit, p.122.

6/ J.C.Abric : pratique sociale et représentations, 1994, op-cit , p.22.

في النواة المركزية. إن لهاته الأخيرة بعدين هما: بعد كمي وبعد كيفي، بمعنى أن المركزية لا تعرف بالظهور المكثف لذلك العنصر، بل بمدى تسلسل وترابط العنصر بالنواة، وهذا ما يعطي المعنى الحقيقي للتصور. ولقد أكد كل من " Rouquette et Guimelli " في 1992، أن هذا الظهور والتكرار المكثف لعنصر ليس معيارا نحدد به المركزية، وكلاهما (الباحثان) يعتبران أن التواجد الكمي والكيفي لعنصر هو الذي يحدد مركزيته أو محيطيته. إن النواة المركزية تتكون من عنصر أو مجموعة من العناصر يشكلون وضعية منظمة داخل بيئة التصور، لذا فإن هذه العناصر لها دور في إعطاء معنى معين، والنواة المركزية يمكن تحديدها من خلال طبيعة موضوع التصور، وكذا من خلال العلاقة التي تربط الفرد بهذا الموضوع، وأيضا من خلال القيم والمعايير الاجتماعية (كما سبق ذكر ذلك) التي تشكل الوسط الإيديولوجي لهذا الموضوع، وعليه فإن النواة المركزية تحتوي على بعدين⁽¹⁾:

* بعد وظيفي: و يمكن أن نجده في الوضعيات التي تأخذ الطابع العملي، حيث نجد أن النواة المركزية تتدخل بصورة واضحة لإنجاز نشاط أو عمل معين، وهي تمثل العنصر المهم والأكثر تفصيلا، وهو ذو فعالية في إنجاز هذا النشاط.

* بعد معياري: يتعلق بكل الوضعيات التي تتدخل فيها الأبعاد الاجتماعية، العاطفية، والإيديولوجية، حيث يكون هذا النوع من الوضعيات بعض المعايير والمواقف والملاحظة في موضوع مركز التصورات.

ب- النظام المحيطي **Le système périphérique**⁽²⁾: إن النظام المحيطي هو النظام المكمل والضروري للنواة المركزية، كما أنها لا تقل أهمية عنها وتمتاز هذه العناصر بكونها ذات نمط تسلسلي حيث تكون هذه العناصر المحيطية أكثر أو أقل قربا من العناصر المركزية القريبة من النواة، لهذا فإن لها الدور المهم في إعطاء الجانب المادي لمعنى التصور، وكذا في توضيح هذا المعنى .

إن العوامل المحيطية على علاقة أو اتصال مباشر بالنواة المركزية، وهي تحدد محتوى التصورات، حيث تمثل الجزء الأكثر فهما ووضوحا والأكثر حيوية وتجسيدا، والعوامل المحيطية تجسد معلومات متكررة و مترجمة لأحكام شكلية يقترحها الموضوع ومحيطه. وهناك ثلاث وظائف رئيسية للنظام المحيطي⁽³⁾:

* وظيفة التحسيس (التجسيد): la fonction de concrétisation: إن النظام المحيطي يجسد النظام المركزي في شكل سلوكيات ومواقف، لأنه أكثر حساسية لخصوصيات الظرف والموقف الآني، كما

1/ J.C.Abric : pratique sociale et représentations,1994, op-cit, p.23.

2/ J.C.Abric :pratique sociale et représentations,1994, op-cit , pp. 24-25.

3/ Petard.J.P et al : psychologie sociale,1999, op-cit,p. 174.

يشكل هذا النظام الواسطة interface (التقاء) بين الواقع الملموس والنواة المركزية، فهو في غالب الأحيان الوجه الظاهر من التصورات، بحيث يمكننا الوصول إليه من خلال ملاحظة الأفراد أو مقابلتهم.

*وظيفة التكيف مع التغيير la fonction d'adaptation du changement : ونظرا مرونتها، فإن العناصر المحيطة تؤدي وظيفة تكيف التصورات الاجتماعية مع المعوقات وتغيرات المواقف الملموسة التي تواجهها الجماعة، فإذا ظهرت هناك عناصر جديدة مثلا أو معلومات تعيد النظر في النواة المركزية للتصور، فإن النظام المحيطة يكون الأول في إدماج هذه العناصر الجديدة، ليسمح للتصورات بالتكيف مع الحفاظ على معناها المركزي، وعليه يمكن القول أن هذا النظام يلعب دور الواقية pare-choc للتصورات الاجتماعية.

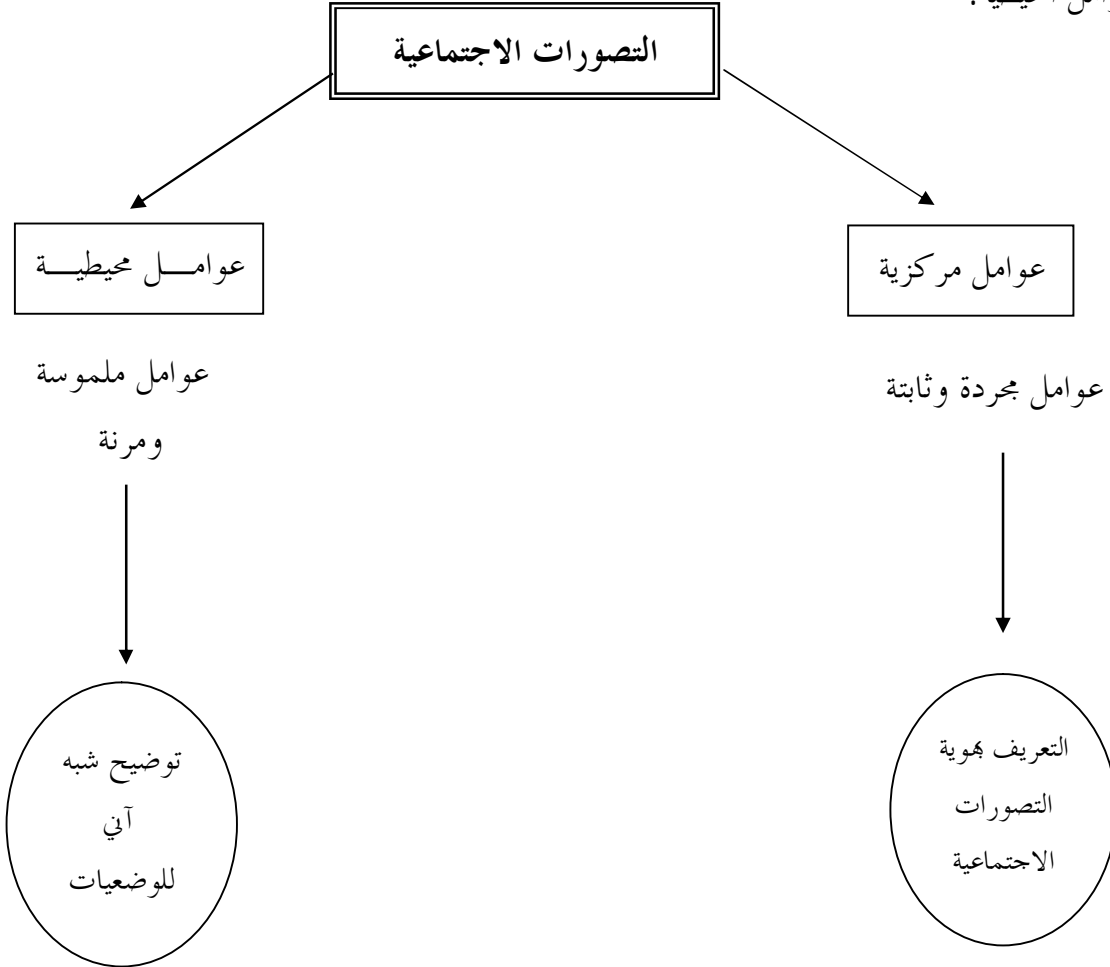
*وظيفة التفرد la fonction d'individuation: وهذه الوظيفة تسمح بشيء من التخصص الفردي للتصورات، فمرونة هذا النظام تسمح بإجراء تغييرات أو تعديلات فردية، قد تكون لها علاقة بتاريخ ذلك الفرد أو بخبرته الذاتية أو معاشته للأحداث، فإذا كان هناك إجماع حول النواة المركزية فإن التصورات الاجتماعية تقبل بوجود فروق بين الأفراد حول النظام المحيطة، ويضرب لنا "Guimelli" مثلا عن دراسة أجراها حول تصورات الصيادين للصيد، والذي اعتبره البعض نشاطا يتم على انفراد في حين اعتبره البعض الآخر وسيلة للالتقاء بالأصدقاء و في هذا اختلاف، لكنه اختلاف محيطة لأنه لا ينفي أبدا عنصر الإجماع المركزي للتصور وهو تسيير الإقليم " La gestion du territoire " (1).

نستخلص مما سبق أن التصورات الاجتماعية تتشكل من نواة مركزية وعناصر محيطة يعملان ككيان واحد، بحيث يقوم كل جزء بعمل محدد، ولكنه متكامل مع الجزء الآخر. إن هذا النظام المزدوج هو الذي يوضح لنا ما يبدو لأول وهلة وكأنه تناقض، فالتصورات تبدو لنا ثابتة / متحركة، وجامدة / مرنة في آن واحد، فهي جامدة ومستقرة لأنها محددة بنواة مركزية متغلغلة بعمق في نظام قيم الجماعة، مرنة ومتحركة لأنها تتغذى من الخبرات الفردية.

وعلى هذا الأساس يتضح من التعريفات النفسية والاجتماعية السابقة أن مفهوم التصور يقع على حدود عدد من العلوم الاجتماعية، الأمر الذي أدى إلى تعدد المقاربات والتعريفات التي تناولته، ولقد حاولنا فيما سبق إعطاء جملة من التعريفات التي تحدد مكونات هذا المفهوم ووظائفه، وذلك بهدف رفع اللبس و الغموض الذي يعتره، ولتحقيق هذا الغرض تنطلق دراستنا الراهنة من تعريف مؤداه أن

1/ Petard.J.P et al : psychologie sociale,1999, op-cit, p. 175.

التصورات الاجتماعية هي: "جملة المعارف، والمواقف والسلوكيات المتعلقة بالعنف الرمزي والكتابات الجدارية بالخصوص والتي ترتبط بالقيم والمعتقدات والسلوكيات الخاصة بكل جماعة، لكنها (هذه التصورات) إنما تمثل نظرة موحدة لهذا الموضوع من حيث النواة المركزية واختلاف آخر من حيث العوامل المحيطة.



مخطط رقم 05 لفهوم النظام المركزي والنظام المحيطي

2-15/ الأوجه المنهجية لعملية جمع وتحليل المعلومات في التصورات الإجتماعية:

إن عملية جمع وتحليل التصورات الاجتماعية تركز على تشكيلة نوعية لجملة من التقنيات، وهي تمثل (العملية) إشكالا كبيرا لدى الباحثين في هذا الميدان، بحيث يطرح أمامنا سؤال مركزي وهو: ما هي الطريقة والأداة اللازم استخدامها في عملية جمع وتحليل المعلومات حول التصورات الاجتماعية؟، وعليه فإننا سنحاول في هذا الجزء التطرق إلى مجموعة من هذه النماذج المنهجية، مع ذكر أهدافها وصفاتها الرئيسية وكيفية تطبيقها. إن اختيار جهة معينة لجمع وتحليل المعلومات يحدد وبشكل أساسي النظرية التي يستخدمها الباحث في ذلك، وهذه الأخيرة تخضع إلى التفسير والترجمة، التأويل. ولأن دراسة التصورات هي معقدة ولكنها ضرورية، فإن الباحث وقبل اختيار التقنية والطريقة اللازمة يستوجب عليه تحديد محتوى البحث وجمع العناصر المكونة للتصورات، وكذا فهم تنظيم هذه العوامل وإعطاء هوية للنواة المركزية والمحيطية، وتوجد هناك عدة طرق لجمع التصورات لكن "Abric" ميز بين طرق لجمع المعلومات وهما: الطرق الإستفهامية والطرق المتداعية.

1/ الطرق الاستفهامية les méthodes interrogatives: وهي تقوم على جمع التعبيرات للأفراد المعنيين(العينة) بهدف دراسة التصورات، وقد تكون (هذه التعبيرات) لفظية أو صورية وإن كانت اللفظية من التقنيات الأكثر شيوعا وعليه:

أ- **الطريقة اللفظية:** وتظم المقابلة والاستمارة، وكلاهما يجسد أولى القواعد المنهجية.

- **المقابلة l'entretien:** وهي تقنية تقليدية استعملت من طرف الباحثين من نوع "نصف موجهة" تدعو الفرد المسؤول للشرح وبعفوية ما بداخله في إطار محتوى البحث. وهي عبارة عن أسئلة شفوية أو حديث، بحيث أن التصورات تحدث وتظهر من خلاله، وهذا ما يسمح بالوصول إلى محتوى التصورات، ولكن المقابلة تعكس جانبا من ذاتية الباحث في توجيه الفرد، لذلك فالباحث مطالب باستخدام تقنيات أخرى مكتملة من أجل الإلمام بكل المعطيات اللازمة للبحث، كما تعتبر المقابلة طريقة للجمع الكيفي للمعلومات.

- **الإستمارة Lequestionnaire:** أو الاستبيان، وهي التقنية الأكثر استخداما في دراسة التصورات من أجل الجمع الكمي للمعلومات. فرغم الانتقادات والحدود المعرفية، فإن هذه التقنية تسمح بجمع محتوى هذه التصورات. و نستعين بتنظيم الإجابات في توضيح العوامل العامة التي تنظم التصورات. وعليه فإننا في مسيرة دراسة التصورات نحاول وضع عدد من الأسئلة التي نخدم محتوى البحث ونطلب من الأفراد الإجابة عنها، غير أن هذه التقنية نقدت كثيرا بسبب محدوديتها واعتبرت غير كافية لإبراز أبعاد التصورات حول موضوع ما، لذلك لا بد أن تدعم بتقنيات أخرى.

ب- **الصورية les méthodes figuratives et graphiques**: تقوم على التعبير الشفهي "orale" للأفراد انطلاقاً من صور أو رسومات، وهي تستخدم في حالة عدم مقدرة الأفراد على التعبير التلقائي واللفظي وتضم:

- الألواح (الصفائح) الإستقرائية: إن استخدام هذه الصفائح الاستقرائية هو مستوحى من المقاربات والطرق الاسقاطية (الروائز) في علم النفس، وهذه الألواح هي رسومات منجزة من طرف الباحث، ويقدمها إلى المواضيع (الأشخاص)، حيث يطلب منهم بعد ذلك شرحها بمطلق الحرية، ماذا يشاهدون؟ وما تعليقهم على ذلك الموضوع...؟

- رسومات ودعائم خطية: وهذه التقنية تمر بثلاث مراحل وهي:

1- إنتاج رسم أو مجموعة من الرسومات.

2- تعبيرات لفظية للأشخاص حول هذه الرسومات.

3- تحليل معمم لعوامل الرسم.

2 / **الطرق المتداعية les méthodes associatives**: وتتم بجمع التعبيرات لكن باستخدام عدة تقنيات من بينها:

- التداعي الحر l'association libre: إن هذه التقنية قد سبق استخدامها من طرف باحثي التحليل النفسي بحيث يعتبرون جملة الكلمات المتداعية إنما هي من صلب اللاشعور للفرد. وطريقة التداعي الحر في التصورات الاجتماعية تقوم على كلمة متداعية، وانطلاقاً منها يطلب من الأفراد (العينة) إنتاج كلمة أخرى أو جملة من الكلمات (سواء كانت اسمية أو نعتية)، أو التعبيرات التي تأتي إلى الذهن، وهي تتميز بالعفوية والسرعة، وهذه الميزة تسمح للباحث بالتعرف على العوامل الضمنية أو الخفية حول تصور ذلك الموضوع، وبهذه الطريقة يتمكن الباحث من الوصول إلى مضمون التصورات. وتعتبر هذه التقنية كقاعدة لبقية التقنيات الأخرى كبطاقة التداعي وتشكيل ثنائية الكلمات أو التقييم الزوجي (الإزدواجي)...

- بطاقة التداعي la carte associative: وهي تقنية جديدة مستوحاة من البطاقة الذهنية " H.Jaoui 1979"، وتأتي في المرحلة الثانية بعد التداعي الحر، أي بعد جملة الكلمات أو التعبيرات المتداعية من طرف الفرد، حيث نعيد ونطلب منه مجموعة أخرى من التدايعات انطلاقاً من كلمات ثنائية: كلمة التداعي والكلمة المنتجة، وهكذا ينتج الفرد تدايعات ثنائية، وبعدها وفي كل ثلاثية تداعي كلمة جديدة حتى نحصل على سلسلة مكونة من أربعة عناصر، مثال إذا كانت الكلمة المتداعية هي " وظيفة التمريض < علاج " و "وظيفة تمريض < إصغاء "... الخ (Abric1994).

وبعده إذا كانت الثنائية: " وظيفة تمريض <إصغاء " تداعت عنها "إمكانية"، " تكوين"، نطلب من الفرد إنشاء ثالث تداعي خاص بكل مجموعة، وبالتالي نحصل على سلاسل مكونة من 4 عناصر:

* " وظيفة تمريض < إصغاء < إمكانية < التحكم في النفس " .

* "وظيفة تمريض < إصغاء < إمكانية < علم النفس "...الخ، وعليه فإن هذه التقنية تسمح باستخراج محتوى ودلالة التصورات بفضل المحتوى الدلالي.

- الكلمات الثنائية: انطلاقاً من عنصر الكلمات المنتجة من طرف الشخص عن طريق التداعي الحر، نطلب منه تشكيل ثنائيات للكلمات التي هي أقرب إلى التشابه، وهذه الكلمة يمكن أن تكون مختارة أكثر من مرة، هذا الذي يسمح باستخراج كلمات يحتمل أن تكون ازدواجية (زوجية) وهي بدورها قد تنظم التصورات؛ وهذه التقنية تكمل بالمقابلة حيث عند كل كلمة ثنائية نطلب من الشخص الانطلاقة المستعملة من طرف المتداعيين، وهكذا نحصل على معلومة وعلى نوع العلاقة (معنى قريب، مضاد...)، وبواسطة هذه التقنية فإنه من الممكن توضيح النواة المركزية للتصورات.

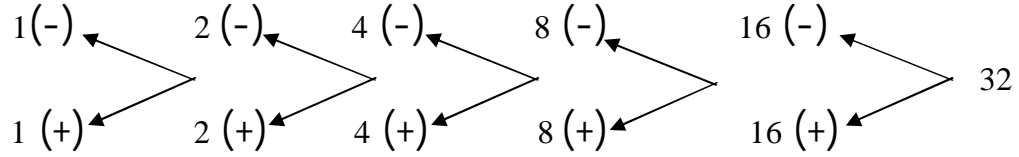
- التقدير المزدوج: بعد جمع المعلومات المحصل عليها من خلال التداعي الحر نقترح على الفرد تشكيل الازدواجيات الممكنة حسب الصيغة: $n = (n - 1) / 2$ بحيث يجب وضعها على سلم 5 درجات للتماثل ما بين المصطلحين، وهذا التقدير الازدواجي يسمح باستخراج مجال التصورات ويعالج بالتحليل العملي في سجلات وقوالب متماثلة، إنها تحدث وكما يبدو طبقية العوامل (le Bouedec 1984). وهي تسمح بالوصول إلى تركيبية أو شبكة بدائية، وهكذا يمكننا القول عنها إنها أساسية للتصورات.

- تكوين مجموعة الكلمات: هذه التقنية مستخدمة من طرف علم النفس اللغوي، وهي تقوم باقتراح على الفرد جمع المواضيع في علبة (منتج من طرف أو مقترحة عليه)، ونجمع أو نقرن الكلمات التي تكون جد متماثلة، ثم نتساءل بعدها عن الغاية من هذا التجمع. كذلك نستطيع أن نطلب منه إعطاء عنوان لكل علبة (قالب) أو يربط بواسطة سهم في كل قالب للمواضيع الكلمات الأكثر علاقة، ثم نتساءل من جديد على طبيعة وغاية العلاقات.

- التصنيف الطبقي المتتابع: يعتبر " J. C. ABRIC " هو الذي هياً هذه التقنية من حيث الصدق وحاول إثباتها، وبدلاً من الشرح فإننا نفضل وصفاً مباشرة: هدف التقنية حيث يقوم بادئ ذي بدء بجمع جملة من التدايعات المرتبطة بهدف التصورات المدروسة، ونهياً كذلك للمجموعة المعطاة جملة من المواضيع، وبواسطتها سوف نحتفظ بالمواضيع المنتجة والأكثر تكراراً، ونأخذ بالاهتمام اختيار عدد مهم من المواضيع (على العموم 32) بطريقة وضع عنصر جد واسع يفهم به مواضيع قد تكون متكررة.

وهذه القائمة هي إذن مقترحة في المرحلة الثانية للفرد تحت شكل 32 ملف مجسد > 32 موضوع. ونطلب منه فصله إلى علبتين (أو قالبين): قالب متكون من 16 موضوع الأكثر وصفا للموضوع المدروس، وقالب متكون من 16 موضوع الأقل وصفا.

ثم بعدها نقوم بنفس العملية على 16 موضوع الأكثر وصفا من طرف الأفراد، حيث نطلب منهم اختيار 8 مواضيع الأكثر وصفا، و8 مواضيع الأقل تصورا، وهكذا على 4 ثم على 2.



وعليه نحصل على ترتيب بحسب الأهمية لكل فرد بمجموعة من المواضيع المقترحة. وانطلاقا من هذا يمكن حساب الصف (الخط) المتوسط لكل موضوع في شعبة معطاة⁽¹⁾.

- اختيار تتابعي بواسطة الأقسام (الأجنحة): إنطلاقا من قائمة مكونة من 20 موضوع (مجموعة من مقابلات نصف موجهة)، الأفراد يشكلون مجموعة من الاختيارات من خلال الأجنحة الرباعية، ونطلب منهم أولا 4 مواضيع التي تجسد أحسن تطابق لمفاهيم الموضوع، هذه المواضيع نرمز لها بنتيجة (2+)، ثم نطلب منهم عزل 4 مواضيع الأكثر بعدا على سبب الاختيار، ونرمز لها بنتيجة (2-)، ثم في 12 موضوعا الباقية نطلب منهم تحديد 4 مواضيع التي تتطابق جيدا مع سبب الاختيار ونعبر عنها بنتيجة (1+)، وفي النهاية نطلب منهم عزل 4 مواضيع الأسوأ بالنسبة للاختيار ونرمز لها بنتيجة (1-)، و يبقى إذن 4 مواضيع التي ليست مختارة و ليست مرفوضة و التي نعطيها النتيجة (0).

كل موضوع موزون بنتيجة على سلم 5 مسافات: (-2، -1، 0، 1+، 2+) كذلك يمكننا علاج المعطيات انطلاقا من مؤشر المسافة الذي يسمح من جهة بقياس شدة أو قوة الانحراف، الملاحظ بين عاملين ضمن العينة، و من جهة أخرى لمقارنة أهمية بعض عناصر التصورات في الجماعات المختلفة.

- جدول تركيب تقنيات الجمع: ولأننا كنا مضطرين إلى عرض أهم الطرق والتقنيات اللازمة لجمع أكبر عدد من المعلومات حول التصورات الاجتماعية فإننا سوف نحاول في هذه الطريقة الأخيرة جمع الجانب النظري في جداول نظم المعلومات الجمعية، اختيار التقنيات، ومبادئ التحليل والمعطيات لطرق جمع وتحليل المعلومات، وهي غالبا ما تكون تكميلية ولا بد من اختيار مجموعة من الحواجز

وسوف نذكر هذه الطرق و هذه التقنيات بشيء من التدقيق في الجداول الآتية:

1/ J.C.Abric : pratique sociale et représentations, 1994, op-cit , p. 74.

الملاحق

الخلاصة:

إن مفهوم التصورات الاجتماعية مهم جدا في ميدان البحوث الاجتماعية والنفسية، ورغم حداثة كمفهوم أو كأسلوب بحث إلا أنه ظل منسيا سنوات طويلة، وإن كانت العودة إليه قد منحت الكثير للعلوم الإنسانية والاجتماعية ولاسيما على صعيد البحث والتنقيب، فمن خلاله تم التطرق إلى جملة المواضيع التي كان من الصعب تناولها بالبحث والدراسة، ولعل الفضل في كل هذا يرجع - وكما رأينا - إلى الباحث "موسكوفيسي" الذي قدم هذا الموضوع إلى الساحة العلمية وكذا إلى الباحثين الذين لم يتوانوا في إخراجهم كعلم مستقل بذاته عن بقية العلوم الأخرى. وإن كنا قد تناولناه كأول فصل في دراستنا لموضوع الكتابات الجدارية، فإنما لقناعتنا بما يحتويه من عناصر ثرية تخدم صلب الموضوع وكذا لملائمته لطبيعة وهدف موضوعنا.

-3- العنف الرمزي:

تمهيد:

بالرجوع إلى التراث العلمي للعديد من مجالات العلوم، نجد أن مفهوم العنف شغل حيزا هاما ولاسيما في علم النفس وعلم الاجتماع والقانون والسياسة...، وتعددت التصورات النظرية حول العنف بتعدد مجالات الدراسة والبحث.

ومن هنا أصبح من الصعب إيجاد تعريف موحد لمفهوم العنف، نظرا لتشعب الميادين التي يحتويها، واختلاف وتنوع مقاربات الباحثين تبعا لاختلاف تخصصاتهم، منطلقاتهم، خلفياتهم الفكرية والمنهجية، فكل من الفلاسفة وعلماء النفس وعلماء السياسة والاجتماع والقانون، والمختصين في الجريمة لهم طريقتهم الخاصة في تعريفه، كما تختلف هذه الأخيرة حسب الأهداف والأغراض المعلنة والخفية المراد بلوغها، وكذا الظروف المحيطة والمسيطرة التي توجه هذه التعريفات⁽¹⁾، وسنحاول في هذا الفصل الإلمام بمعظم التعاريف البارزة للعنف بشكل عام. كما سنتناول بالدراسة أشكاله وأسبابه وأنواعه ومظاهره ومقارباته النظرية والعلمية، ثم سندخل بعد هذه الأرضية الخصبة إلى الجزء الثاني الأكثر دقة ألا وهو "العنف الرمزي"، واستنادا لما توفر لدينا من المعلومات فقد تناولنا بالذكر جملة من التعاريف له أسبابه، وكذا أشكاله ومظاهره، وخلال كل ذلك حاولنا التدعيم بأمثلة سواء من الحياة الاجتماعية أو استنادا إلى موضوع بحثنا.

1/ د . ابراهيم بلعادي : العنف والمجتمع " مداخل معرفية متعددة "، أعمال الملتقى الدولي الأول (9-10 مارس 2003) جامعة محمد
حيضر، بسكرة، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم علم النفس وعلم الاجتماع، ص 13.

- 67 -

3-1/ تعريف العنف:

أ/ لغة: جاء في المعجم " لسان العرب " على أن العنف هو الخرق بالأمر وقلة الرفق به وعليه:
يعنف عنفا و عنافة وأعنفه وعنفته تعنيفا، وهو عنيف إذا لم يكن رفيقا فيما لا يعطي على العنف، أما
الأعنف: كالعنيف والعنيف: الذي لا يحسن الركوب، ليس له رفق بركوب الخيل. وأعنف الشيء:
أخذه بشدة، واعتنف الشيء: كرهه، والتعنيف: التوبيخ والتقريح واللوم. وعنف: العين والنون والفاء
أصل صحيح يدل على خلاف الرفق. قال الخليل: " العنف ضد الرفق، تقول عنف يعنف عنفا، فهو
عنيف إذا لم يرفق في أمره "(1).

ومن خلال هذا التعريف الملمة لغة بالعنف، يتضح لنا أن كلمة عنف تشير إلى عبارات عديدة
كالخرق بالأمر وقلة الرفق والشدة، وهي عبارات تحمل الكثير من الإشارات التي سوف نتطرق إليها عبر
التعاريف اللاحقة.

فمنذ قدم التاريخ ارتبط مفهوم العنف بالقوة الصادرة عن الطبيعة أو الآلهة⁽²⁾، ففي اللغة الفرنسية
كلمة عنف " Violence " تعود إتيولوجيا إلى الكلمة اللاتينية " Violentia " والتي تشير إلى طابع
غضوب شرس، جموح وصعب الترويض⁽³⁾. وكلمة " Violentia " من الناحية الاشتقاقية (الأصل) أو
إتيولوجيا تنبعث منها عدة كلمات أو مقاطع، وتأخذ كلها معاني القوة والشراسة بحيث تحتوي على
الفعل " Violaré "، والذي يعني التعامل بالعنف، أي بالخرق والتدنيس⁽⁴⁾.

وكلمة " Violentia " ترتبط بكلمة " Vis " و " Latus " و " Vis " من معاني القوة، وكلها تدل
على طاقات الجسم وقدرته الأساسية، كالنشاط والبأس وهو نفس المعنى للكلمة " IS " التي تعني
العضلات؛ والقوة هي بدورها ترتبط بالكلمة " Bia "، ولها نفس أصل كلمة " Bios " والتي تعني
الحياة⁽⁵⁾، وهي كلمة تعطي معنى الحياة لكثير من العلوم مثل: بيولوجي Biologie وبيوجسمي Bio-
physique؛ كما أن كلمات: " Bia - Via - Vita " إنما تدل على رغبة البقاء وحب الحفاظ على
الذات، وعليه فإن كلمة عنف " Violence " تأخذ معنى قوة الحياة والبقاء.

1/ الإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد ابن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري : " لسان العرب " ، بيروت، دار الصادر، المجلد التاسع، 1968، ص 257-258.

2/ <http://www.rezgar.com/debat/show.Art.Asp?Aid=20780>

3/ Grand dictionnaire de la langue Française, Larousse, vol 7, 1989, p p . 6489 – 6496.

4/ Gérard pirlot: La violence et souffrance à l'Adolescence; Psychopathologie, Psychanalyse et anthropologie culturelle, l'Harmattan,2003, p. 26.

5/ Gérard pirlot: La violence et souffrance à l'Adolescence; Psychopathologie, Psychanalyse et anthropologie culturelle, l'Harmattan,2003, op - cit, p. 27.

-68-
أما الشطر الثاني: " Latus " فهي إسم مفعول لكلمة " Firo " وتعني يحمل، فكلمة عنف " violence " تعني إذا يحمل القوة وترمي في أولى معانيها إلى استعمال القوة عند الآخرين (1).

إن هذا المعنى لكلمة العنف إنما يمتد في العديد من القواميس اللغوية (2) كمعجم " Larousse " الفرنسي الذي يعرف العنف بكونه خاصية لكل ما ينتج عنه مفعول بقوة شديدة متطرفة ووحشية، فهو خاصية لما هو عدواني، إنه تعبير عن أقصى الشدة وهو تجاوز عبر اللفظ والسلوك، ويعكس استخدام القوة. كما أن موسوعة "Universalise" المعجمية تحده كفعل يمارس من طرف فرد أو أفراد آخرين، عن طريق التعنيف قولا أو فعلا...، وهو فعل عنيف يجسد القوة التي يمكنها أن تكون فيزيقية أو رمزية. ويشير القاموس " راندوم هاوس Random House " إلى أن مفهوم العنف يتضمن ثلاثة مفاهيم فرعية وهي: الشدة الإيذاء والقوة المادية.

أما قاموس روبر " Robert " (3) (فرنسي معاصر) يشير إلى أن العنف: " هو التأثير على الفرد وإرغامه دون إرادته وذلك باستعمال القوة واللجوء إلى التهديد ".

ويعرف " لالاند " (4) في موسوعته الفلسفية العنف على أنه: " سمة ظاهرة أو عمل عنيف بالمعاني، وهو الاستعمال غير المشروع أو على الأقل غير القانوني للقوة، ويربط أيضا "لالاند" بين العنف وبين الانتقام (الثأر) والذي يعني بهما - اشتقاقا - عقابا أو ثأرا، ولكن بنحو أخص هو ردة فعل عفوية من الضمير الأخلاقي المهان الذي يطالب بمعاينة الجريمة ".

وهكذا يتبين مرة أخرى من هذه التعريفات اللغوية المختصرة بأن في صلب كلمة العنف توجد فكرة القوة، وأن ممارستها ضد شيء ما أو شخص ما هو الذي يعطيها طابع العنف.

إن مفهوم العنف تشكل تدريجيا في المعاجم اللغوية وأيضا في الدراسات والاختصاصات الفكرية والميدانية التي تناولته، حيث انفصل في الفكر المعاصر عن مجال الطبيعة والآلهة، وأصبح يعرف باعتباره ظاهرة خاصة بالإنسان ككائن اجتماعي، يتفاعل مع غيره ضمن صراعات اجتماعية واقتصادية

وسياسية، ويؤكد الباحثون الذين تناولوا موضوع العنف أن اللبس الذي أحاط بمحاولات التعريف، يعود من جهة إلى تعدد دلالات المفهوم وتنوع المضامين التي تشير إليها، ومن جهة أخرى إلى اختلاف المنطلقات والتخصصات المعرفية التي تناولته، حيث يمكن أن ينظر إليه من زوايا أو نواحي مختلفة.

1/ L. Gillioz: Définition de la violence, in : <http://www.Eurowrc.org/06.contributions/2.du> 25/12/02

2/ <http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp?Aid=20780>

3/ Robert. P: dictionnaire le Robert an alphabétique et Analogique de la langue Française ; Société du nouveaux livres (S.N.L) , Paris 1978, p. 2097.

4/ أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد 3، منشورات عويدات، بيروت وباريس 1996، ص 1554.

-69 -

ب/ اصطلاحاً: وستنطرق إلى معنى العنف من خلال عدة نواحي:

1- من الناحية النفسية: ويعرف العنف على أنه: "السلوك المشوب بالقسوة والعدوان والقهر والإكراه، وهو عادة سلوك بعيد عن التحضر والتمدن، تستثمر فيه الدوافع والطاقات العدوانية استثماراً صريحاً بدائياً كالضرب والتقتيل للأفراد، والتكسير والتدمير للممتلكات، واستخدام القوة والإكراه للخصم وقهره"⁽¹⁾.

أي أن العنف هنا يضم كل التصرفات السيئة التي تهدف إلى تدمير الغير وإخضاعهم بالقوة والإكراه. ويعرفه " أدلر ADLER " على أنه: " استجابة تعويضية عن الإحساس بالنقص أو الضعف "⁽²⁾. على اعتبار أن الفرد تصاحبه جملة من الاحساسات كالإحباط، والخوف من الموت ومن المستقبل، فيسارع لمثل هذه التصرفات بدافع تلك الصراعات الداخلية.

ويعرفه: " سيد عويس " على أنه: " سلوك عدواني، أو هو وليد الشعور بالعداوة، قد يوجه ضد الطبيعة أو يوجه من أفراد إلى أفراد، أو من أفراد إلى جماعات منتظمة، أو من جماعات منتظمة إلى جماعات منتظمة أخرى"⁽³⁾. أي أن العنف ينتج بسبب الشعور بالحقد والكراهية والبغض للآخرين مهما كانوا سواء أفراد أو جماعات، كما يمكن أن يأخذ عدة أشكال سواء فردي أو جماعي.

ويرى " سعد المغربي"⁽⁴⁾ أن العنف هو: " استجابة سلوكية تتميز بصيغة انفعالية شديدة قد تنطوي على انخفاض في مستوى البصيرة والفكر "، ويقول كذلك: " أن العنف لا يرتبط بالضرورة بالشر والتدمير، فقد يقال أن فلان يجب بعنف أو يكره بعنف أو يعاقب بعنف". وهنا يربط فكرة العنف بالقوة على اعتباره الاستعمال السيئ لها، وهذا يعني أن كل عنف هو قوة وليست كل قوة هي عنف.

كما يعرف العنف أيضا على أنه: " السلوك الذي يقوم به الفرد منتهكا معيارا معيناً لوجود دافع معين، ولوجود مجموعة من العوامل والظروف أو الضغوط التي يخضع لها الفاعل"⁽⁵⁾. وبهذا المعنى فإن العنف ظاهرة سلوكية تنشأ من خلال تفاعل الفرد بالآخرين حسب الظروف المحيطة به.

وحسب " إسنا رد HESNARD " العنف هو: " نتاج مأزق علائقي، بحيث التدمير للآخرين أو للفرد /1 د. فرج عبد القادر طه، ود. شاكر عطية قنديل: موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 2003، ص. 589.

/2 د. الزين عباس عمارة: مدخل إلى الطب النفسي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1986، ص. 194.

/3 المرجع نفسه، ص. 194.

/4 المرجع نفسه، ص. 194.

/5 زينب حميدة بقارة: حنوح الأحداث وعلاقته بالوسط الأسري، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 1990/1989، ص. 11.

نفسه، فيشكل العنف طريقة معينة للدخول في علاقة مع الآخرين"⁽¹⁾.

أما " ميرز Merz " فيرى أن العنف: " هو سلوك يؤدي إلى إيقاع الأذى بالآخرين سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ". ويرى الباحثون في مجال علم النفس أن: " العنف استجابة سلوكية تظهر في شكل من أشكال ممارسات القوة فوق إرادة الناس الآخرين، ويعني كذلك إثارة الفزع والرعب والهلع والخوف النفسي". ويعبر العنف عن سلوك عدواني: " ينتج عن حالة إحباط تكون مصحوبة بعلامات التأثير والغضب، ويظهر على شكل سلوكيات، الغرض منها إلحاق الأذى والضرر بالآخرين سواء من الناحية المادية أو المعنوية، وهو ذو طبيعة غريزية وعاطفية"⁽²⁾، مثلما هو الأمر عند الطفل الذي يجد حوافز تحول دون إشباع رغباته البيولوجية والغريزية، فيتولد لديه الإحساس بالإحباط، ومن ثمة ينشأ السلوك العنيف كردة فعل.

ويعرفه قاموس العلوم الإنسانية على أنه: " فعل حشن يهدف إلى الضغط وإرغام الآخرين"⁽³⁾.

أما بالنسبة لرائد النظرية التحليلية " فرويد Freud"⁽⁴⁾ فيرى: " أن العنف والعدوان إنما هو ناتج عن غريزة الهدم التي تتعارض مع غريزة الحب والحياة ". كما يرى أن العنف: " قوة حياتية موجودة بالفطرة في اللاشعور الجماعي الثقافي ".

والعنف كما عرفته هيئة الأمم المتحدة: " الفعل القائم على سلوك عنيف، ينجم عنه الإيذاء أو المعاناة (الجسمية أو النفسية)، أو الحرمان النفسي من الحرية في الحياة العامة أو الخاصة"⁽⁵⁾.

أما " عاطف عدلي عبد العبيد " فيعرفه على أنه: " صورة من التفاعل الإنساني يؤدي إلى الأذى الذي يصيب الجسد أو النفس أو كلاهما، ويسبب ضررا قد يؤدي إلى القتل، ويكون موجها إلى الإنسان أو الحيوان أو الممتلكات، سواء كان ذلك عمدا أو مصادفة"⁽⁶⁾.

1/ مزوز بركو: مساهمة في دراسة آراء الأطفال حول ظاهرة العنف عند الأطفال وأشكال العقاب الممارس على الطفل العنيف، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم علم النفس، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2002/2001، ص 10.

2/ فليب بارنو، آلان بيرو، رامون بلان: المجتمع والعنف، ترجمة الآب إلياس الزحلاوي، منشورات دار الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1975، ص 141.

3/ محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، دار الطبع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص 213.

4/ توماس بلاس: العنف والإنسان، أربع دراسات حول العنف والعدوان، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1990، ص 13.

5/ [http://www.alittihad.ae/details.asp?a=1 & Chanel = 76 journal =3/8/2005&id=1748](http://www.alittihad.ae/details.asp?a=1&Chanel=76&journal=3/8/2005&id=1748)

6/ عاطف عدلي عبد العبيد: مدخل الاتصال والرأي العام، القاهرة، مصر، 1993، ص 15.

2- من الناحية الاجتماعية:

- 71 -

ويعرفه "محمد عاطف غيث"⁽¹⁾ في قاموس علم الاجتماع: " هو فعل ممنوع قانونا وغير موافق عليه اجتماعيا "، ويعني كل سلوكيات المخالفة للقانون وقيم المجتمع. ويعرفه أيضا على أنه: " تعبير صارم عن القوة التي تمارس لإجبار الفرد أو الجماعة على القيام بعمل من الأعمال المحددة، يريدها الفرد أو جماعة أخرى، حيث يعبر العنف عن القوة الظاهرة التي تتخذ أسلوبا فيزيقيا، مثال ذلك الضرب أو تأخذ شكل الضغط الاجتماعي وتعتمد مشروعيتها على اعتراف المجتمع". أي أن العنف هو الاستعمال المباشر للقوة لإجبار الفرد أو الجماعة على القيام بعمل ما وهنا يأخذ العنف مظاهر جسدية واضحة كالضرب...

أما " محمد جواد رضا " فقد أعطى معنى اجتماعي للعنف بأنه: " الاستعمال غير القانوني لوسائل القصر المادي أو البدني، ابتغاء تحقيق غايات شخصية أو جماعية"⁽²⁾، أي بغرض تحقيق مصالح فردية أو جماعية، فيستعمل العنف بطريقة تعسفية وملتوية، ويتخذ دوما مظهرا جسديا هدفه إلحاق الضرر والأذى بالغير.

بينما عالمي الاجتماع الأمريكيين " H. Graham و T. Gurr " فيعرفان العنف على أنه: " سلوك يميل إلى إيقاع أذى جسدي بالأشخاص، أو خسارة بأموالهم، وبغض النظر عن معرفة ما إذا كان هذا السلوك يبدي طابعا جماعيا أو فرديا"⁽³⁾.

ويعرفه " ساندا بول روكينغ " على أنه: " الاستخدام غير الشرعي للقوة أو التهديد لإلحاق الأذى والضرر بالآخرين "(4). كذلك يعرفه " دينستين " على أنه: " استخدام وسائل القهر والقوة أو التهديد لإلحاق الأذى والضرر بالأشخاص والممتلكات، وذلك من أجل تحقيق أهداف غير قانونية أو مرفوضة اجتماعياً".

وأما " مصطفى حجازي " فيرى بأنه: " لغة التخاطب الأخيرة الممكنة مع الواقع ومع الآخرين، حيث يحس المرء بالعجز عن إيصال صوته بوسائل الحوار العادي، وحين تترسخ القناعة لديه بالفشل في إقناعهم بالاعتراف بكيانه وقيمه، والعنف هو الوسيلة الأكثر شيوعاً لتجنب العدوانية التي تدين الذات الفاشلة بشدة، من خلال توجيه هذه العدوانية إلى الخارج بشكل مستمر أو دوري وكلما تجاوزت

1/ محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، سبق ذكره، ص. 213.

2/ محمد جواد رضا: ظاهرة العنف في المجتمعات المعاصرة، تفسير سوسيو-سيكولوجي في علم الفكر، مجلة دورية تصدرها وزارة الإعلام الكويتي، المجلد 5، العدد 3، أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر، 1974، ص. 147.

3/ عبد الناصر حريز: الإهاب السياسي، دراسة تحليلية، مكتبة مدبولي، طلعت حرب، القاهرة، ط 1، 1996، ص. 44.

4/ جليل وديع شكور: العنف والجريمة، الدار العربية للعلوم، بيروت، 1997، ص. 31.

حدود الاحتمال الشخصي "(1)، أي أن العنف تأتج عن صراعات داخلية وعن الإحساس بالإحباط اتجاه مطالب الحياة، فيأتي العنف كرد فعل لإثبات الذات وتحقيق السيطرة على الغير.

كما أن "العنف يمكن أن يكون فردي (يصدر عن فرد واحد)، أو جماعي (يصدر عن جماعة، هيئة أو مؤسسة تستخدم جماعات أو أعداد كبيرة من الأفراد...)، على نحو ما يحدث في التظاهرات السلمية التي تتحول إلى عنف من تدمير واعتداء تستلزم تدخل الشرطة لفض هذه التظاهرات والاضطرابات"(2).

وحسب " بيار فيو Pierre Fiew " فالعنف هو: " ضغط جسدي ومعنوي ذو طابع فردي أو جماعي يترله الإنسان بالإنسان"(3)، حيث يتخذ دائماً الطابع الجسدي والمعنوي.

أما عند " Hilgard " : " فهو نشاط تخريبي أو هدام من أي نوع، أو أنه نشاط يقوم به الفرد لإلحاق الأذى بشخص آخر، إما عن طريق الجرح الفيزيقي أو عن طريق سلوك الاستهزاء أو السخرية أو الضحك".

ونستنتج من كل ما سبق من هذه التعاريف أن العنف من المنظور الاجتماعي هو أي فعل يمارس بالقوة، ويهدف إلى إلحاق الأذى بالفرد خاصة وبالجماعة عامة، وهو استخدام غير قانوني للقوة وذلك لتحقيق أهداف وأغراض لا قانونية ولا اجتماعية أي يرفضها المجتمع، لأنها مصالح فردية وليست جماعية، كذلك يتخذ العنف هنا مظهر واضح جدا وهو مظهر جسدي (مادي).

3- من الناحية السياسية:

يعرفه " حسنين توفيق إبراهيم "(4) على أنه: " مجموعة من الاختلافات والتناقضات الكامنة في المجتمع"، وهنا يتخذ العنف ثلاث اتجاهات:

الاتجاه الأول: العنف هو الاستخدام الفعلي للقوة المادية وإلحاق الضرر بالذات أو الأشخاص الآخرين، وتخریب الممتلكات للتأثير على إرادة المستهدف، وعلى هذا فإن السلوك العنيف يتضمن معنى الإرغام والقهر من جانب الفاعل، والخضوع أو المقاومة من جانب المفعول به أو المستهدف.

الاتجاه الثاني: العنف هو الاستخدام الفعلي للقوة المادية أو التهديد باستخدامها، وهذا التعريف يوسع المفهوم ليشمل التهديد بالقوة إلى جانب الاستخدام الفعلي لها.

1/ د. مصطفى حجازي: التخلف الاجتماعي، مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 8، 2001، ص 165.

2/ د. فرج عبد القادر طه، ود. شاكرا عطية قنديل: موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، سبق ذكره، ص 589.

3/ د. حسنين توفيق إبراهيم: ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية، مركز الدراسات للوحدة العربية، بيروت، ط1، 1992، ص 43.

4/ المرجع السابق، ص 42-43.

- 73 -

الاتجاه الثالث: ينظر للعنف باعتباره مجموعة من الاختلالات والتناقضات الكامنة في الهياكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمجتمع.

وانطلاقاً مما سبق فإن العنف هو سلوك فعلي أو قولي يتضمن استخدام للقوة أو تهديداً باستخدامها لإلحاق الأذى بالذات أو بالآخرين، وإتلاف الممتلكات لتحقيق الأهداف، وعندما تكون دوافع العنف وأهدافه سياسية فإنه يصبح سياسياً، هذا وإن العنف من هذا المنظور قد يتخذ عدة أشكال منها: غياب التكامل الوطني داخل المجتمع، وسعي بعض الجماعات إلى الانفصال عن الدولة (كأحداث القبائل في الجزائر)، وغياب العدالة الاجتماعية وحرمان قوى معينة داخل المجتمع مع بعض الحقوق السياسية، أيضاً عدم إشباع الحاجة السياسية: كالتعليم، والصحة، والتغذية لقطاعات عريضة من المواطنين...

ويرى "سعد المغربي": " أن العنف قد يكون ضرورة في موقف معين وظروف معينة للتعبير عن واقع بعينه، أو تغييره تغييراً جذرياً، وقد يكون العنف ردة فعل أو استجابة لعنف قائم" (1). وهذا يبرز مثلاً في المظاهرات التي تنادي بتنحي رئيس ما، أو تغيير نقاط في الدستور، أو أنها تنشب نتيجة الظروف القهرية الممارسة.

ويقول " H. Neiburg " هو: " أفعال التدمير والتخريب وإلحاق الأضرار والخسائر التي توجه إلى أهداف أو ضحايا مختارة أو ظروف بيئية أو وسائل وأدوات، والتي تكون آثارها ذات صفة سياسية، من

شأنها تعديل أو تقييد أو تحوير سلوك الآخرين، في موقف المساواة والتي لها نتائج على النظام الاجتماعي"⁽²⁾.

ونجد في تعريف "ويكمان Wekman" الإشارة إلى كامل أوجه العنف سواء النفسي أو الاجتماعي أو القانوني أو السياسي، حيث يعرف العنف بأنه: "سلوك أو فعل يتسم بالعدوانية، يصدر عن طرف قد يكون فردا أو جماعة أو طبقة اجتماعية أو دولة، بهدف استغلال وإخضاع طرف آخر في إطار علاقة قوة غير متكافئة اقتصاديا واجتماعيا أو سياسيا، مما يتسبب في إحداث أضرار مادية أو معنوية لفرد أو جماعة أو طبقة اجتماعية أو دولة أخرى"⁽³⁾.

ويتضح مما سبق أن العنف من المنظور السياسي، إنما هو ممارسة أعمال العنف بسبب ظروف معينة لحالة اجتماعية ومعيشية مزرية، أو لانعدام العدالة بين شرائح المجتمع، أو التسلط السياسي كالمظاهرات

1/ د. سعد المغربي: سيكولوجية العدوان والعنف، علم النفس، مجلة البحوث والدراسات النفسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1 1987، ص 35-36.

2/ عبد الناصر حريز: الإرهاب السياسي، سبق ذكره، ص 44.

3/ [http://www.alittihad.ae/details.asp?a=1 & Chanel = 76 journal =3/8/ 2005 & id = 1748.](http://www.alittihad.ae/details.asp?a=1&Chanel=76&journal=3/8/2005&id=1748)

المناهضة لرئيس ما أو المعادية له والتي تطالب⁴ بتغييره أو تغيير بنود في الدستور أو تنادي بجملة من المطالب - كما حدث في الجزائر في أواخر الثمانينات-، وهذه المظاهرات كردة فعل لعنف سلطوي أو سياسي فإنها في حد ذاتها تكتسب طابع العنف، وهذا من خلال أعمال الشعب التي تستهدف تكسير وتدمير المنشآت والمرافق العمومية.

ويرى البعض أن هذه السلوكات العنيفة ذات الطابع السياسي، التي تظهر بين الحين والآخر، إنما هي دليل قاطع على وجود ثغرات في النظام أو الحكم وهي مؤشر بارز على انعدام الأمن في المجتمع.

4- من الناحية القانونية:

ويعرفه "حارث سليمان الفاروقي"⁽¹⁾: "أنه القوة المادية والإرغام البدني واستعمال القوة بغير حق، ويشير المعنى إلى كل ما هو شديد وغير عادي"، ويصنف "أحمد بدوي زكي" العنف بأنه: "الإكراه أو استخدام الضغط أو القوة استخداما غير مشروع أو غير مطابق للقانون من شأنه التأثير على إرادة فرد أو مجموعة من الأفراد"⁽²⁾.

فالعنف في نظر رجل القانون هو جريمة يعاقب عليها القانون حسب درجة ونوع العنف، لأنه سلوك غير معترف به، ويكون عن طريق استخدام القوة بمختلف أنواعها.

كما يعرف "جورج جرينر": العنف بأنه: "التعبير الصريح عن القوة البدنية ضد الذات أو الآخرين، أو هو إجبار الفعل ضد رغبة شخص على أساس إيذائه بالضرر والقتل أو قتل النفس أو إيلاهما وجرحها"⁽³⁾، مثال ذلك الاغتصاب والتحرشات الجنسية ...
وعند "بول كولينغ": "هو الاستخدام الغير شرعي والغير قانوني للقوة أو التهديد بهدف إلحاق الأذى والضرر بالآخرين".

كما أن مفهوم العنف يشير إلى أفعال التمرد والانفصال (الفردية منها والجماعية)، والناجحة عن اختلاف الهياكل الاجتماعية أو التكامل الوطني، وغياب العدالة الاجتماعية وانتشار الحرمان⁽⁴⁾. زيادة على هذا فالعنف "أسلوب بدائي، فإنه يشكل في كثير من الأحيان جريمة يعاقب عليها المجتمع، وككل الجرائم فهو ينخر في كيانه وينال من وحدته وتماسكه واستقراره وأمنه"⁽⁵⁾.

1/ سليمان حارث الفاروقي: معجم القانون، مكتبة لبنان، 1988، ص. 734.

2/ أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، 1982، ص. 441.

3/ محمد حضر بن مختار: الاغتراب والتطرف نحو العنف، دار غريب، القاهرة، 1999، ص. 155.

4/ العربي فرحاتي: العنف وجه آخر للحداثة، مداخلة بالملتقى الدولي العنف والمجتمع، بسكرة، سبق ذكره، 2003، ص. 145.

5/ عبد الرحمن عيسوي: مبحث الجريمة، دراسة في تفسير الجريمة والوقاية منها، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، 1992، ص. 153.

-75-

والعنف في مجمله من المنظور القانوني، فعل مستنكر اجتماعيا ومرفوض قانونيا مهما كانت صفته وأسبابه، لأنه أولا وقبل كل شيء يهدف إلى هدم الفرد والمجتمع عموما.

5- من الناحية الاقتصادية:

يقول "River" و"Swizer" أن العنف هو: "الاستخدام الغير عادل من قبل مجموعة من الأفراد لإلحاق الأذى بالآخرين والضرر بممتلكاتهم".

ويرى الدكتور "حسنين توفيق إبراهيم" في مدخل كتابه "ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية" أن العنف هو: "ظاهرة مركبة لها جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية، وهو ظاهرة عامة تعرفها كل المجتمعات البشرية بدرجات متفاوتة"⁽¹⁾. وهذا يعني أن العنف هنا إنما هو الاحتكار والسيطرة على الجزء الهام من الممتلكات العامة لفئة معينة وتهميش البقية، وهذا دليل على انعدام تساوي الفرص في الربح والخسارة، وهي دليل على سيطرة بعض الفئات في المجتمع على مداخل الأموال دون البقية، وهذا ما يؤدي إلى زيادة رفاهية تلك الفئة وزيادة الفقر والتهميش للفئات الأخرى البسيطة، وبالتالي زيادة الفوارق الاقتصادية، ومن ثمة الفوارق الاجتماعية ومنها ينشأ الصراع بين الطبقات.

1/ حسنين توفيق إبراهيم: ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة أطروحات الدكتوراه (17)، 1990، ص 31.

4-2/ المقاربات النظرية المفسرة لظاهرة العنف:⁻⁷⁶⁻

إن العنف ظاهرة إنسانية وتاريخية لازمتها منذ التواجد الأول على سطح الأرض، لكن هذه الظاهرة لم تبق على طبيعتها بل راحت تتعدد أشكالها وأنماطها باختلاف أسبابها، وأصبحت هاجسا يؤرق البشرية عموما والباحثين خصوصا، ولأنها ظاهرة جد معقدة وصعبة المراس وشائكة بحيث أنها تدخل في جميع ميادين الحياة، فإنه من الصعب جدا إيجاد تفسير شامل وموحد لها، لذلك فإننا سنتناول عدة مقاربات من أجل تفسيرها. فلا نكتفي بذكر قائمة من الأسباب كما سبق الذكر وإنما لا بد من تبيين ذلك بجملة من المقاربات النظرية وهي:

4-2-1/ المقاربة السيكلوجية (النفسية):

ترى هذه النظرية أن العنف يحدث نتيجة الشعور بالإحباط، فبدراسة نمو الطفل نجد أن أي حاجز يحول دون تحقيق إشباع لرغباته البيولوجية وحاجاته الغريزية، يولد لديه الشعور بالإحباط الذي يتسبب في ظهور سلوك عدواني كتحتييم اللعب، وقد يستمر هذا السلوك مع الطفل ويطرسخ أكثر فأكثر إذا ما وجد الظروف المعززة لذلك، وقد يصبح الطفل يشعر بالمتعة كلما مارس هذا النمط من السلوك لأنه يحقق له بعض الرغبات الشعورية وغير الشعورية، ولكي نفهم وجهة النظر السيكلوجية، فإنه يتعين علينا التطرق إلى اتجاهين رئيسيين في هذه المدرسة وسنبداً بالتحليلية ثم السلوكية.

أ- **الاتجاه التحليلي:** ويتزعمه مؤسس المدرسة التحليلية " س. فرويد S. Freud "، حيث يقول: " أن العامل البيولوجي هو المرحلة الطويلة التي يقضيها صغار النوع البشري في حالة عجز واعتماد على الغير، ففترة وجود الطفل داخل الرحم تبدو قصيرة إذا ما قورنت بمثلتها عند بعض الحيوانات، وهو يرسل إلى العالم في حالة أقل إعداداً، وينتج عن ذلك أن تأثير العالم الواقعي عليه يكون أكثر شدة، كما يساعد ذلك على التمييز المبكر بين الأنا والهو، فهذا العامل البيولوجي إذن إنما يكون حالات الخطر الأولى... وحالات الخطر الأولى تشكل العديد من الحاجات: كثرة الخوف، الخوف من الجوع، الحاجة للحماية من أخطار العالم الخارجي، ومن الأخطار الغريزية الداخلية، والحاجة إلى الحب، بالإضافة إلى الحاجات الأخرى الناتجة عن الأنا الأعلى...".

لقد وضع "فرويد"⁽¹⁾ نظريتان لتفسير العنف والعدوان، فبالنسبة للأولى ربط بين غريزة العدوانية والجنسية والموت، والعنف يظهر جيداً في المعجم التحليلي، لأننا لا نتحدث عن العنف فقط وإنما عن التزوات، حيث عرض "فرويد" في أعماله نزوتين هما: **التزوة الجنسية (الليبدو)** وهي مرتبطة بمبدأ الرغبة في حفظ النوع، حيث أنها تهدد وبدون شك توازن الجهاز النفسي، هذا من جهة أما التزوة الثانية

1/ <http://www.protestants.org/textes/violence/Fuches.htm>

والمعارضة فيسميها " فرويد " **نزوة الأنا**، وهي الطاقة المهيأة لخدمة الدفاع عن الشخص المهدد من طرف نزواته الليبيدية الخاصة. ويضيف فرويد أن الفرد ما بين هاتين التزوتين يقع في ضغط نفسي كبير أو في الإحباط. لكنه ترك هذه النظرية عند إصداره لمؤلف " Au- delà du principe de plaisir " حوالي 1920⁽¹⁾، حيث يرى أن العنف ذو منبع غرائزي محض وهو ينشأ من تضاد غريزة الحياة وغريزة الموت وهو ما يجسد نظريته الثانية.

- **غريزة الحياة⁽²⁾:** أو غريزة " إيروس Eros " أو إله الحب كما وجدت في الأساطير اليونانية، ويمكن تسميتها بغريزة حفظ الذات وحب النفس، وهي تتضمن مجموعة القوى الحيوية والدوافع

الغريزية التي تهدف إلى الحصول على اللذة الجنسية، ومنه إلى حفظ النوع والذات، وتأليف الأشياء ببعضها البعض والعمل على بقائها.

- **غريزة الموت**⁽³⁾: أو غريزة " ثانوس Thanos "، وتعرف أيضا بغريزة الهدم، وهدفها تفكيك الارتباطات وهي تتعارض مع غريزة الحياة. إن غريزة الموت هدفها النهائي هو الهدم والتفكيك وإرجاع الكائنات الحية إلى حالة غير عضوية، فعملية الأكل عبارة عن تحطيم للطعام لغرض إدماجه في الجسم، والعملية الجنسية عبارة عن فعل عدواني الغرض منه الحصول على أو ثقب أنواع الاتحاد... ويصدر عن هذا التفاعل بين الغريزتين الأساسيتين في اثتلافهما وتعارضهما جميع ظواهر الحياة المختلفة... وتنشأ عن التغيرات التي تحدث في النسب بين هاتين الغريزتين نتائج هامة، فزيادة العنف الجنسي من شأنه أن يجعل من المحب قاتلا جنسيا، بينما يؤدي النقصان الكبير في العنف إلى الخجل أو فقدان القدرة الجنسية⁽⁴⁾. حيث يرى " فرويد " أن العنف هو شكل من مظاهر رغبة الموت على اعتبارها غريزة فطرية وحيوية، وقد ذكر هذا في رسالته الشهيرة: " Pour quoi la guerre " في 1933 مركزا على أن غريزة الموت تأتي على تدمير كل شيء، وهذا حينما يحس الفرد بخطر ما يهدد هويته⁽⁵⁾. ويرى أيضا أنه طالما كان عمل غريزة الموت مقتصرًا على عمليات داخلية فهي تظل صامتة، ونحن لا نتفطن لها ولا ندرکها إلا حينما تتجه إلى الخارج وتصبح غريزة هدم، حيث يستخدم فيها الفرد القوة الجسمية وذلك حفاظًا على ذاته، أو تكون رغبة في تحويل غريزة الهدم هذه إلى الخارج كما نرى ذلك في السادية، ولأن جزء من هذه

1/ S. Freud : Au -delà du principe de plaisir, 1920, traduction Française, in Jankélévitch S, destin de psychanalyse, Paris, Payot, 1970, in Caroline Rey : les adolescents face à la violence, alternative social ©, Syros nouvelle édition, Paris, France, Août 2000, p 39.

2/ توماس بلاس: العنف والإنسان، سبق ذكره 1990، ص 10.

3/ فرويد: معالم التحليل النفسي، ترجمة د. عثمان نجاتي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 49-52. (بدون تاريخ).

4/ Oliviers Halfon & François Ansermet & autres... : Sens et non-sens de la violence © presses universitaires de France, Août 2002 pp . 59-60.

5/ S. Freud: pour quoi la guerre, in résultats idée, problèmes, in Olivier Halfon, 2002, op-cit, p. 38.

الغريزة المهدامة إنما هو مرتبط باللاشعور، وهذا ما نلمحه في المازوشية.

-78-

إن غريزة الهدم أو الموت تدور حول الفرد في حد ذاته وتهدف إلى تدميره، وهذا ما نلمسه بقوة في حالات الانتحار حيث تنتصر هذه الغريزة على غريزة الحياة، وعلى العموم فإن النظرة التحليلية للعنف تعتبر أن نزوة الهدم أو الموت هي المسؤولة عن أعمال العنف بمختلف أشكالها لأنها - غريزة الموت - سواء كانت اتجاه الفرد نفسه كالانتحار أو تعاطي المخدرات، أو تجاه الغير (كالنهب والاعتصاب والإجرام والإرهاب...) فإنها في مجملها مهدامة، وأسباب ذلك عديدة منها:

● عند إحساس الفرد بالدونية واستصغار الناس له وبخسهم لإمكانياته، تتحرك دفاعاته (الأنا) ساعيا إلى الانتقام لنفسه من المجتمع.

● عند إحساس الفرد بخطر الموت، يختل توازنه النفسي، الجسدي، الاجتماعي، ويتلاشى التزامه بمبادئ المجتمع وتقاليد.

● عندما تتجذر السادية في الإنسان ويصبح العنف عنده سهلا، فيؤمن بذلك لنفسه الإشباع النفسي ويصبح العنف منطلقا للتقليد والتخطيط⁽¹⁾.

وهكذا اعتبر " فرويد " أن العنف فطري في الإنسان عكس بقية الآراء التي سنها لاحقا. وبعده كان عدد من المحللين الذين خلفوه في الميدان أمثال " Bergeret & Stern "، حيث أجمعوا على وجود نزعة فطرية عنيفة ومشاركة بين الإنسان والحيوان لكنها مختلفة عن العدوانية وهدفها حفظ البقاء⁽²⁾.

ب- الاتجاه السلوكي: يرى أن العنف لا يورث بالفطرة، وإنما يكتسب بتعلم الفرد من خلال معاشته الأحداث وخصوصا في مرحلة الطفولة، فإذا ما تعرض لخررة العنف خلالها، فإنه في الغالب سيمارس ذلك لاحقا مع غيره من الناس وحتى مع غيره من عناصر الطبيعة: نبات أو حيوان. ويقول " ألبرت باندورا Albert Bandura ": " يحدث الكثير من التعلم من خلال المحاكاة، فالسلوك العدواني والعنف والهياج الاجتماعي من محاكاة الناس المحيطين بنا، ضمن الإطار الذي تحدده الفروق الفطرية ". وهناك رأي آخر يقول بأن احتمال إقدام الأطفال على العنف لدى الذين سبق وأن شاهدوا العنف الصادر من الراشدين يكون أقوى من إقدام الأطفال الذين لم يشاهدوا هذا النوع من العنف⁽³⁾، فالطفل الذي يعيش في وسط عنيف يتبنى القسوة والاستهتار وعدم التقيد بالمعايير الاجتماعية والأعراف، ولا يجعل لها وزنا يذكر في التعامل مع الآخرين، فيكون سلوكه مشحون بالترعة العنيفة ويعبر عن طلباته

1/ زين الدين مصمودي: مدخل نقدي لتفسير ظاهرة العنف، مداخلة بالملتقى الدولي، بسكرة، 2003، سبق ذكره، ص 43.
2/ Bergeret. J : La violence fondamentale, in Olivier Halfon...2002, op-cit, p. 38.

3/ ديفيد فونتانا: الشخصية والتربية، ترجمة عبد الحميد يعقوب جبرائيل وصلاح محمد نوري داود، مطابع التعليم العالي، أربيل، العراق، 1986، ص 156.

بطرائق فيها الكثير من الغلظة والشدّة⁽¹⁾، ومن ثمّ فالعنف يتكون عند الطفل في وقت مبكر من حياته بحيث تؤدي التربية الخاطئة إلى نقص الشعور بالثبات والاتزان، وهذا ما يخلق نزعة تأكيد الذات والدفاع عنها وممارسة العنف. كما أنه سلوك متعلم من خلال ملاحظتنا ذلك عند المحيطين بنا. ويرى " عبد الرحمن عيسوي ": " أن العنف هو عادة مكتسبة تتدعم كلما مارس المجرم مزيدا من العنف " ⁽²⁾.

وخلاصة القول أن هذه المدرسة إنما هي ذات حدين، الأول بزعامة فرويد والذي يرى بغريزتي الحياة والهدم الضروريتان، وأن اتفاقهما أو تعارضهما إنما يولد نزعة العنف والشر، أما الثاني فهو الاتجاه

السلوكي الذي يرى أن العنف غير فطري وإنما مكتسب ومتعلم عن طريق المحاكاة والتقليد، والدليل أن الفرد إذا ما وجد الظروف المشجعة على العنف زادت عنده هذه التزعة والعكس. وعلى العموم يمكن القول أن هذان الاتجاهان بتعارضهما إنما يضيفان رصيذا معرفيا ثريا لتفسير هذه الظاهرة وفهمها.

4-2-2/ المقاربة التاريخية 'L'approche Historique:

ترى هذه المقاربة أن الإنسان منذ تواجده على سطح الأرض وهو يتزود بطاقة عنيفة وعدوانية حاول استثمارها من أجل الحفاظ على بقائه، ومن أجل اكتساب القوة والسلطة، لقد بينت الدراسات التاريخية ذلك من حادثة قتل هايبيل لأخيه قايليل، وهكذا تعددت الأسباب التي تدفعه إلى هذه السلوكات العنيفة سواء أكانت متأصلة فيه بالفطرة أو أنها مكتسبة من أجل تحقيق غايات وأغراض شخصية. و يعتبر باحثوا التاريخ العنف محركا له، فبمحاولة الفرد السيطرة على الطبيعة والتحكم فيها، بل وتسييرها فيما يخدم نشاطاته بالإضافة إلى سيطرته على أخيه الإنسان، وضع جملة من المبادئ والأفكار التي تبلورت مع مرور الزمن لتصبح عقائد وأعراف متعامل بها عبر التاريخ، يحكم من خلالها على أفعاله إن كانت عنيفة أو مسالمة، وهناك فريق من الباحثين يرى أن العنف لا يمكن إرجاعه إلى طبيعة الفرد كغريزة فطرية كما تدعي ذلك مدرسة التحليل النفسي، بل يعتبرونه وليد الحياة الاجتماعية، وبالضبط لازم ظهور وضعيات اللامساواة بين الأفراد (الطبقة الاجتماعية)، وبروز الملكية الفردية وما نتج عن ذلك من صراعات، حيث يرى " J. P. Sarter " : " أن العنف هو وليد الندرة "، أي ندرة الثروة واحتكارها من طرف طبقة معينة، وأن الصراع الذي نشأ منه العنف إنما سببه الحيرة والخوف من المستقبل وعدم القدرة على التحكم في الإمكانيات وتملكها.

وهناك وجهة نظر أخرى تبناها " Norbert Elias " ⁽³⁾، حيث يرى: " أن العنف يتراجع تاريخيا ويعود ذلك إلى نمو وتطور الاتجاه نحو التحكم في الغرائز، أو ما يسميه بحضارة الأخلاق La civilisation /1 زين الدين مصمودي: مدخل نقدي لتفسير ظاهرة العنف، سبق ذكره، 2003، ص 41.

/2 عبد الرحمن عيسوي: مبحث الجريمة والوقاية منها، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1996، ص 157.
3/ <http://www.members.fortunecity.com/2000-2001>

des Mœurs، وإلى احتكار العنف الشرعي من طرف الدولة " .

ويعتقد أن العدوانية قد تم التحكم فيها تدريجيا عبر التاريخ وتم تهذيبها، بل ويحدد القرن الخامس عشر بالتقريب كبداية لتهذيب السلوكات (إكسابها طابع حضاري يوافق عليه المجتمع) وتخليها عن طابعها الغرائزي. ومن خلال هذه المقاربة نستشف عدة عناصر مهمة لفهم ظاهرة العنف:

- العنف متواجد بتواجد الإنسان.

- لازم كل إنجازاته (حيث أن هذه الإنجازات العلمية والتكنولوجية من جهة والعنف من جهة أخرى)،
إنما يشكلان وجهان لعملة واحدة وهي تاريخ الإنسانية.

كل الدراسات ومهما تعددت أشكالها، ثقافية واجتماعية أو سياسية، إنما اختلافها ثراء علمي
لفهم هذه الظاهرة، فكما ينظر "فرويد" للعنف على أنه غريزة فطرية، أو أنه سمة طبيعية متوحشة عند
"لومبروزو"، أو الإنسان الذئب عند "هوبز"، أو الكائن الطبيعي الما قبل الثقافي عند "كانط"، أو كما
ينظر إليه على أنه الخطيئة الأولى كما في المسيحية، وغير ذلك من الأبحاث عند "روسو"، و"بولو"،
و"بورديو"، وغيرهم من الباحثين، إنما هذا دليل واحد على إشكالية هذه الظاهرة التي كانت ولا زالت
تؤرق الباحثين⁽¹⁾.

إن العنف يتماشى مع التطور الإنساني، ويبدو أن بصمته لا يمكن محوها من تاريخ الإنسانية،
فنشأه من سنة لأخرى ومن قرن لآخر، وهو يتغير تبعا لتغير طبيعة المجتمع ويمكنه أن يأخذ عدة أقنعة،
لكنه لا يختفي أبدا⁽²⁾.

4-2-3/ المقاربة الأنثروبولوجية L'approche D'anthropologie:

إن هذه المقاربة إنما تتداخل مع غيرها من المقاربات ولا سيما التاريخية والاجتماعية، بحيث تتجه
عموما إلى اعتبار ظاهرة العنف ظاهرة ثقافية بالدرجة الأولى، وتذهب إلى أن إدراك وتحديد وتقييم
العنف يختلف من مجتمع لآخر، ومن مرحلة تاريخية إلى أخرى.

لكن المتتبع لتاريخ البشرية وحسب الدراسات الأنثروبولوجية يتفق مع هذه الدراسات التي ترى بأن هذا
التاريخ إنما هو حافل بالعنف كمارسة فردية أو جماعية، وأنه صاحب كل أطوار التقدم البشري.
ويجمع المحللون الأنثروبولوجيون على أن السمة التي كانت تتميز بها المجتمعات قديما هي ما يسمونه
بالسلوك البدائي للإنسان المتوحش⁽³⁾، أي سمة الوحشية الطبيعية التي تناو لها لومبروزو في نظريته نحو

1/ العربي فرحات: العنف وجه آخر للحداثة، مداخلة بالملتقى الدولي، بسكرة، سبق ذكره، 2003، ص. 151.
2/ Yves Tyrode & Stéphane Bourcet : Les Adolescents violents – clinique et prévention, ©-Dunod, Paris, 2000, p. 39.
3/ العربي فرحات: المرجع السابق، ص 147.

العنف، وهذه السمة كانت بداية من قتل أحد أبناء آدم لأخيه " قتل هايبيل لأخيه قابيل " حفاظا على
البقاء ورغبة في السلطة وفرض القوة، وهذه التزعة البدائية والأصيلة في الإنسان إنما لازمتها طوال إنجازاته
التاريخية والحضارية، وأثبتت دوما سعيه لتحقيق أهدافه مهما كلفه الأمر، وطموحه للارتقاء والمجد
ونشدانه لأفضل الحياة، وبكل الطرق سواء بفرض ذاته على الغير واستعمال القوة والقهر والاستعباد،
كما نلمح ذلك في تاريخ الفراعنة في الحضارة المصرية. والاستبداد لأخيه الإنسان مرورا بكل مراحل

تطور المجتمعات من طور الوحشية البدائية إلى طور القبيلة، ثم الملوكية والألوهية، كما ذكرها الدكتور خليل سعادة⁽¹⁾ في دراسته مستدلاً بأن الحضارات الشرقية القديمة البابلية والآشورية والفارسية والفينيقية والهندية والصينية، رغم مساهمتها المبكرة في تقدم البشرية نحو التمدن والتحضر، إلا أن لها وجهاً آخر للعنف مارسه وبوحشية تجاوزت صورته المظاهر الطبيعية العادية، كإيذاء البدن إلى المس بالكرامة والحرية، حتى سقطت علاقة الإنسان بأخيه الإنسان في النموذج الفرعوني - كما سبق الذكر - إلى حدودها الدنيا.

كما أن الديانات والمعتقدات تعرضت لكل أنواع القمع، ومنها المسيحية في بدايتها حيث تعرض المسيحيون لأشد أنواع التعذيب على يد الوثنيين الرومان، وتعرض الإسلام بدرجة أكبر إلى كل أنواع العنف والحصار والقمع، منذ بداية نشر الإسلام إلى وقتنا الحالي.

وحسب الباحث الأنثروبولوجي "Renè Girard"⁽²⁾ الذي يرى بأن المسيحية هي الديانة الوحيدة التي ترفض وتدين كل أنواع العنف وتدعو إلى السلم، رغم ما تعرضت من حصار واضطهاد. وفي أول دراسة لهذا الباحث عام 1961 "Mensonges Romantiques et vérité Romanesque" أو في إنجازه لعام 1978 "Les choses cachées depuis la fondations du monde"، حيث درس النصوص القديمة والطقوس الإغريقية والديانات، كالتوراة وتحدث مطولاً عن مفهوم "كبش الفداء" الوارد في قصة إبراهيم الخليل، وفي هذه النقطة إنما يتفق مع "غاستون بوتول"⁽³⁾، الذي أدرج هذه الفكرة لكن ضمن عقدة إبراهيم، مضيفاً إليها عقدة كبش الفداء وعقدة ديموقليس⁽⁴⁾ في تفسيره للعدوانية.

1/ فرحاتي العربي: العنف وجه آخر للحداثة، ملتقى العنف والمجتمع، سبق ذكره، 2003، ص 151.

2/ Les Approches de la violence, la théorie de René Girard : <http://www.protestants.org/textes/violence/fuchs.htm>

3/ توماس بلاس وآخرون: العنف والإنسان، أربع دراسات حول العنف والعدوان، ترجمة عبد الهادي عبد الرحمن، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1990، ص 13.

4/ المرجع السابق، عقدة ديموقليس: هي أحد العقد المنتجة لفعل العنف حسب غاستون بوتول التي ذكرها في كتابه "السلم المسلح"، وحسب رأيه فهي تتجلى في مظهرين: (الإحساس بضعف المصير، فيؤول الأمر إلى الاستسلام والانقياد)، والبحث من جهة أخرى عن من علق السيف فوق الرأس فيظهر الشجاعة وتعنيف السلوك ضد مصدر الخوف، فالخوف إذا يولد الاستسلام كما يولد العنف في علاقات الاضطهاد، ولا سيما الاضطهاد الدولي والسياسي والاجتماعي.

ويرى "جيرار" أن كبش الفداء الذي كان يرمز إلى التضحية حينما حاول إبراهيم ذبح ابنه إسماعيل فحل محله الكبش الذي نزل من السماء، إنما ذلك تعبير عن حالة الخوف والصراع ما بين الأجيال، أي بين جيل الآباء والأبناء، وخوف الأب من جحود خليفته دفعه إلى محاولة ذبحه، وهذا أقصى أنواع العنف. ويضيف أن التاريخ حافل بمثل هذه القصص التي تعبر عن هذه الصراعات، كقصة "فيليب المقدوني" و"إيفان الرهيب" وغيرهم من الملوك الذين أعدموا ورثتهم. إن هذه القصص أو غيرها

إنما تشير إلى حالة الخوف والصراع الذي لازم تواجد الإنسان وإن تعددت مظاهره، ويستنتج "جيرار" أن التطور التاريخي البشري حول ذلك الكبش إلى إنسان وأصبح هو الضحية، ويضيف بأن معظم الطقوس والعادات وحتى الديانات التي يعتبرها الإنسان محكما يحكم من خلالها على أفعاله بالخطأ أو الصواب، إنما منشؤها مأساوي عنيف، لأنها قامت في الأساس على بذرة من العنف، كالقتل والاعتصاب والنهب والاستعباد، وحتى أنها اتخذت مظاهر مخزية ومعيبة، شأنها شأن الكثير من القصص التي تحولت مع مرور الزمن إلى عادات وطقوس الواجب إتباعها، ويضيف دائما أننا ننسى أو نتناسى منشأها الدموي ونتعامل معها كأحكام الواجب الامتثال لها، لذلك فهو يرى بأن العنف من المعطيات الضرورية لتواجد الإنسان وهو قائم على الفطرة والغريزة⁽¹⁾.

والدراسات الأنثروبولوجية تعتبر العنف - كما ذكرنا سابقا - ظاهرة ثقافية وإنسانية تختلف من مجتمع إلى آخر، ومن مرحلة تاريخية إلى أخرى، وعليه فإنه عند تحديد مفهوم العنف لا بد من العودة إلى مثل هذه المرجعيات والمعايير التي تسمح لنا بالحكم على عنف تلك الأفعال أو الوضعيات المتغيرة تاريخيا وثقافيا حتى وإن كانت بعض حالات العنف هي محل إجماع لا نقاش فيه، كالقتل والضرب والخنق... فإن حالات أخرى هي محل نقاش كالعنف العقابي وأحكام الإعدام والعنف التأديبي (ضرب الزوج لزوجته في حالات معينة، وتهذيب الأطفال...)، وبعض العادات كختان البنات في شمال إفريقيا خاصة في مصر، وغيرها من الأفعال والممارسات التي تعتبر أحيانا مقبولة ولا نرى فيها العنف بالنظر إلى نسق القيم والمعايير المتأصلة تاريخيا وثقافيا في هذه المجتمعات أو ذلك⁽²⁾.

كما أن هناك مجتمعات تثنى السلم، وأخرى تثنى العنف والحرب كما بينت ذلك الباحثة الأنثروبولوجية "Margaret Mead"⁽³⁾ في كتابها *Mœurs et Sexualité en Océanie* عند دراسة خصائص

1/ Les Approches de la violence, la théorie de René Girard : <http://www.protestants.org/textes/violence/fuchs.htm>

2/ ابراهيم بلعادي: العنف المفهوم والأبعاد، الملتقى الدولي، بسكرة، سبق ذكره، 2003، ص. 18.

3/ Margaret Mead : *Mœurs et Sexualité en Océanie*, Trad G. Cherassus, Paris, plon, 1963.

كل من "الأرباش Les Arapesh" و"المندقمور Les Mundugumors"، أن الأوائل لا يجاربون ولا ينظمون غزوات النهب والاستيلاء، ولا يعتقدون أن المروءة والفحولة تكمن في القتل، بل تكمن في الحكمة والتعقل والتعاون بدل الحسد والغيرة، ومثلهم الأعلى هو الرجل الحكيم والحساس، وعكسهم توجد قبائل "المندقمور Les Mundugumors"، فهم متوحشون ويعيشون بعدوانية جنسية ويتميزون بالغيرة والحسد وسرعة التأثر والأخذ بالتأثر، ومثلهم الأعلى هو الرجل العنيف والعدواني.

وخلاصة القول أن المقاربة الأنثروبولوجية إنما هي متداخلة ومتشابكة مع المقاربة الاجتماعية والتاريخية، وهي ترى أن لكل مجتمع عادات وطقوس وديانة، ومزيجهم يشكل المعيار الذي يرجع إليه أفراد ذلك المجتمع للحكم على أفعالهم وتصرفاتهم بالعنف أو دون ذلك، وأن لكل حقبة تاريخية ولكل مجتمع خصائص تميزه، لكن ما يتفق عليه الجميع أن ظاهرة العنف هي ظاهرة إنسانية وتاريخية كانت ولا زالت تهدد الكيان البشري من كل النواحي.

4-2-4/ المقاربة السوسيو- اقتصادية L'approche Socio- Economique:

من المتفق عليه أن الإنسان هو الكائن الحي الوحيد الذي يتأثر ويؤثر اجتماعيا، يتأثر بأسرته ومجتمعه وتاريخه وعاداته وطقوسه وكل ما تعلمه خلال تنشئته الاجتماعية، وكذلك في نفس الوقت فإنه يؤثر في غيره ممن يحيطون به، فيساهم في بناء شخصيتهم وبلورة حياتهم ويشارك في رسم الأطر التي يتحركون ضمنها⁽¹⁾.

وينتج عن ذلك الاحتكاك والتفاعل المتبادل خلق جملة من القيم والعادات، أو بالأحرى معايير (قواعد غير مكتوبة تحدد السلوك المقبول من غير المقبول في حالات معينة) التي يتعامل بها المجتمع الواحد، حيث يلقنها ويغرسها في أفرادها من خلال التنشئة الاجتماعية، عبر مؤسساته المختلفة انطلاقا من الأسرة إلى المدرسة...، وهذه المعايير إنما تتجسد في مجمل السلوكيات التي يقوم بها الفرد مهما كانت نوعية وشدة هذا السلوك الذي عادة يتراوح ما بين اللين والرفق، كالتسامح والمعاملة الطيبة والتعاون والحب، إلى سلوكيات أكثر شدة وغلاظة، كالعنف بكل أشكاله معنويا كان أو ماديا، فرديا أو جماعيا.

فالعنف كسلوك متعلم اجتماعيا تحدده البيئة الاجتماعية وميول الأفراد، بالإضافة إلى دعم قوانين بعض الدول التي تراه سلوكا مناسبا لا بد أن يتعلمه الأفراد، حتى أن برامج التدريبات العسكرية دليل واضح لما يمكن أن يفعله التعليم لتقوية المواقف المثيرة للعنف، حيث تستقبل الأكاديميات العسكرية الشباب الصغار من مختلف فئات المجتمع، ويعرضون لهم برامج ويلقنهم أساليب وسلوكيات عنيفة اتجاه العدو، وإن كان هذا النوع من العنف - عنف دفاعي مبرر - مطبق في مختلف أنحاء العالم، فإن هناك

1/ جليل وديع شكور: الأهل وأثرهم في تحديد طموح الأطفال، مجلة الثقافة النفسية، العدد 6، المجلد 2، 1991.

هذا وإن الظروف الاجتماعية تلعب دورا مهما في تحديد سلوك الفرد، ونقصد بها بيئة الفرد التي يحيا فيها وتشمل كل ما أخذه من معايير ثقافية واجتماعية تسمو به نحو الإنسانية، ولذلك فإن غياب التنشئة الاجتماعية والقطيعة ما بين طبقات المجتمع إنما تؤدي إلى عدم الثبات، والتحول في المجتمع والذي يتجسد في زوال الانتساب، وبالتالي زوال الهوية الثقافية والاجتماعية⁽¹⁾، وهذا ما يظهر في سلوكيات

كامنة كالعنف، حيث بينت الدراسات والأبحاث في الشروط السوسيو-اقتصادية أن الظروف كالبطالة والمرض المزمن، الاغتراب والإمكانات المادية الضئيلة... بالتزامن مع الظروف الاجتماعية كأحادية الأبوين- وفاة أو انفصال الأبوين- المشاكل الأسرية...، كلها تهيئ الظروف وتمهد لظهور العنف. وبالإضافة إلى كل هذا يوجد دافع آخر يتمثل في القهر الاجتماعي⁽²⁾ مما يحتويه من الازدراء والسخرية والاستهزاء، ولا يتوقف عند هذا الحد فحسب بل يتعداه إلى أشكال أخرى كعدم المساواة وعدم تكافؤ الفرص واغتصاب الحقوق، واختلاف اللغة، وانعدام العدالة في بعض المواقف، واستغلال المنصب أو السلطة (عنف مؤسسي) لإذلال الغير، وغيرها من المظاهر الكفيلة بتفجير العنف مهما كان نوعه.

هذا من المنظور الاجتماعي، ونفس الشيء من الناحية الاقتصادية، حيث يرى علماء الاقتصاد أن فهم ظاهرة العنف لا يتم دون الكشف عن لعبة الجماعات المسيطرة التي تستغل القوى الطبيعية وثروات المجتمع، ووسائله التقنية لخدمة مصالحهم الضيقة والمتخفية غالباً خلف إكراهات توصف عادة بأنها حتمية اقتصادية⁽³⁾.

كما يرون أن العنف مرتبط بالتنافس والصراع من أجل الكسب وتلبية الحاجات الضرورية المحققة من أجل البقاء والسيطرة، ونضيف إلى كل هذه العوامل ما سبق الحديث عنه من الظروف الاقتصادية الحرجة التي يعيشها الفرد من ضعف الراتب أو انعدامه، إلى الواجبات الضخمة (المصاريف العائلية) والعوز والحاجة للماديات، وكل هذه الظروف إنما تهيئ لبروز العنف الذي يتخذ عدة مظاهر:

- الظلم والسيطرة الممارسين من قبل أقلية غالبية.

- التشريعات والقوانين المتعسفة التي تضعها الأقلية من المجتمع لحماية مصالحها.

1/ Girard Pirlot : Violence et souffrances à l'Adolescence, Psychopathologie, psychanalyse et anthropologie culturelle, L'Harmattan, Juin 2003, p. 45.

2/ زين الدين مصمودي: مدخل نقدي لتفسير ظاهرة العنف، مداخلة بالملتقى الدولي، 2003، بسكرة، سبق ذكره، ص 46.

3/ شبي أميرة: أثر العنف والصدمة النفسية على الأطفال ضحايا الإرهاب، رسالة ماجستير، قسم علم النفس، جامعة منتوري، قسنطينة، 2002/2001، ص 22.

- التعسف في توزيع الثروة واستخدامها بطرق غير عادلة من قبل الأقليات المسيطرة⁽¹⁾.

ومما سبق يتضح لنا أن الوضع الاجتماعي والاقتصادي له تأثير كبير في بناء وتسيير شخصية الفرد، فكما أن الفرد يحتاج إلى قيم ثقافية واجتماعية لتأطير تنشئته وتكوين شخصيته، التي يستمد منها العادات والطقوس التي تزوده بأنماط سلوكية وتصرفات يرضى عنها المجتمع، فإنه كذلك بحاجة إلى دعائم اقتصادية تحفظ وجوده من دخل مادي ومسكن ملائم وظروف أخرى تسمح له بالتكيف

الإيجابي مع هذا المحيط الذي يجيى فيه، ولقد بينت الدراسات أن المحيط الاجتماعي والاقتصادي السيئ يلعب دورا بارزا في ظهور سلوكات عنيفة وعدائية لدى الأفراد، كانهراف الأحداث والإجرام والمخدرات والسوق السوداء وغيرها...

إن العنف ينشأ في المجال الاجتماعي، وعند بعض الكتاب والباحثين فهو مجرد تعبيرات أو نتاج لصراع طبقي، ويأتي في المقدمة الصراع بين الأفراد المنحدرين من الطبقات الراقية والأفراد المنحدرين من الطبقات الكادحة⁽²⁾. إن هذا المفهوم أو الرأي يعود إلى الباحثة " Engele " التي تقول بأن العنف محدد بعوامل اقتصادية. ولعل جذور العنف الاجتماعي ترجع بالبحث في التناقض بين الطبقات الاجتماعية ومختلف وسائل وأدوات الإنتاج حسب " Duhring " الذي عارض نظرية " Engele "، حيث أن هذا الكاتب يرى بأن العنف هو مسبب لظاهرة استغلال الإنسان من طرف الإنسان، التي تحدد تقارير الإنتاج، كما يعتبر أن " العنف هو محرك التاريخ " من خلال المعارك بين الطبقات الاجتماعية والتي ليست إلا انعكاسا للغريزة الإنسانية للعنف⁽³⁾.

5/ المقاربة البيولوجية L'approche de biologie :

وتفسر العنف على أساس وراثي، ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن الشخص العنيف: " لديه استعدادات وراثية وتركيبية نفسية مميزة، جعلته يتجه اتجاهها يتصف بوراثية جهاز عصبي سريع الاستثارة"⁽⁴⁾، وفي نفس السياق تشير " آمال عبد السميع " و "حلمي المليحي" إلى " أهمية نشاط الجهاز الطرفي، والهيويتلاموس بالنسبة للعدوان "⁽⁵⁾، ويذهب " عزت الطويل " إلى اعتبار: " الأسباب البيولوجية استعدادات وراثية لا تصبح بالضرورة مقلقة، وإنما توجد عوامل مباشرة تفجر موقفا ما

1/ العياشي عنصر: الأشكال المعاصرة للعنف وثقافة السلم، كجلة المرصد الوطني لحقوق الإنسان، منظمة اليونسكو ومساهمة المنظمة العالمية للصحة، 20-22 سبتمبر، ص 76-77.

2/ Yves Tyrode & Stéphane Bourcet : Les Adolescents violents – clinique et prévention, ©-Dunod, Paris, 2000, p. 44.

3/ Yves Tyrode & Stéphane Bourcet : Les Adolescents violents – clinique et prévention, op- cit, p. 45.

4/ عزت الطويل: سيكلوجية العنف في عالمنا المعاصر، أسباب العنف: <http://elazayiem.Com/new, p47htm>, 2002

5/ آمال عبد السميع وحلمي المليحي: الشخصية والاضطرابات السلوكية والوجدانية، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، 1997، ص 85-86.

ليتحول إلى واجهة سلبية من الحياة الاجتماعية كالتدثر بالعنف"⁽¹⁾. وهذا تأكيد على عدم وجود شخص عنيف بطبيعته المكتسبة، بل إن العنف هو نتيجة لتفاعل عوامل بيولوجية ونفسية واجتماعية.

إن العنف الفردي أو الجماعي هو شكل مكمل للإنسانية بحيث يشكل جزء هام من تراثها، وكذلك يغذي الذاكرة المتوارثة بين الأجيال وهذا بفضل الخيال الجماعي، وفي نهاية المطاف يسوي

العلاقات ما بين الإنسانية، وفعليا فإن فقدان معالم الطقوس وسماتها هي تصورات مرتبطة بمزيج إنساني يطغى على مجتمعنا بنفس العناوين التي تكونه⁽²⁾.

ومن خلال ما سبق عرضه من المقاربات التاريخية والأنثروبولوجية، النفسية، والسوسيو-اقتصادية وأخيرا البيولوجية، يتضح لنا أن العنف ظاهرة معقدة وشائكة بتعدد الظروف التي تحيط بالإنسان، كما أنها ظاهرة تنحو إلى مسارات عديدة تبعا لتقدم المجتمعات في كل الميادين، وإن اختلفت بعض هذه المجتمعات في الحكم والإدانة لبعض السلوكات، فإنها تتفق في مجملها على سلبية هذه الظاهرة تبعا لما تتركه من آثار عليها، ورغم كل ما قدمه الإنسان من رقي وازدهار وتقدم علمي شمل معظم إشكاليات الحياة، إلا أن مشكلة العنف تؤرق استقراره وتزيد من قلقه اتجاهها، فهي تتفاقم يوميا وتتطور أشكالها بتطور أساليب الحياة.

1/ عزت الطويل: سيكولوجية العنف في عالمنا المعاصر، أسباب العنف: <http://elazayiem.Com/new, p47htm>, 2002.
2/ Yves Tyrode & Stéphane Bourcet : Les Adolescents violents – clinique et prévention, ©-Dunod, Paris, 2000, p. 49.

أنواع العنف:

تعد ظاهرة العنف من الظواهر التي لقت صدى وحظيت باهتمام كبير، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على خطورتها المتفشية في كل المجتمعات على حد سواء، المتخلفة منها والمتقدمة، القوية منها والضعيفة، وإن كان معظم الباحثين يجمعون على ذلك فإنهم قد يختلفون في تصنيف أشكال هذا العنف، ولكي نكون أكثر إلماما لبحثنا هذا، سنحاول ذكر أهم هذه التصنيفات والأكثر بروزا على الساحة العامة، ويمكن تقسيمه إلى:

أ/ من حيث الشكل: ويقسم إلى عنف مادي وعنفي معنوي، وقبل البدء في إعطاء مفهوم حولهما لا بد من التفريق ما بين العنف المادي والعنف الجسدي:

* **العنف المادي:** هو الذي يلحق أضرارا ملموسة بالمتلكات، مثل حرق المزارع والعقارات الثابتة والمتنقلة، وتهديم بنايات العمرانية والمنشآت الاقتصادية، وسرقة الأشياء أو تخریبها، وإتلاف بعض المواد مثل الوثائق أو الغذاء أو غيرها...، بينما العنف الجسدي هو الذي تستخدم فيه القوة الجسدية بشكل متعمد اتجاه الآخرين من أجل إيذائهم وإلحاق أضرار جسمية بهم، وهذا ما يدعى بلوي عضو أو عوجه، وذلك كوسيلة عقاب غير شرعية، مما يؤدي إلى الآلام والأوجاع وإلى معاناة نفسية جراء تلك الأضرار والتي قد تعرض صحة الفرد إلى الخطر. ومن أمثلة العنف الجسدي: الضرب، الحرق، الكي بالنار ورفسات الأرجل (ركلات)، خنق ضرب بالأيدي، أو استعمال أدوات أخرى (صلبة - حادة - مسننة...)، ودفع الشخص، لطمات... وغيرها من الحركات والأفعال الممارسة بالقوة الجسدية بغية إلحاق الألم والضرر بالشخص الآخر. وعليه يمكننا القول بأن العنف المادي والجسدي وإن اختلفا بالهدف الملحق به الضرر، فإنما يتفقان بالطريقة التي تلحق ذلك الضرر، سواء بالإنسان في حد ذاته، أو بالإنسان والمتلكات والعقارات، كما يمكننا من خلال هذا التفصيل أن نقول بأن العنف المادي أشمل من العنف الجسدي.

* **العنف المعنوي⁽¹⁾:** ويصطلح عليه بالعنف النفسي أو الفكري أو الذهني، وهو العنف الذي يمارس من خلاله التسلط على الأفكار والمشاعر، وتكبح فيه المبادرات الذهنية، واختيارات الفرد والجماعات، وتفرض فيه تبعية فكرية معينة، مع محاولة نحو نمط التفكير السابق، ويعرفه البعض بأنه: " ممارسة التهديد باستعمال المتفجرات أو غيرها من الأساليب من أجل إثارة القلق النفسي والشعور بعدم الأمن واللاإستقرار، وإشاعة الرعب والخوف بين السكان، لخلق جو من التوتر وإضعاف المعنويات، كأسلوب من أساليب الضغط، وفرض المفاهيم التي تروج لها جماعة إرهابية أو عدوانية "

1/ عبد الكريم قريشي: العنف في المؤسسات التربوية، مداخلة بالملتقى الدولي، بسكرة، 2003، سبق ذكره، ص 436.

وقد برز هذا النوع من العنف في شكل اغتصاب الوعي وغسل العقول وغيرها من الأساليب التي تؤدي إلى الشعور بالاغتراب، كما يوصف هذا النوع أيضا بالاضطهادي⁽¹⁾. والعنف المعنوي أو النفسي يضم كذلك نوع آخر يسمى بالعنف الرمزي، والذي هو استخدام الغير مباشر لوسائل القوة والقهر والإخضاع، بل يظهر كرموز وهي ذات أثر نفسي عميق. ويعتبر العنف المعنوي أخطر من المادي، كونه يمتاز بضغوط على الفرد وهاته الأخيرة إنما تقيد من حريته وتؤدي به إلى حالة نفسية مزرية، كالأحباط والألم النفسي والصراع الذي يعيشه.

ب/ من حيث الأداء:

* **العنف الفردي:** وهو العنف الذي يلحق الأذى بالسلامة الجسدية أو المعنوية لشخص ما، وقد يكون المتضرر من هذا العنف الشخص الممارس له ذاته إذا وجه الاعتداء نحو نفسه، ومن مظاهر العنف الفردي الانتحار⁽²⁾، تعاطي المخدرات، الكحول بكل أنواعها، وحتى ممارسة الدعارة... وفي ذلك إيلاء للنفس وهذا إن عبر عن شيء فإنما حسب المحللين النفسانيين هو تعبير عن الجرح النرجسي، الذي يصيب ذلك الفرد فينتقم لنفسه من نفسه، وهذا العنف حسب " Y Morhain " : " طريقة للقيام بالتصريح بالحقيقة إلى الخارج من أجل التعبير عن حقيقة داخلية... " ⁽³⁾، كما قد يكون المتضرر من العنف شخص آخر إذا ألحق به أذى جسدي أو معنوي أو مادي، كالمساس بسلامة شخصه بالقتل أو الضرب والجرح والتعدي على حريته وحقوقه مثل: حقوقه الإنسانية، حرية رأيه، حرية معتقده ودينه... * **العنف الجماعي:** وهو الذي يستعمل من طرف مجموعة من الأفراد ضد فرد أو مجموعة أفراد آخرين باستخدام القوة والتهديد... الخ، ومن مظاهره أن يمارس العنف من طرف مجموعة ضد الدولة، أو أن تمارس الدولة العنف ضد الأفراد... الخ، ومن أمثلة ذلك الإرهاب والعصابات. ومعروف أن العنف قد يكون فرديا أو جماعيا كما هو الحال في الحرب التي تستخدم القتل والتدمير والتخريب الجماعي، وقد تتعرض بعض الجماعات للسلب والنهب والسرقة والقتل والتخريب كما يحدث في حالات المظاهرات الصاخبة، أو حالات العصيان والتمرد الجماعي⁽⁴⁾ مثلما نلاحظه في كثير من الدول المتقدمة منها والمتخلفة.

1/ مصطفى عمر النير: الأسرة العربية والعنف، معهد الإنماء العربي، العدد 83، 1996، ص 23.

2/ Armand Touati : Violences de la réflexion à l'intervention, avec Eugène Enriquez...© cultures en mouvement presses universitaires de France, 2004, p. 70.

3/ Yves Tyrode & Stéphane Bourcet : les adolescents violents, 2000, op-cit, p. 49.

4/ عبد الرحمن عيسوي: مبحث الجريمة، دراسة في تفسير الجريمة والوقاية منها، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1992،

ج/ من حيث أسلوب الأداء: ويمكن تقسيم العنف إلى:

* **عنف مباشر:** وهو العنف الموجه للمصدر المتسبب في إنتاج السلوك العنيف، على اعتبار أن ممارسة العنف كسلوك عدواني، يكون في الغالب رد فعل لسلوك أو أفعال من طرف أو من أطراف أخرى.

* **عنف غير مباشر:** وهو العنف الموجه نحو جهة أخرى لها علاقة بالمصدر الأصلي المتسبب في السلوك العنيف، ويطلق على هذا النوع بالعنف الخفي أو المقنع، بحيث لا يظهر بشكل مباشر وإنما عن طريق مؤشرات يحاول العنيف من خلالها إلحاق الأذى والألم بغيره فردا كان أو جماعة دون أن يتصدى له وجها لوجه، لذلك يسميه البعض الآخر بالعنف الرمزي، والذي هدفه إلحاق الأذى سواء كان مادي أو نفسي. بينما يمكننا القول عن العنف المباشر أنه المواجهة الصريحة ما بين العنيف وضحيته مهما كان فردا أو جماعة، وعادة ما يكون الألم والضرر مادي وجسمي أكثر منه نفسي.

د/ من حيث التنظيم⁽¹⁾: يصنفه بعض الباحثين إلى صنفين:

* **عنف منظم:** ويتم بصورة منظمة ومهياة مسبقا، وغالبا ما يتخذ طابعا جماعيا منظما، كالعديد من الإرهابية والإجرامية.

* **عنف غير منظم:** وهو يندلع بصورة عفوية كردود أفعال على أوضاع مزرية أو قرارات تعسفية سواء بشكل فردي أو جماعي، وغالبا ما تكون جماعية، مثال ذلك: المظاهرات التي تظم أعمال الشغب والعنف والانتقالات سواء عسكرية أو مدنية وغير ذلك من أعمال العنف.

هـ/ من حيث الموقع⁽²⁾: ويمكن تصنيفه إلى:

* **عنف محلي:** وهو العنف الذي يتم داخل الوطن أو الجماعة ذاتها، وعادة ما يكون بين أفراد نفس الجماعة، سواء العنيف أو الضحية وتتخذ عدة أشكال سواء فردي أو جماعي، ومن مظاهره: عنف المواطنين ضد الدولة وأجهزتها، أو عنف الدولة ضد المواطنين والجماعات... الخ.

* **عنف دولي:** وهو شكل آخر من العنف يعبر على شمولية الصراع فيه بين الدول، ويبرز في شكل حروب وفرض الحصار (على العراق مثلا) من طرف بعض الدول على بعضها الآخر... الخ.

ومن هنا يمكننا القول أن للعنف مظاهر عديدة وكثيرة، وكل باحث يضع التصنيفات تبعا للنظرية التي يرى بها العنف، لكن على العموم لا يمكن حصر هذه الأصناف إلا أننا سندرج تصنيفا آخر

1/ ابراهيم توهامي، اسماعيل قيرة، عبد الحميد ديلمى: التهميش والعنف الحضري، مخبر الإنسان والمدينة، جامعة منتوري، قسنطينة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2004، ص 45.

2/ الطيب نوار: العنف والمجتمع، الملتقى الدولي، بسكرة، 2003، سبق ذكره، ص 183.

يشكل نقطة الخلاف ما بين الباحثين، ولعل هذا الخلاف إنما هو راجع إلى جملة المقاربات التي تفسر هذه الظاهرة، سواء أكانت تاريخية أو نفسية أو حتى أنثروبولوجية أو اجتماعية، ولأن هذه الظاهرة سارية في طريقها نحو التعقيد بتعدد الحياة وتشابك المعايير والقيم، فإن هناك من يقسم العنف إلى:

و/ العنف المشروع والعنف الغير مشروع:

* **العنف المشروع:** هو على حد رأي بعضهم العنف الذي يستخدم كل أنماط القوة لاستعادة حق مسلوب أو رفع الظلم واستعادة الممتلكات سواء كانت وطنا أو أرضا، وهو العنف المستخدم في حالات الدفاع عن النفس، وهناك من يسميه بالعنف الثوري الذي يهدف إلى تحرير الإنسان من الظلم والاستغلال⁽¹⁾ والاستعمار ويكنى بالعنف المحمود، واعتمادا على مصادر ابن تيمية⁽²⁾، الذي يقدم تعريفا نظريا للعنف المحمود باعتباره وسيلة للترويض وينبع من مبدأ الذكورة، حيث يقول: " أن الدين والسياسة والعائلة من ناحية الترويض السياسي تنبع من مبدأ الذكورة، فالعنف بما هو وسيلة للترويض يقع موقع المركز من المؤسسات الأربع: الأبوة والحكم والزوجية والألوهية"، مستشهدا بالربط الذي يقيمه ابن تيمية بين الإمام ورب العائلة، مؤكدا أن العنف التأديبي مثلا لا يقوم به إلا من أوكل لهم أمر التأديب والإصلاح، أعني الآباء والأزواج والأسياذ، وهو ما يتفق مع مبدأ الذكورة.

إن المقصود بالعنف المحمود عند ابن تيمية هو ذلك العنف المستعمل في تأديب الزوج لزوجته في حالة العصيان في حدود ما يسمح به الدين، كذلك في تأديب الأولاد لأداء الصلاة...، وكل هذا بغرض الإصلاح في التصرفات وليس بهدف الإهانة والتحقير.

* **العنف الغير مشروع:** وهو كل استعمال للقوة بغرض الاحتفاظ بما ليس ملكا سواء أكان لفرد أو جماعة، وهو الذي يخالف المعايير الاجتماعية أو الأخلاقية وحتى العقائدية والقانونية على اختلاف أساليبها⁽³⁾، ويسمى أيضا بالعنف المذموم والذي يحدد بالانتهاك والتعدي والضرر، ويتجلى في الأعمال المنافية والمعارضة للأحكام والنظام الاجتماعي "كالزنا والانتحار، والضرب والجرح، والحروب والكفر، والارتداد، ويسمى هذا العنف بالعنف السلبي، بينما العنف المشروع فيسمى بالعنف الإيجابي"⁽⁴⁾.

بالإضافة إلى كل هذه الأنواع إلا أن هناك عدة أشكال يظهر من خلالها العنف: في المدرسة والعائلة، الجامعة، في السجون، وفي الحياة العامة، في الأندية، والأحزاب السياسية والدينية، وهو في

1/ فيليب بارنو، آلان بيرو، رامون بلان: المجتمع والعنف، ترجمة إلياس زحلاوي، مراجعة أنطوان مقدسي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1975، ص 33.

2/ <http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp?aid=20780>

3/ فيليب بارنو، آلان بيرو، رامون بلان: المجتمع والعنف، ترجمة إلياس زحلاوي، 1975، المرجع السابق، ص 33.

4/ <http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp?aid=20780>

مجمله يؤدي إلى إلحاق الضرر بالأشخاص أو بالممتلكات. وحتى نكون أكثر إماما بذلك سنحاول فيما يلي ذكر أهمها.

أشكال العنف:

1/ **العنف الأسري:** وهو الذي يحدث داخل الأسرة، ويعرف بأنه: " أحد أنماط السلوك العدواني الذي ينتج عن وجود علاقات غير متكافئة في إطار نظام تقسيم العمل بين المرأة والرجل، داخل الأسرة وما يترتب عن ذلك من تحديد لأدوار ومكانة كل فرد من أفراد الأسرة، وفقا لما يمليه النظام الاقتصادي الاجتماعي السائد في المجتمع"⁽¹⁾، وهذا يعني العنف الممارس من الرجل ضد المرأة (العنف الزوجي)، لكن العنف الأسري أشمل منه لأنه يضم كل أفراد الأسرة ولا سيما الأطفال، حيث نشهد في كل أنحاء العالم أنواع العنف والاضطهاد والتحرش الجنسي الممارس ضدهم باختلاف المجتمعات والطبقات الاجتماعية.

ويعرف العنف الأسري أيضا بأنه: " كل استخدام للقوة بطريقة غير شرعية من قبل شخص بالغ في العائلة ضد أفراد آخرين من هذه العائلة"⁽²⁾، وحسب العديد من الدراسات التي أجريت حول هذه الظاهرة، فإنه يمكن إرجاعه إلى ثلاثة دوافع أو عوامل:

أ/ **عوامل ذاتية:** وهي النابعة عن الإنسان نفسه، وتنتج تبعا لنوعية التنشئة الاجتماعية التي يتلقاها الفرد، وكذلك من خلال التعلم والمحاكاة واكتسابه صفات العنف التي شاهدها خلال طفولته (ضرب الزوج لزوجته على مرأى من الأطفال، كذلك الشجار والشتيم والإهانة...).

ب/ **عوامل اجتماعية:** تتمثل في العادات والتقاليد التي اعتاد المجتمع غرسها في عقول الأشخاص وخصوصا جنس الذكور، حيث أن هذه المعايير الاجتماعية تتطلب قدرا من الرجولة لإدارة المنزل وشؤونه، وهذه الرجولة تثبت بفرض القوة والعنف كحل بسيط ومبدئي (نلمح هذا جليا في المجتمعات العربية أكثر من غيرها).

ج/ **عوامل اقتصادية:** العنف هنا يحدث بسبب تفجير ثورات الغضب والإحباط الذي يصيب الفرد، خصوصا رب العائلة بسبب الفقر والبطالة وغلاء المعيشة وصعوبتها.

وعليه فإن العنف الأسري أو العائلي يحدث بسبب عوامل عديدة ومتداخلة، سواء أكانت فردية ذاتية، أو اجتماعية أو اقتصادية أو غيرها، وغالبا ما تكون المرأة هي الضحية الأولى في العنف الأسري سواء كان العنف مادي جسدي (كالتكبير والضرب والحرق...) أو معنوي (كالشتم والإهانة

1/ <http://www.alittihad.ae/details.asp?a=1&channel=76&journal=3/8/2005&id=1748>

2/ <http://www.alittihad.ae/details.asp?a=1&channel=76&journal=3/8/2005&id=1748>

والقذف...)، ويعد العنف ضد المرأة من المحايي الأساسية التي أخذت الحيز الكبير من الدراسة سواء في الدول المتقدمة أو في دول العالم الثالث. والعنف الأسري يشمل كل ما يحدث من أعمال عنف ضد أي فرد في الأسرة من طرف فرد أو أفراد من نفس تلك الأسرة.

2/ العنف المدرسي: وهو نوع آخر من العنف الأكثر شيوعا في الأوساط التعليمية، ويترجم جملة من التساؤلات عن أسبابه وعن نتائجه التي هي لا محال وخيمة. ويعرف العنف المدرسي على أنه: " العنف الممارس في إطار مؤسسة المدرسة "، ومن أوجهه: العنف الممارس من طرف المعلمين على التلاميذ (الضرب، التهميش، السب، الشتم، التحقير...)، وكذلك عنف التلاميذ فيما بينهم (الشجار)، وأيضا عنف التلاميذ على المعلمين (في الطور الثانوي خاصة)، وعنف إداري يمارس على المعلمين وعلى التلاميذ.

أما الأسباب الكامنة⁽¹⁾ خلف هذه الظاهرة فهي كثيرة ومتعددة:

* أسباب خاصة بالتلاميذ: بسبب التنشئة الاجتماعية والظروف الاجتماعية الخاطئة كالمخدرات، الإحباط، وسهولة الحصول على السلاح، والتأثر بأفلام ومسلسلات العنف.
* أسباب بيداغوجية: اعتماد مناهج تدريسية قديمة لا تتماشى مع متطلبات العصر.
* أسباب تنظيمية: خاصة بالإدارة.
* أسباب أمنية: كانهدام وجود رجال الأمن أو نقص كفاءتهم أو قلة عددهم.

* أسباب خاصة بالمدرسين: كنقص الوعي والكفاءة والخبرة، وكذا عدم خضوعهم لتربصات نفسية تربوية، خصوصا في الطور الثاني والثالث حيث يكون التلاميذ في فترة المراهقة التي تطبع تصرفاتهم بالتسرع والغضب وسرعة الاستشارة وعدم التحكم في الأعصاب بسبب جملة التحولات النفسية والفيزيولوجية لهاته الفترة.

إن ظاهرة العنف المدرسي كانت ومازالت تجسد إشكالية ضخمة بسبب أبعادها وأثارها الشديدة الوطأة على الأجيال المتعددة التي تمثل المستقبل، وإن كانت قد حظيت باهتمام كبير مقارنة بغيرها من الظواهر ولاسيما موضوع بحثنا، ألا وهي ظاهرة الكتابات الجدارية.

3/ **العنف الاجتماعي:** وهو الأكثر شمولية، لأنه يتم في الوسط الاجتماعي بغض النظر عن بقية العوامل الأخرى سواء كانت فردية أو جماعية، منظمة أو غير منظمة...، ويعرف حسب العالم "راموث" (2) على أنه: " كل مبادرة أو فعل يتدخل بصورة غير مشروعة وخطرة في حرية الآخرين، في

1/ أحمد حويبي: العنف المدرسي، مداخلة بالملتقى الدولي، بسكرة، 2003، سبق ذكره، ص. 247.

2/ علي بوغنافة: العنف الاجتماعي، المظاهر والتواتر، مداخلة بالملتقى الدولي، 2003، المرجع السابق، ص. 86.

التفكير والرأي والتقرير". إن العنف الاجتماعي² يشمل كل ما يمكن من المساس بكيان الإنسان داخل حيزه الاجتماعي، سواء كان ذلك المساس مادي (جسمي)، أو معنوي يمس قيمه وعاداته وأفكاره، حيث يعتبر أفق الحياة الاجتماعية التي يغلقها من كل ناحية. إنه يشكل الحدود الدنيا والعتبة التي لا يعود الأفراد ليشكلون دونها جماعة حقيقية، وهذا يعني أن العنف هو آخر الوسائل التي تتكون أو تتفرق بها الجماعة، وهناك من الباحثين من ينظر إلى العنف الاجتماعي انطلاقاً من البنى الاجتماعية أو المؤسساتية، والمتمثلة في الأسرة والمدرسة، وغيرها من المؤسسات التي تشكل دعائم المجتمع، فكل عنف يوجه ضد هذه المؤسسات أو يتم فيها فهو اجتماعي، لأن هدفه هو فك ترابط وانسجام هذه البنى (1).

إن العنف الاجتماعي يواجه القوانين المدنية والدينية بانتهاكها في المجتمع، متمرداً في ذلك على الإصلاحات التقليدية كما يذكرها: "Jean- Claud- Chesnais"، بحيث أن الدور والوظيفة الاجتماعية لكل فرد هي شيء متوارث وثابت، ويكون حسب مستوى الطبقات والمراتب الاجتماعية. ولكن العنف الذي يمكن أن يبدو هنا هو العنف لمجموعة اجتماعية مختلفة من مجتمع إلى آخر، ومن مكان أو موضع إلى آخر.

ويرى "Chesnais" أن العنف هو: " القانون الوحيد لمجتمعات بدون قانون"، حيث أن المجتمعات التي تعيش في حالة من الفوضى وانعدام الرقابة، تحتاج إلى العنف من أجل البقاء لتقنين المسارات وضبط التصرفات، وكذا لاسترجاع الحقوق المهضومة (2). كما يرى الدكتور " مصطفى حجازي" أن العنف الاجتماعي يحدث بسبب خلل في الأنظمة السائدة، وهو دليل قاطع على وجود ثغرات كعدم تكافؤ الفرص، وعدم المساواة، والاضطهاد، والتهميش، حيث يقول: " هو العنف الذي يمارسه الإنسان المقهور بشكل اجتماعي ليفجر قهره تحت أي شكل من أشكال العنف" (3).

إن العنف الاجتماعي يشكل أهمية كبيرة على الصعيد الاجتماعي والسياسي، لأنه لا يفهم بمصطلحه فقط، بل هو الأرضية الخصبة التي تصب فيها كل قنوات المجتمع، فثمة مجتمع كل مظاهر العنف مهما كان نوعه، فردي أو جماعي، مباشر أو غير مباشر...، ومهما كان شكله سياسي أو

رياضي، أسري ومدرسي. فالعنف الاجتماعي يضم كل قنوات العنف. وسنستعرض ذلك فيما يأتي من خلال الجداول.

1/ رايموند بودون وفرونسواز بوريكو: المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، ط-1، 1986، ص. 394.

2/ Yves Tyrode & Stéphane Bourcet : les adolescents violents, 2000, op-cit, p. 39.

3/ د. مصطفى حجازي: التخلف الاجتماعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط-8، 2001، ص 167.

1- إمكانية ترتيب العنف⁹³ الاجتماعي من خلال تموقعها⁽¹⁾

قنوات التعبير عن العنف الاجتماعي	مضمون عائلي	مضمون مدرسي	مضمون اجتماعي	مضمون رياضي
قناة تدخل القوة الجسمية.	عدوان جسيمي بين العشيرة أو العائلات المتنافسة.	عدوان جسيمي بين شلة الطلبة أو الكيان التربوي.	عدوان جسيمي بين: أجسام اجتماعية، سياسية، مهنية، دينية..	اعتداءات جسمية بين مجموعة لاعبين ومفرجين أو حكام.
قناة تدخل القوى الاقتصادية والسياسية.	صراعات اقتصادية وتنافسات على الأولوية أو الحقوق بين العشيرة والعائلات.	صراعات اقتصادية ناتجة عن اختلاف على مستوى حياة التلاميذ لمجموعة مدرسية مختلفة	صراعات اقتصادية ناتجة عن اختلاف مداخل الاستهلاك لمجموعة اجتماعية مختلفة	صراعات اقتصادية ناتجة عن اختلاف المداخل المالية بين مؤسسات الإنتاج.
قناة التعبير اللفظي.	عدوان لفظي (شفهي) بين العشائر أو العائلات المتنافسة.	عدوان لفظي بين: مربي / متربي وبين: مربي / متربي وبين: مربين / مربيين.	عدوان شفهي (لفظي) أو كتابي من خلال مقالات صحفية بين أحداث اجتماعية مختلفة	عدوان لفظي بين مجموعات المشاركين والمنافسين الرياضيين.

ومن خلال هذا المخطط البسيط الذي يوضح لنا أبعاد الشبكة التي يرمي إليها العنف الاجتماعي تضح لنا مدى تداخله عبر كل قنوات المجتمع متخذاً معظم أنماط وأصناف العنف السابق ذكرها.

2- إمكانية ترتيب العنف الاجتماعي من خلال محركاتها

قنوات التعبير عن العنف الاجتماعي	العنف كآداة اختيارية وتنظيمية لمجموعة عنيفة	العنف كردة فعل تظاهرة لمجموعة عنيفة	العنف كآداة اختيارية وتنظيمية لمجموعة عنيفة
قناة تدخل القوة الجسمية.	مذبحة (جريمة) اندفاعية لشعب هائج عنصرياً من جانب سياسي أو عقائدي مع إعلان الحدث.	عنف جسيمي جماعي مثل أداة تدمير لمجموعة اجتماعية محددة: إبادة عنصرية، إرهاب، قمع، حرب مدنية أو أهلية.	عنف جسيمي جماعي مثل أداة تدمير لمجموعة اجتماعية محددة: إبادة عنصرية، إرهاب، قمع، حرب مدنية أو أهلية.
قناة تدخل القوة الاقتصادية أو السياسية.	إبادة، أو اغتصاب جماعي وعفوي لنظام اقتصادي جماعي أو فري من طرف فوج آخر ناهب على مستوى إنتاج	إبادة وتخريب مبرمج من طرف مجموعة منظمة سواء كانت اقتصادية / جماعية أو ذاتية من طرف فوج واحد.	إبادة وتخريب مبرمج من طرف مجموعة منظمة سواء كانت اقتصادية / جماعية أو ذاتية من طرف فوج واحد.

	اقتصادي.	
قناة التعبير اللفظية.	تحرير جماعي وعفوي بحكم سلمي على كائن اجتماعي من طرف آخر (شتيمة لصنف من الأشخاص يكره الأجانب) كتميز عنصري جهوي أو وطني.	تحرير لفظي (شفهي، كتابي، إذاعي، تلفزي...) بإرادة جماعية لإلحاق الضرر أو الدفاع ضد مجموعة اجتماعية معطاة تعبر عن الحق ومظاهره.

1/ Hubert Hannoun : Signification & valeur de la violence sociale.

إن هذا التمييز للعنف المتمثل في ردات الفعل الجماعية عفوية كانت أو منظمة، إنما يجسد جملة السلوكات الاجتماعية والجماعية بوجه أخص، كمحاولة بعض الجماعات الضغط على السلطة بغية تعديل ما في الدستور أو بغية فرض نفسها على الساحة السياسية، وهذا ما حدث في الجزائر وغيرها من الدول. إن العنف من خلال هذان الجدولان السابقان يظهر جليا كيف يتدخل في معظم قنوات المجتمع وبمختلف أصنافه.

4/ العنف الحضري⁽¹⁾: ويشير إلى تلك العمليات التي تقوم بها جماعة من الجماعات قصد إحداث تغيير في الأوضاع الاجتماعية أو الاقتصادية أو حتى السياسية القائمة من أجل المطالبة بحقوق مهضومة أو إحداث تغيير في القوانين، وذلك باستخدام أساليب سلمية ومشروعة كالإضراب، أو المظاهرات السلمية (بدون خسائر مادية أو معنوية)، أو باستخدام طرق أخرى فوضوية و عنيفة وهذا داخل المحيط الحضري.

ومن الطبيعي أن المدينة هي العامل المساعد لمد بذور التغيير بكافة أشكاله العنيفة والهادئة على حد سواء. وعلى العموم فإن هناك من الباحثين من يضم العنف الحضري داخل العنف الاجتماعي على اعتبار أن هذا الأخير أشمل من الأول.

5/ العنف الرياضي⁽²⁾: وهو عنف ممارس بين الشباب عموما في الأندية الرياضية والملاعب... الخ، ويطلق بعض الباحثين على الرياضة "الحرب بدون سلاح"، ومن مظاهره: الشغب أثناء المباريات الرياضية ضمن مناصرتهم لفريق معين، وأيضا الضرب والحرق العشوائي وإلحاق الأذى بكل شيء، مما يعبر عن ثورة الغضب التي تصيب المناصرين في حالة خسران فريقهم، أو التحيز ضده، ويسفر العنف الرياضي عن خسائر مادية (منشآت، ملاعب...) وعنف معنوي، والأمثلة كثيرة مثل ما حدث عام 1969 بين الهندوراس والسلفادور، حيث سميت بحرب كرة القدم وهذا ضمن تصفيات أمريكا اللاتينية لكأس العالم التي نظمت في المكسيك، وغيرها من المظاهر مثلما حدث في مدينة سفاقس

التونسية 2004 ضد الجمهور الجزائر، وغيرها... والملف الرياضي حافل. تمثل هذه المظاهر للعنف الرياضي.

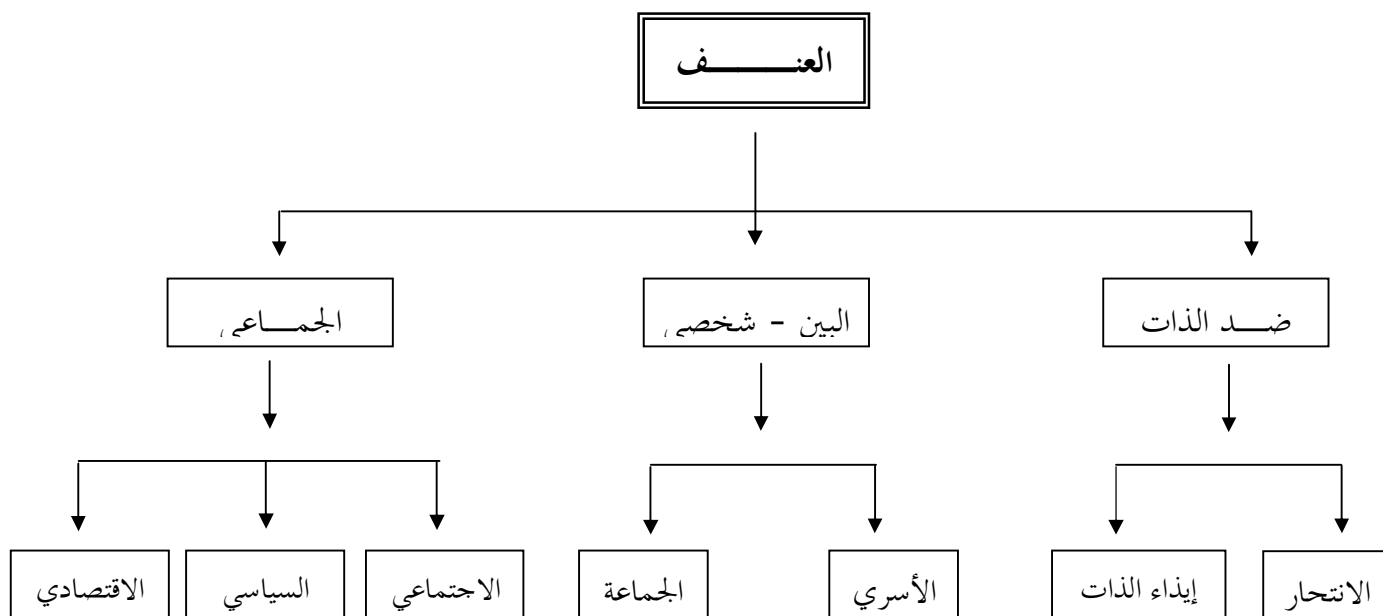
1/ د. ابراهيم توهامي، واسماعيل قيرة، عبد الحميد دليمي: التهميش والعنف الحضري، سبق ذكره، 2003، ص 43.

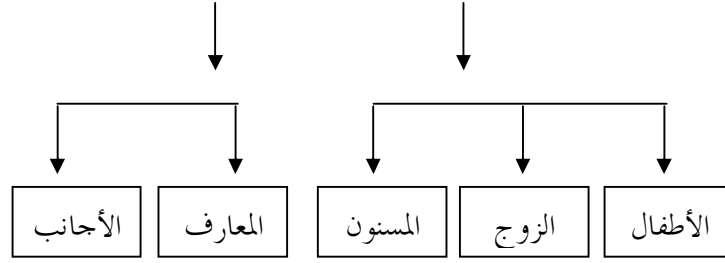
2/ د. أمين أنور الخولي: الرياضة والمجتمع، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ديسمبر، 1996، ص 270.

6/ العنف السياسي: ويصطلح عليه الإرهاب السياسي، والجريمة السياسية⁽¹⁾ والعنف المنظم...، رغم أن بعض الباحثين يشيرون إلى وجود فرق⁹⁵ ما بين الإرهاب والعنف السياسي والجريمة المنظمة⁽²⁾. وهو العنف الذي يحدث نتيجة أسباب ومؤشرات سياسية محضة، سواء داخل الجماعة نفسها أو من خارجها، ومن مظاهره⁽³⁾: الحروب، الاغتيالات والقتل الجماعي...، وأحسن مثال ما شهدته الجزائر في نهاية الثمانينات وأواسط التسعينات. كما قد يتخذ أساليب التهيب والتخويف الجماعي الذي يمارس على جماعة من طرف جماعة أخرى، أو من طرف دولة على دولة أخرى، وعموما فإن العنف السياسي مهما تعددت مظاهره وأساليبه إلا أنه يجسد مؤشرا هاما على وجود ثغرات أو خلل في النظام القائم، كما أنه يؤدي عادة إلى مظاهرات التمرد الجماعي المطالبة بتنحي الحكم القائم في البلد، أو المطالبة بتعديل بعض النقاط الحساسة في الدستور المتعامل به (مثلما حدث في دارفور بالسودان).

ومن خلال كل ما سبق ذكره حول أنواع وأشكال العنف، نستشف أنهما صعبة الحصر،

وسنحاول فيما يلي ذكرها حسب تقرير منظمة الصحة العالمية⁽⁴⁾:





- 1/ د. محمد يسري ابراهيم دعييس: الإرهاب بين التجريم والمرض، رؤية في أنثروبولوجية الجريمة، ص 3-6.
- 2/ العميد محمد خليفة المعلا: وسائل مكافحة الإرهاب الدولي والاتجار في الأسلحة غير المشروعة والاتجار غير المشروع في الأسلحة، محاضرة ضمن برنامج الدورة التدريبية الإقليمية الثانية لموظفي الشرطة في المكاتب المركزية الوطنية في شمال إفريقيا والشرقين الأدنى والأوسط - أبو ظبي، الإمارات، من 4 - 14 مارس 2000، ص 6.
- 3/ د. محمد يسري ابراهيم دعييس: المرجع السابق، ص 50.

4/ OMS, Rapport sur la violence & la santé, Genève, 2002 .

العنف الرمزي: يعتبر موضوع العنف علمي غرار بقية المواضيع الاجتماعية الأخرى ذو أهمية قصوى في البحث العلمي، لأن العنف بكل أصنافه وأنواعه إنما يهدد أمن الحياة الاجتماعية⁽¹⁾، ويؤرق كل البشر، فلا يكاد يمر يوم يخلو من العنف مهما كان مصدره، ولقد حظيت هذه الظاهرة ومازالت باهتمام كبير من طرف الباحثين، وهذا لأنها تشكل علامة استفهام من الصعب الإجابة عليها بدقة نظرا لتشعبها وتداخلها مع كثير من العوامل، لكن خطورة هذه الظاهرة لا تكمن في تلك الأشكال والأصناف الواضحة للعيان من العنف المادي والمباشر على كل الأصعدة، بل في نوع آخر أكثر خطورة يسمى بالعنف الخفي أو المقتنع، أو اللامباشر الذي يرسل بجيوته في كل ميادين الحياة، ويرمي بشبائه في كل مكان بطريقة غير مباشرة عن طريق إشارات ورموز موجهة لكافة الناس على حد سواء؛ إنما نتحدث هنا عن العنف الرمزي، وإن كنا قد سبق وأشرنا إليه ضمن أصناف العنف عموما، لكننا في هذا الجزء سنحاول الإلمام به قدر المستطاع بإعطاء مفهوم له إلى ذكر أشكاله وأسبابه.

تعريف العنف الرمزي: هو أحد أشكال العنف، ويسمى كذلك بالعنف الغير مباشر أو الخفي أو المقتنع، ولا يكون بشكل صريح ومباشر، وهناك عدة تعاريف له منها:

- يعتبر عالم الاجتماع الكبير " بيار بورديو Pierre Bourdieu " ⁽²⁾ أحد كبار مفكري العصر الحديث الذين تناولوا هذا الموضوع بالدراسة، حيث يعرف العنف الرمزي على أنه: " كل نفوذ أو سلطة تأتي من خلال طرح جملة من الدلالات، والتي تفرض وتحمل في معانيها الشرعية لكتم ومحو تقارير القوة والتي هي في حد ذاتها أساس ومنبع لهذه القوة "، أي أن العنف الرمزي يبدو أو يطرح من خلال جملة من الدلالات التي يتضمنها رمزيا، وتلك الدلالات إنما

يقصد بها فاعلوها المطالبة بشرعية الحقوق وشرعية ممارسة هذا العنف، مثلما هو ممارس عليهم وبشكل علني، لكنهم يستخدمون هذا النمط من العنف الرمزي ردا للاعتبار.

• وعرفه كذلك " بورديو " على أنه: " عنف تعسفي واستبدادي يترجم بفرض القوة والسلطة على أشخاص آخرين ". وفي هذا التعريف إنما يتقاسم العنف الرمزي صفة التعسف والاستبداد كغيره من أصناف العنف الأخرى، والتي يتفق الكل على هدفها الذي هو إلحاق الأذى والضرر بالغير.

وعليه فإن العنف الرمزي هو جملة من الرموز والإشارات والدلالات، هدفها فرض قوة أو سلطة بطريقة غير مباشرة، وتلك الدلالات إنما تحمل في طياتها العديد من المعاني، كما يعتبر " بورديو " العنف

1/ Myriam Watthee- Delmotte : La violence représentations et ritualisations, L'Harmattan, France, 2002, p.17.

2/ بيار بورديو: السوسيولوجي الغائب وكاشف زيف العقلنة الغربية، علي سالم
http://maaber.50megs.com/tenth_issue/lookout_1.htm

الرمزي هو ذلك العنف الذي يسلب الحريات ويهدف إلى إخضاع الغير له، وهو مستوعب وممارس وإن كان بدرجة أقل من العنف المباشر والصريح، كما أنه يجسد رغبات جماعية أو فردية ويعبر عن معتقدات تلك الجماعة، كالسحر والشعوذة وغيرها من المواضيع والقضايا الاجتماعية؛ وعليه فإن العنف الرمزي مرتبط بجملة المعتقدات والعادات والتقاليد الممارسة في جماعة ما.

ويضيف " بورديو ": " أن عملية التنشئة الاجتماعية تلعب دورا هاما ورئيسيا في تحضير الفكر والذهن لأفراد جماعة ما من أجل استيعاب تلك المعتقدات السائدة فيها، ومن ثمة ترجمتها في حالة معينة عن طريق العنف الرمزي باستخدام جملة من الإشارات والرموز والدلالات بغية تحقيق أغراض معينة مهما كانت، سواء المطالبة بشرعية ممارسة العنف أو المطالبة باسترداد حقوق مهضومة أو التعبير عن أفكار وآراء مجموعة أو غيرها من المواضيع... "

لقد شكل العنف الرمزي قضية محورية في مجمل أعمال " بورديو "، وفي معرض تعريفه للدولة يعطي العنف الرمزي معنى: " الضغط أو القسر أو التأثير الذي تمارسه الدولة على الأفراد والجماعات بالتواطؤ معهم " (1). ويقصد به جملة الضغوطات الممارسة من طرف الدولة على فئات معينة خصوصا بالتهميش. إن العنف الرمزي هو: " العنف الذي ينجح في فرض دلالات معينة ووصفها دلالات ذات شرعية، بحيث يضيف قوته الذاتية المخصصة ذات الطابع الرمزي المخصص (المميز) " (2)، أي أنه العنف الذي يستخدم رموز لفرض قوته، وهذه الأخيرة إنما هي ذات تأثير قوي لأنها تحمل العديد من المعاني وليس من السهل تفادي تأثيراتها المتعددة الأبعاد.

وعليه ومن خلال جملة التعريفات التي سبق ذكرها، نستشف من ذلك عدة نقاط يمكن أن تكون بمثابة صفات أو خصائص للعنف الرمزي:

- إن العنف الرمزي كسائر أنواع العنف يشترك معهم في الهدف والذي هو إلحاق الأذى والضرر بالآخرين، ويختلف عنهم من حيث أدائه وصورته لأنه خفي وغير واضح تماما.
- العنف الرمزي ذو قوة وتأثير كبير استنادا إلى طريقتة وإلى جملة الرموز والمعاني التي يحملها.
- إن العنف الرمزي يتخذ عدة أشكال وعدة خصائص وأهمها الترميز.
- العنف الرمزي يهدف إلى فرض السلطة والنفوذ بطريقة تعسفية واستبدادية.

1/ بيار بورديو: السوسيولوجي الغائب وكاشف زيف العقلنة الغربية، علي سالم

http://maaber.50megs.com/tenth_issue/lookout_1.htm

2/ بيار بورديو: العنف الرمزي، بحث في أصول علم الاجتماع، ترجمة نظير جاهل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1994، ص 5.

- 98 -

أسباب العنف الرمزي (1):

- يعتقد " بورديو " أن العنف الرمزي إنما بحكم ميزته الاجتماعية فهو ينشأ بسبب أحداث اجتماعية، ويحدث في المجتمع في حد ذاته ويمارس عليه (من طرف مجموعة من الأشخاص تجاه بقية المجتمع).
- العنف الرمزي هو تعبير عن مشاكل تعاني منها فئة أو شريحة اجتماعية خاصة فئة الشباب، ومن بين تلك المشاكل (البطالة، الفقر، التفكك الأسري...)، والتي تؤدي إلى التهميش والتحقير وما إلى ذلك من الدوافع التي تتجسد في مظاهر العنف الرمزي.
- ينشأ العنف الرمزي بسبب القوة والاستبداد الممارس على الأفراد من طرف الدولة (قوانين تعسفية)، أو من طرف مؤسساتها كالمدرسة وبقية الهياكل المهنية والتعليمية ولا سيما الأسرة انطلاقا من جملة التقاليد والآداب التي تلقنها للأفراد، إضافة إلى القوانين المعمول بها (قانون الأسرة)، بينما يرى الدكتور " مصطفى حجازي " (2) : " أن العنف الرمزي ينشأ انطلاقا من فكرة الإنسان المقهور ، والذي يقصد به المواطن المهمش والمتروك بدون رعاية في ميدان معين أو على مستوى كل الميادين، حيث أن العنف الرمزي ينتشر وبشكل مثير عند زيادة القمع المفروض، وبالتالي عند زيادة إحساس الإنسان بالعجز عن مواجهة الواقع".
- ومن بين أسباب العنف الرمزي يضيف " بورديو " : " أنه يعود إلى اللامساواة الاجتماعية والثقافية بين الطبقات الاجتماعية، وبالتالي ينجم عن هذا امتياز طبقة على حساب البقية " .

يحدث العنف الرمزي بسبب " نظرية الحاجات "، أي الحاجات التي لم تجد حلولاً مع تطبيق سياسة خاصة بالتهميش والإقصاء، ويقصد " بورديو " هنا انعدام العوامل والشروط الاجتماعية والموضوعية: كمناصب الشغل والمزيد ومن المؤسسات الثقافية، والجمعيات... إلخ⁽³⁾، وهذا يعني انعدام أو نقص فرص العمل؛ والمعروف أن " بورديو " ركز وبشكل كبير في معظم دراساته على قضية الثقافة، وإن كان قد تحدث عن العنف الرمزي وإنما يوجه أصابع الاتهام إلى طبقة المثقفين ويحملها مسؤولية تقبل السلطة الرمزية أو النفوذ الرمزي الذي تطبقه الدولة ومؤسساتها على المواطن دون جدال منه.

1/ بيار بورديو: السوسيولوجي الغائب وكاشف زيف العقلنة الغربية، علي سالم

http://maaber.50megs.com/tenth_issue/lookout_1.htm

2/ د. مصطفى حجازي: التخلف الاجتماعي، سبق ذكره، 2001، ص 176.

3/ Pierre Bourdieu : Le sens pratique, édition de minuit, Paris, 1980, p 212.

وحسب الأطروحة الثانية لبورديو⁽¹⁾ فإن العنف الرمزي يعتمد في تحليله على المفاهيم التالية: الطبقات الاجتماعية، السيطرة، رأس-الأقل الرمزي، والعاصمة الرمزية، بحيث يرى أن العنف الذي يقوم به سكان المدينة (الوسط الحضري) تجاه المجتمع أو حتى ضد أنفسهم، ما هو إلا الوجه المزدوج للعنف المستخدم من طرف الدولة ضد المجتمع ككل.

ويضيف بأن الشريحة التي تمارس العنف الرمزي هي في حد ذاتها تقع داخل نسق السيطرة المفروضة، وأن ما ترد به هذه الشريحة على ذلك التعسف القائم عليها هو ما يسمى بالعنف الرمزي⁽²⁾.

وبعد طرح جملة العوامل المشكلة للعنف الرمزي، فإنه يتضح لنا حدوثه وفقاً لعدة أسباب وعوامل اجتماعية محضة (تحدث داخل المجتمع)، وذلك بسبب السلطة والسيطرة الممارسة على شريحة معينة، وهذه السلطة تتجسد في إقصاء وتهميش هذه الأخيرة، وكذا عدم تساوي وتكافؤ الفرص بين طبقات المجتمع وأفضلية الواحدة عن البقية، وهذا التهميش إنما يولد حالة من الصراع والتي تبرز في طابع العنف الرمزي كرد فعل على ذلك الإقصاء، وهو مشاع أين يوجه لكل أفراد المجتمع على حد سواء محاولاً بذلك فرض شرعية ممارسة العنف انطلاقاً من جملة الإشارات والرموز المعبرة عن تلك المطالب سواء كانت بطريقة ما كالكتابات الجدارية أو غيرها.

إن العنف عموماً، والعنف الرمزي خصوصاً يحدث حينما لا يصل الحوار والاتصال إلى حل سليم يرضي كل الأطراف المتنازعة، فينشأ هذا الأخير كطريقة تعبير للذين لم يتمكنوا من فرض أنفسهم خارج نطاق القوة⁽³⁾، ويحدث العنف الجسدي تلميها للقيمة الاجتماعية عند المجموعة المرجعية (المجتمع)، لكن أحياناً يطبق العنف الرمزي باستخدام القول والكلام وبقيّة الرموز ليعتلي العنف

الجسدي ولأجل أن يحقق ما لم يحققه العنف الجسدي (المادي). ويعتبر بعض الباحثين العنف الرمزي أشد وطأة من العنف الجسدي، والذي تعد مظاهره واضحة ونتائجه محسومة عكس العنف الرمزي.

أشكال ومظاهر العنف الرمزي:

بعد التطرق إلى جملة الأسباب المؤدية إلى بروز مثل هذا النوع من العنف، سنحاول قدر الإمكان استعراض معظم الأشكال التي يظهر بها العنف الرمزي. يقول " بورديو " (4): " إن العنف الرمزي لا أساس له، أي ليس مبني على مبادئ بيولوجية أو حتى فلسفية أو غيرها، وإنما هو يتجاوز كل الحدود

1/ جمال معتوق: وجوه من العنف ضد النساء خارج بيوتهن، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم علم النفس، جامعة الجزائر، 1995
2/ Pierre Bourdieu : Le sens pratique, op-cit, 1980, p. 224.
3/ Yves Tyrode & Stéphane Bourcet : les adolescents violents, 2000, op-cit, p. 44.

4/ بيار بورديو: السوسيولوجي الغائب وكاشف زيف العقلنة الغربية، علي سالم

http://maaber.50megs.com/tenth_issue/lookout_1.htm

والمصالح الفردية ويتعدى كل المراتب والطبقات الاجتماعية ". وهذا يعني أن العنف الرمزي إنما هو
-100-
عنف جماعي أو بالأحرى عنف اجتماعي بحيث يعبر عن مصالح المجتمع أو شريحة منه.

وعلى اعتبار أن العنف الرمزي هو من أخطر أنواع العنف لأن له ردة فعل وأثر عميق على الصعيد الانفعالي والعاطفي، فهو موجه إلى سلطة معينة أو إلى المجتمع بأسره، وعليه يمكن ذكر بعض المظاهر التي يتخذها العنف الرمزي وهي:

1- يتخذ العنف الرمزي طابع جماعي، أي تمارسه مجموعة من أفراد المجتمع مهما كانت الصورة المطبقة.
2- يتخذ العنف الرمزي طابع اجتماعي، بحيث يحدث داخل المجتمع مهما كانت الأسباب سواء سياسية أو اقتصادية أو غيرها...

3- العنف الرمزي ذو طابع خاص، لاستخدامه جملة من الرموز والإشارات والدلالات، وهذا الترميز قد يكون مشاكل اجتماعية: انحراف، تعبير سواء لفظي أو كتابي أو خطي، وفي هذه النقطة يرى الدكتور " مصطفى حجازي " (1): " أن السلوك المنحرف إنما هو أحد مظاهر العنف الرمزي لأن المنحرف دليل ومؤشر على وجود ثغرات في النظام الاجتماعي والسياسي، وحسب دراسة أجراها أحد الباحثين عن أطفال البرازيل، ويذكر " Jean Florance " (2): " أن هؤلاء الأطفال الذين يعيشون على أرصفة الشوارع يعانون من مشاكل اجتماعية واقتصادية، وبالإضافة إلى كل هذا فهم يقاسون معاناة نفسية عميقة بسبب ارتمائهم على تلك الأرصفة، وبسبب الألم وكل ما يتعرضون له طوال اليوم ليلا ونهارا من طرف بقية أشخاص ذلك المجتمع من عنف جسدي أو معنوي، ويرى هذا الباحث أن تهميش هذه الفئة بل وحرمانها من حقوقها كغيرها من الشرائح إنما يعد في حد ذاته عنفا رمزيا لأن الدولة أو

السلطة إنما تتجاهل وضعيتهم، بحيث أن هؤلاء الأطفال اكتسبوا من الشارع ومن سوء المعاملة ومن التهميش ما يكفي من صور العنف التي طبعت في ذاكرتهم وشخصيتهم، وهم بدورهم أصبحوا يمارسون العنف ضد أنفسهم وضد غيرهم، ولعل ذلك يتضح جليا في كل تصرفاتهم العدائية.

ويضيف أن الدافع الاقتصادي لخروجهم إلى الشارع بغية العمل وجني المال ليس هو الوحيد، بل مرد ذلك إلى تظافر عدة عوامل خاصة منها الاجتماعية، فهم أطفال مسعفين بدون مأوى، كما أن من بينهم من لديه والدان وبيت لكنه يخرج طلبا للمال لمساعدة هذه العائلة، وإن كان معظمهم يتشردون في الشوارع ويألفون الحياة فيها، ومن ثمة يدخلون ضمن عصابات للمخدرات والسرقات تمارس مختلف الجنح وحتى الجرائم. وهذا يعني أن ظهور مثل هذه الانحرافات السلوكية إنما هي دليل ومؤشر قاطع على

1/ د. مصطفى حجازي: التخلف الاجتماعي، سبق ذكره، 2001، ص 173.

2/ Myriam Watthee-Delmotte : La violence représentations et ritualisations, L'Harmattan, France, 2002, p. 256.

وجود خلل في النظام برمته سواء كان سياسيا أو اقتصاديا أو اجتماعيا، وعليه يعتبر السلوك الجانح عنفا رمزيا ليس في صورته أو أدائه فقط وإنما في دلالاته التعبيرية، فهو يتجسد في تصرفات الأشخاص الخارجين عن القانون، وهذا ما يحمل دلالة باطنية على مدى الاضطراب الحاصل في البنى الاجتماعية، وما يتراكم عليها من شحنات الغضب والعنف والعدائية القابلة للانفجار في أي وقت، وهكذا فإن دلالة السلوك الجانح أو المنحرف هي دلالة رمزية على مؤشر العنف الكامن في شبكة العلاقات الاجتماعية.

4/ يتخذ العنف الرمزي طابع " الصور " مهما كانت تلك الصور سواء من إنتاج تلك الشريحة، أو من إحدى مؤسسات الدولة، وما نقصده هنا مثلا: وسائل الإعلام كالتلفزة وما تعرضه من صور تحمل في دلالاتها عنفا رمزيا، حيث أن لهذه الصور العنيفة⁽¹⁾ الأثر العميق على انفعالات وأحاسيس الشباب بحيث تحرك فيهم مشاعر وعواطف سلبية كالخوف والقلق والحصر... بسبب تعبيرها عن آلامهم ومشاكلهم أو بسبب الاستهتار بهم، وهذه الصور العنيفة إنما تؤثر بشكل كبير على فئة الشباب لكونها الأكثر استهدافا عبر الكلمات والرموز وحتى التمثيل في حد ذاته، وهي تدفع بعدد منهم إلى محاكاة وتقليد تلك الصور، ولقد تحدث " بورديو "⁽²⁾ عن ذلك وبشكل مباشر حينما حمل وسائل الإعلام مسؤولية العنف الرمزي الذي تعرضه عبر مختلف قنواتها، وفي هذه النقطة إنما يدين وبشكل خاص شريحة المثقفين بسبب تغاضيها عما تعرضه هذه الوسائل وفسح المجال أمام كل طبقات المجتمع لاستهلاك هذه البرامج دونما تعليق. هذا من جهة، لكنه من جهة أخرى فإن هذه الوسائل قد تقدم صورا أخرى إيجابية تبث من خلالها الحقائق الكامنة في المجتمعات أو حتى في الأنظمة.

إن العنف الرمزي حسب " بورديو " هو ظاهرة ثقافية واجتماعية في مظهرها، لكنها في الوقت نفسه تعبر عن حقيقة وجود صراعات فكرية وسياسية بين الفئات المهيمنة والفئات المهيمن عليها، وهي نتيجة طبيعية للاختلاف في المصالح والمنافع والأوضاع والمواجهة بين المعتقد الجديد والمعتقد القديم.

إن العنف الرمزي هو النقد الذي يسمح بتهديم أشكال اجتماعية معينة أو مفاهيم مشيئة بإنشاء تحديدات أو تعريفات اجتماعية جديدة للوجود الاجتماعي أو أشكال جديدة، أي أن وظيفة العنف الرمزي هي تهديم وتخريب الأشكال الاجتماعية المفروضة عنوة على المجتمع، وهي تخدم مصالح فردية فقط، ويهدف كذلك إلى نزع وإزاحة ما هو قديم ومرفوض وإنشاء أشكال أخرى بديلة.

1/ Armand Touati : Violences de la réflexion à l'intervention, 2004, op-cit, p. 161.

2/ بيار بورديو: السوسيولوجي الغائب وكاشف زيف العقلنة الغربية، علي سالم
http://maaber.50megs.com/tenth_issue/lookout_1.htm

والعنف الرمزي دليل قاطع على تواجد اختلافات جذرية في البنى الاجتماعية؛ وبجدثنا عنه من خلال " بيير بورديو " فإننا نذكر بإيجاز علاقة العنف الرمزي بالنظام التعليمي، حيث يرى أن التعليم الذي يمارسه النظام المدرسي بسبب الاعتقاد ببديهيات النظام السياسي الذي يهدف إلى إرساء مفاهيم السلطة في نفوس الطبقة المتقدمة، إنما يشكل في جوهره العام عنفا رمزيا، حيث تهدف تلك السلطة إلى غرس مفاهيمها وأهدافها في شخصية الأجيال الناشئة من خلال تلقين وتعليم المبادئ التي تريد السلطة إدراجها بحيث تتخذ من المدرسة وسيلة لفرض هيمنتها وسلطتها.

إن الباحث " بيير بورديو " في تناوله لموضوع العنف الرمزي إنما يوضح لنا مظهر آخر من مظاهره الذي لا يتجسد فقط في الحياة الاجتماعية وما تحمله من تظاهرات ثقافية واقتصادية مختلفة، وإنما يتعدى ذلك ليشمل كل ما يمكن أن تقع عليه الهيمنة سواء من طرف الدولة أو غيرها من المؤسسات، لأن العنف الرمزي حسب هذا الباحث إنما هو المطالبة بشرعية (شرعنة) الهيمنة والتسلط.

الخلاصة:

إن العنف الرمزي يعتبر من أخطر أنواع العنف، وذلك بالنظر إلى أشكاله الخفية والرمزية، وبغض النظر عن محتواه العميق بسبب ما يحمل من معاني، ومما سبق ذكره من مفهوم عام للعنف الرمزي إلى أسبابه ومظاهره، لا يسعنا إلا أن نركز بالذكر على أن العنف الرمزي يأخذ عدة أشكال سواء كان لفظي أو جسدي أو يتخذ من السلوك الجانح منفذا له، أو إلى غير ذلك من الظواهر العديدة التي يبرز من خلالها، ولعلنا سنتناول فيما يلي من الفصل الثالث ما يدعم أقوالنا هذه فيما يخص جملة الظواهر

المجسدة للعنف الرمزي، والتي نقصد بها تلك المنتشرة في الوسط الحضري التي تتجسد في جملة السلوكيات والتصرفات التي تتنافى مع القيم والمبادئ الاجتماعية والأخلاقية وحتى الدينية. إن معظم أشكال العنف الرمزي المنتشرة في الوسط الحضري، تتعارض بشكل أو بآخر مع مضامين تربية المواطنة التي ترى بجملة من المبادئ والقيم والتقاليد التي تحفظ نظافة المحيط وأمن الحياة الاجتماعية وتنظيم سيرها بشكل طبيعي، وتسمح لكل أفراد المجتمع بالعيش بسلام ضمن وحدة اجتماعية متكاملة.

إن مظاهر العنف الرمزي المنتشرة والمتفشية في الوسط الحضري، تزداد وتيرتها يوماً بعد يوم من رمي الأوساخ والنفايات عند بوابات العمارات، وعدم الاحترام سواء للأفراد أو للمحيط، وإلى غير ذلك من السلوكيات البذيئة اللامبالية، وقد تعدى العنف الرمزي ذلك حيث طرح الوسط الحضري ظاهرة أخرى أكثر حدة و المتجسدة في الكتابات الجدارية، وما تطرحه من تساؤلات تستدعي الوقوف عندها بالبحث والتنقيب، وهذا ما سنركز الحديث عنه في الفصل الموالي.

ثالثا: عرض النتائج وتفسيرها:

مرحلة تفريغ العبارات المتداعية لدى الحالات:

الحالة الأولى	الحالة الثانية	الحالة الثالثة	الحالة الرابعة
- إخراج الكبت	- عنف	- عنف	- مشاكل عائلية
- مشاكل عائلية	- عنف في العائلة	- ضحايا الطلاق	- انفصال الوالدين
- عنف كتابي	- عنف في المدرسة	- تعبير عن المعانات	- عنف متوارث
- عنف	- فراغ	- قهر المجتمع	- عدم مسؤولية الوالدين
- عدم تفهم المجتمع	- مشاكل عائلية	- الاشمزاز	- انعدام التربية الصالحة
- انعدام التربية	- عدم مسؤولية الوالدين	- اضطرابات نفسية	- عنف ضد المجتمع
- خوف	- تسرب مدرسي	- انتقام من الغير	- وسيلة للتعبير عن الرأي
- مخدرات	- انعدام التربية الصالحة	- الحب العنيف	- رفض الواقع المعاش
- مشاكل عاطفية	- نوع من المطالبة بالحقوق	- المراهقة	- تسرب مدرسي
- تعبير رمزي	- رفض الواقع المعاش	- مشاكل عاطفية	- التأثر بالثقافة الغربية
- انحراف	- إخراج الكبت	- الانتحار	- الفضائيات
- عدم الاستقرار	- بطالة	- مشاكل عائلية	- المشاكل العاطفية
- البحث عن إثبات الذات	- انحراف	- انتقام من الطرف الآخر	- المراهقة
- الاحتقار	- سوء تقدير للأمر	- الرغبة في الهجرة	- البحث عن تكوين شخصية
- المراهقة		- الطموح إلى عالم الفن	- البطالة
- تشرد		- الرغبة في الشهرة	- التهميش
- مستوى دراسي محدود		- التأثر بالثقافة الغربية	- تمرد
- تسرب مدرسي		- تقليد	
المجموع : 18	المجموع : 14	المجموع : 18	المجموع : 17

الحالة الخامسة	الحالة السادسة	الحالة السابعة	الحالة الثامنة
<ul style="list-style-type: none"> - عنف ضد المرأة - فراغ - عنف - تعبير عن الرأي والشعور - المطالبة بالعدالة - شيء معيب - تفاهة - مشاكل عائلية - انعدام التربية الصالحة - بطالة - شكوى - تسبب في الرقابة الأبوية - يأس - إحباط - تسرب مدرسي - الحق في التعبير - علاقات غير شرعية - ظاهرة متزايدة - البحث عن إثبات الذات - المطالبة ببعض الحقوق - الحق بالعائلة - الحق بالعمل - الرغبة في الهجرة - التأثر بالثقافة الغربية - الفضائيات 	<ul style="list-style-type: none"> - المشاكل العائلية - البطالة والقهر - مشاكل عاطفية - العنف - التقليد - تكوين العصابات - مشاكل مالية - فراغ عاطفي - المحذرات - انحراف 	<ul style="list-style-type: none"> - كبت - تعويض نقص - عنف - تقليد - تعبير عن وجود أنا - المغيب بسبب ظروف - اجتماعية ونفسية - حيرة - المدينة 	<ul style="list-style-type: none"> - عنف - إنسان ذئب - تشاؤم - نقص الدفء العائلي - مشاكل عاطفية - الفشل والرسوب المدرسي - الهيب- هوب - الجريمة من أجل غاية ما - تنفيس
المجموع : 25	المجموع : 10	المجموع : 07	المجموع : 09

الحالة التاسعة	الحالة العاشرة	الحالة الحادية عشر	الحالة الثانية عشر
- تعكس ثقافة ما - تعبير عن رأي - عنف - إفراغ الشعور بالغضب - مرض نفسي - حياة الفوضى	- عنف - أسلوب للتفريغ - عدم وجود التنفيس - الانفعالي - الفراغ - سوء التربية - ظاهرة تحتاج إلى دراسة دقيقة - سلوك بذيء - استرجالية - سلوك لا أخلاقي	- عنف - مشاكل عائلية - عدم وجود الحرية - الإدمان - الغيرة على الوطن - مشاكل عاطفية - نقص الرعاية - قلة النصائح والتوجيه - ظروف اقتصادية	- عنف - مشاكل عائلية - حب - إنكار - عناء راب - كره - فقر - حقرة - حرمان عاطفي - تنفيس انفعالي - تقليد
المجموع: 06	المجموع: 09	المجموع: 09	المجموع: 12

الحالة الثالثة عشر	الحالة الرابعة عشر	الحالة الخامسة عشر
- العنف كحل طبيعي - مشاكل مادية - تأثر بالفرق الغربية - مشاكل عاطفية - رسوب مدرسي - العنصرية - مشاكل الإدمان (المخدرات) - حب إبراز الذات	- حب التعصب والسيطرة - الإجرام - العنف - الحنين - العذاب والمراهقة - إثبات الذات - أحلام الهجرة - الهروب من الواقع - المخدرات - الحقرة - البحث عن التحرر - فقدان الأمل من أجل الحياة	- عنف - جريمة - تسلط - جنون - الفقر - تقليد الغرب - اللاوعي في سن المراهقة - الغضب - السجن - الكحول والمخدرات - فقدان الأمل - الاغتراب
المجموع: 08	المجموع: 12	المجموع: 12

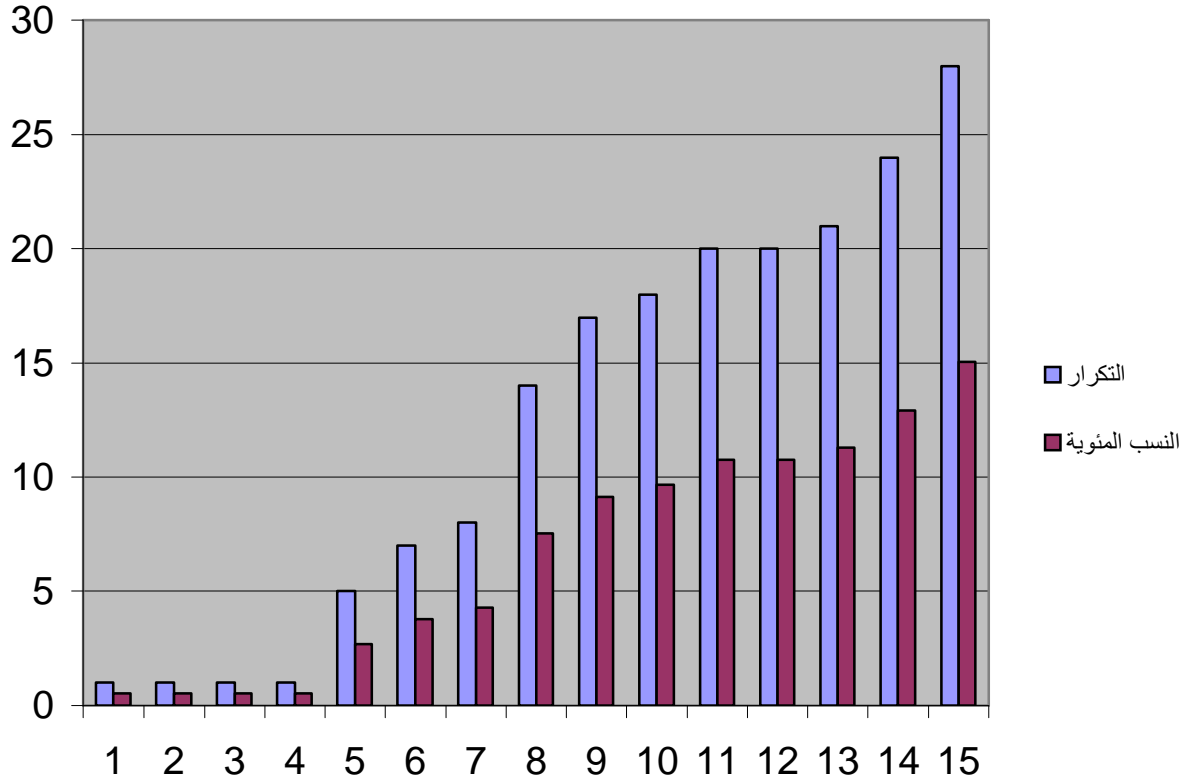
المجموع الكلي للعبارات هو: 186 عبارة خمسة عشر حالة.

جدول النسب المئوية لتكرارات المحاور:

النسب المئوية %	التكرار	مفردات التحليل	
		محاور التحليل	
15.053	28	تصورات العنف	
12.290	24	معاناة نفسية	
11.290	21	مشاكل عاطفية	
10.752	20	مشاكل عائلية	
10.752	20	مشاكل اجتماعية	
9.677	18	التأثر بالثقافة الغربية والهجرة	
9.139	17	انحرافات سلوكية	
7.526	14	تعبير عن الذات وابنائها	
4.301	08	المطالبة بالحقوق	
3.763	07	تسرب مدرسي	
2.688	05	مشاكل مالية	
0.537	01	حياة الفوضى	
0.537	01	المدينة	
0.537	01	السجن	
0.537	01	الغيرة على الوطن	
99.99	186	المجموع	

تصورات اجتماعية مختلفة علفة عن العمر

تمثيل التكرارات والنسب المئوية لعبارات المحاور بيانياً



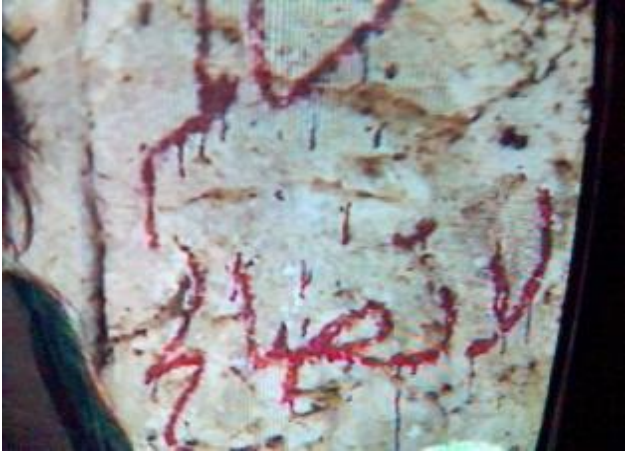
التعليق: ونلاحظ في هذا المنحنى بوضوح تصدر محور العنف من حيث التكرار وبالتالي من حيث النسبة المئوية، بالإضافة إلى تدرج بقية المحاور حيث تأخذ المحاور الأربعة الأخيرة أضعف تكرار مقارنة مع البقية ولكننا لا نستطيع عزلها خدمة لأغراض البحث. وقد التمسنا في كل هذا عدة نقاط وهي:

* يحتل محور العنف أكبر تكرار بدرجة 28 من 186 مقارنة مع 14 محاور المتبقية.

* يحتل محور العنف أكبر نسبة مئوية 15.05% من المجموع الكلي 99.99% أي ما يقارب 100%.

وهذا إن دل على شيء فإنما يثبت الفرضية العامة القائلة بتصوير العنف للكتابات الجدارية.

تأتي المعاناة النفسية ثاني تكرار بعد العنف بـ 24 نقطة، ثم يأتي محور المشاكل العاطفية حيث في مجتمعنا تكبح الرغبات أين يجد هؤلاء الشباب في الجدران ملاذا للبوخ بمعاناتهم العاطفية، فهي الفضاء الذي يصغي لهم حين لا يجدون أو لا يلمسون هذا في أسرهم وعائلاتهم، ثم يأتي محور المشاكل العائلية متزامنا بنفس التكرار مع المشاكل الاجتماعية وكلاهما مرتبطة بالأخرى ولا فصل بينهما، ثم تأتي بقية المحاور حتى نصل إلى المحاور الأربعة الأخيرة التي حصلت على أضعف تكرار وهو 1 من 186 مع نسبة مئوية ضعيفة تساوي 0.537% ولكنه لا يمكننا حذفها خدمة لهدف البحث.



صورة رقم 02



صورة رقم 01



صورة رقم 04



صورة رقم 03



صورة رقم 04



صورة رقم 03

-4- الكتابات الجدارية:

تمهيد:

إذا كنا قد تطرقنا بالحديث في الفصل السابق عن العنف كظاهرة تاريخية وإنسانية، وكيف أنها تحتل موقع الصدارة من حيث الأهمية في البحث العلمي كونها لا تزال تشكل نقاط استفهام عديدة؛ فإننا في هذا الجزء كذلك سنركز باهتمامنا على ظاهرة أخرى لا يستهان بها، إذ تعد من القوى الفاعلة في حركية المجتمعات نظرا لموقعها المهم في الحياة العامة، وإن كانت لم تنل حظها الكافي من البحث والتنقيب إلا أنها تعتبر ظاهرة عالمية وإنسانية وتاريخية. وفي هذا الجزء سنتمن هاته المضامين، وذلك بالحديث عنها رغم تعدد أسمائها وإجماع الكل على أهم مصطلح عرفت به إلى حد الآن ألا وهو: " الكتابات الجدارية "، مع ربط ما سبق من الفصول بهذا الأخير انطلاقا من فرضية بحثنا المتواضع على اعتبارها جزء هام من العنف ككل ونمط خاص من العنف الرمزي الذي اتخذ من الكتابات الجدارية فضاء له.

لكننا لن نستمر في جدال حول برهنة مضامين الكتابات أو العنف، لأننا بصدد البحث في هذه الظاهرة، وإن تعذر علينا جمع ما يكفي من المادة العلمية النظرية حولها، فهذا لحداثة البحث فيها وقلة المصادر، وعليه فإننا سنحاول الإمام قدر المستطاع بها، حيث سندرج الجذور التاريخية لها، ثم نتطرق إلى جملة التعاريف المعطاة حولها لنركز بالاهتمام والتفصيل بينها وبين نظيراتها من المصطلحات أو بالأحرى الظواهر، ثم لنجول في عدة نقاط من العالم التي ساهمت في كشفها سواء في البلاد العربية أو الغربية والتي شهدت ولا زالت تشهد هذا النمط من الظواهر، ثم نتطرق إلى جملة تصنيفاتها مع ذكر ما توفر من أسبابها العامة والخاصة، وندعم مجهوداتنا البسيطة بإجابات حول بعض التساؤلات: من يقوم بها، ومن هم فاعلوها وما موقف السلطات العامة والخاصة منها، مع ذكر بعض الأمثلة، مستشهدين بجملة من الصور، وفي ختام بحثنا النظري سنشكل همزة الوصل ما بين الفصول الثلاث بالتطرق إلى نقطة مهمة وهي الكتابات الجدارية في الجزائر بين الماضي والحاضر.

4-1/ الجذور التاريخية لظاهرة الكتابات الجدارية:

ولأن لا شيء يحدث من العدم، فكذلك هو الأمر بالنسبة لظاهرة الكتابات الجدارية، فهي ليست وليدة هذا اليوم أو ذلك، وإنما هي متأصلة بجذورها الضخمة في عمق التراث الإنساني، و قديمة قدم البشرية وتواجدها في هذا الكون.

وفي مجمل ما توفر لدينا من معلومات عن الكتابات الجدارية أو كما يسميها علماء الاجتماع " الشعارات"، فإننا نستطيع أن نقول أن الكتابات الجدارية هي: " ظاهرة إنسانية وممارسة يومية قام بتوظيفها الفرد العادي للتعبير عن آماله الخاصة"⁽¹⁾. و انطلاقا من هذا التعريف المتفق عليه والذي يعتبر الكتابات الجدارية ممارسة يومية أو نشاط يومي عادي يجسد فيه الفرد أعماله وأفكاره وتطلعاته، فإننا نجد أن التراث الإنساني بتنوعه أضفى على هذه الظاهرة نفسها خصائص مجتمعاتها الفردية والجماعية، لتتشكل فيما بعد في قالب جماعي للتجربة الإنسانية قاطبة، وهذا في تفاعلاتها مع الواقع وفي رغبتها في إفراغ مكنوناتها الذاتية منها والجماعية على الجدران العامة والخاصة.

إن الكتابات الجدارية تراث إنساني مشترك عرفها الإنسان منذ القدم، حينما كان يدون ما يقوم به من نشاطات وما يفكر فيه من آمال وتطلعات، وكذلك فهي تجسيد لعادات وتقاليد عرفها الفرد خلال كل الحقب الزمنية، كما أنها مكان يشكو فيه الإنسان سخط الطبيعة وغضبها عليه ويعبر من خلالها عن مشاكله وهمومه، وبالتالي فهي إرث إنساني مشترك وإن كان يختلف من مجتمع لآخر تبعا لطبيعة البيئة الجغرافية والثقافية السائدة. وعليه فالكتابات الجدارية هي معلم ومؤشر زمني ومكاني لجماعات و شعوب حلت.

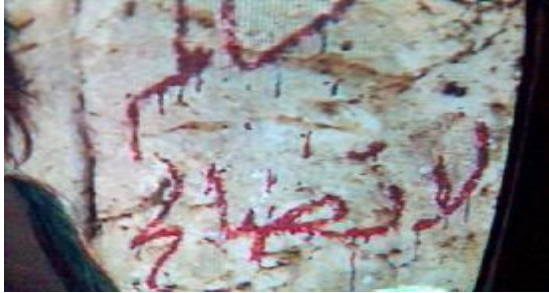
ويعود الاهتمام بهذه الظاهرة إلى البحوث التي قامت بها البعثات الأثرية في أنحاء شتى من العالم، حيث بينت هذه الدراسات أن الكتابات والرسومات الجدارية ارتبطت زمانيا بميلاد الإنسان ما قبل التاريخ حين أعلن عن تواصله مع الطبيعة رغم قساوتها، وجسد اتصاله بالعالم المحيط به من خلال تلك الرسوم والنقوش التي حفرها على جدران الكهوف والمغارات التي كان يسكنها، وإن كانت هذه الأخيرة مأهولة حاليا لكنها لا تزال تحمل هذا الإرث كما هو، وهذا ما أكدته المكتشفات الأثرية ومثال ذلك: النجوم الثلاث المرسومة على جدران كهوف " لاسكو" في فرنسا والتي تعود إلى ما يقارب 16500 عام حلت، كذلك الأمر بالنسبة لكهوف التاسيلي " Tassili" في الجزائر التي اكتشفها الرحالة " برنان" حينما كان يجتاز الحدود الجزائرية الليبية في عام 1938، وقد وجد في هذه الكهوف نقوشا ورسومات عجيبة يعود تاريخها إلى 20000 سنة مضت لمخلوقات بشرية تطير في

1/ <http://www.palestine-info.info/arabic/books/shearat/shear4.htm>

السماء، ورجالا ونساء يرتدون ثيابا سواء قديمة أو حديثة كالتى نرتديها في زماننا الحالي، شكلت ما يعرف بلغز التاسيلي. إن تلك الرسومات والنقوشات المحفورة على جدران تلك الكهوف مردها إلى طبيعة البيئة وإلى سهولة استخدام الوسائل البدائية الموجودة في تلك الحقبة، وتعتبر أولى محاولات الكتابات الجدارية، وإن دلت على شيء فإنما تدل على قدم هذه الظاهرة. كما أن معنى " الكتابات الجدارية " قد ورد ذكره في التوراة بعبارة " مكتوب على الحائط" (1) ، والتي تعني في محلها انقضى الأمر وانتهى.

أما إذا أردنا تفصيلا في الجذور التاريخية لهذه الظاهرة عند العرب والغرب، فيمكن القول أننا لم نلمحها كثيرا وهذا لا لسبب سوى لأن شكل البيوت العربية قد لعب دورا هاما في ذلك الوقت، غير أننا لمسنا ذلك في السيرة الشعبية " الزير سالم" (2) أو " أبو ليلى المهلهل" وهو شاعر جاهلي، حيث وردت أول كتابة على الصخر وليست نقش أو حفر بل كتبت بدم أخيه " كليب" أو " وائل بن ربيعة" الذي قتل غيلة من طرف ابن عمه "جساس ابن مرّة" الذي تولى الملك عليهم، وبعد طعنة قاتلة بالرمح التجأ إلى أول صخرة صادفته وكتب بدمه عبارة " سالم لا تصالح" يوصيه فيها على الثأر من قاتليه جساس ابن مرة ومن والاه، وهي باختصار حرب بين أبناء العمومة سجلت في التاريخ بدم العرب حيث دامت 40 سنة وسميت بحرب البسوس، وكان هذا في الحقبة التاريخية التي تتراوح ما بين 500م-570 م، وهاته الصورة مجسدة للواقعة.

صورة رقم: 02 مأخوذة عن مسلسل عربي تاريخي " الزير سالم" بث في القناة الليبية.



صورة رقم: 01

هذا من حيث التاريخ الحضاري العربي، أمّا من حيث الموقع الجغرافي لبلاد العرب فكانوا تقريبا السبّاقون لذلك كما سلف الذكر عن جبال التاسيلي، وكذلك في بلاد الرافدين وفي مصر حوالي 3000 سنة قبل الميلاد. أمّا عند الغرب فقد عرف الرومان هذه الظاهرة قديما حيث ما تزال آثارها إلى الآن على جدران " بومبي" التي تعود حسب المؤرخين إلى عام 79 ق.م (3).

1/ سامر الصالح: الكتابة على الجدران من البيان السياسي الساذج إلى رسائل الحب والغرام، دمشق، دنيا الوطن، من الانترنت: <http://www.alwatan.com/articles.php?go=articles&id=15610>

2/ المرجع نفسه.

3/ مرح البقاعي: عصابات الفرافيتي ... والجداريات، الحوار المتمدن، العدد 1023 - 2004/11/20، من الأنترنت: <http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp?aid=26837>

وتتمينا لهذه المكتشفات فإن الأستاذ الباحث " تيري مارتن " من جامعة " ويليام ووز William woos " في ولاية "ميزوري" الأمريكية يقول بأن: " تاريخ الكتابات الجدارية يعود إلى عصور ما قبل التاريخ، حيث كان الإنسان البدائي يحاكي بيئته المحيطة ويعبر عن انفعالاته وأفكاره من خلال النقوش والرسوم على جدران الكهوف أو على الألواح والرقم الحجرية، فهذا اللون من الفنون قديم قدم البشرية ومستجد بجدة الحياة وقوة استمرارها..."(1). وحسب هذا الباحث فإن الكل يجمع على أقدمية تواجد هذه الظاهرة، غير أن اكتشافها والتنقيب عنها قد اختلف من مكان لآخر ومن وقت لآخر، تبعا لطريقة البحث والتنقيب من خلال البحوث الأثرية؛ وعليه فإننا سنحاول ذكر هذه المساعي الأثرية والعلمية التي بذلت بغية تناول هذه الظاهرة من منظور علمي مختلف باختلاف أوجهها ومظاهرها.

4-2/ مفهوم الكتابات الجدارية:

وتسمى بالكتابات أو الرسومات الجدارية أو الحائطية بسبب تواجدها وبشكل كبير على الجدران مهما كان نوعها ومكانها (الجدران)، وتجمع فيها كلمة كتابات ورسومات للإمام بمعناها. وفي اللغة الأجنبية تسمى بـ " Les Graffitis "(2)، وعربت بهذا المصطلح فكثيرا ما نجدها في مواقع الأنترنت بهذا الاسم " الغرافيتي "، نسبة إلى كلمة " Graff " وتعني الكتابة أو الرسم على الجدران وكذلك إلى كلمة " le Tag " وتعني الحفر أو النقش على الجدار، وكلاهما يدخلان في نموذج واحد وهو les Graffitis التي تحتويهما. كما أن كلمة " Les Graffitis تعني: نقش أثري أي الخربشات على الجدران أو الأبواب(3)، وهي جمع لمفرد gravitti. وكل هذه المصطلحات إنما تدل في مجملها على جميع أصناف الكتابات الجدارية. وتعرف بأنها: " ظاهرة عامة تشمل المجتمع الإنساني كافة "(4)، وقد شملت كل المجتمعات دون تمييز مجتمع عن الآخر، وقد لحنا هذا في الجذور التاريخية لها، وكيف أنها كانت بدائية وبسيطة كبداية تلك العصور وكيف صارت جديدة ومستحدثة بحدثة العصر. ويقول " Denise Bilodeau " 1993: " إن الكتابات الجدارية لديها لغتها الخاصة، وهي تستلزم استخدام رموز وشفرات تحمل المعاني التي يقصد أصحابها إيصالها، ولا شيء وجد من العدم، وعليه فإن فهم الكتابات الجدارية يستلزم فهم وفك لغز تلك الرموز والشفرات، بحيث أن لها ارتباط بالجماعة التي

1/ مرح البقاعي: عصابات الغرافيتي... والجداريات، المرجع السابق.

2/ Représentation: Tag, Graffiti ou Graf, in, <http://www.graffiti.org>

3/ سهيل إدريس: المنهل فرنسي عربي، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، ط 33، 2004، ص 586.

4/ <http://www.albayan.co.ae/albayan/culture/2000/issue33/thaskeel/2.htm>

ينتمون إليها (كتّابها) بعاداتهم وتقاليدهم... " (1).

ويقصد " Bilodeau " بهذا المفهوم، أن الكتابات الجدارية عبارة عن كلمات وربما رموز وحتى إشارات أو شفرات " des codes " تجسد في معناها جملة من المضامين المختلفة والتي كتبها أصحابها بغية إيصال رسالة ما أو التعبير عن أشياء معينة، ولفهم الكتابات الجدارية يجدر فهم وفك تلك الرموز وهي عادة ما تعبر عن عادات وتقاليدهم وأعراف المجتمع الذي ينتمي إليه كاتبوها.

ويقول أن: " الكتابات الجدارية هي تعبير عن الثقافة الحضرية، وتعتبر تدريجياً أكثر شعبية عند الشباب وعند معظم الطبقات الاجتماعية، بل وعند كل البلدان... " (2).

وإذا تعمنا في هذا المفهوم نجد صاحبه إنما يربط وبشكل مباشر نشوء الكتابات الجدارية في الوسط الحضري، حيث يعرفها بأنها الثقافة الحضرية. وبالفعل فإننا خلال تتبعنا لتطورها في العصور الحديثة وجدناها أكثر انتشاراً في المدن حيث تكثر كثافة السكان وتكثر المطالبة بالحقوق في خضم هضم وتناسي العديد منها، لذلك فإن الكتابات الجدارية هي حوصلة الحياة الحضرية ويمارسها الشباب أكثر من أي شريحة أخرى، وسنعود إلى ذلك لاحقاً.

وحسب بعض الباحثين، فإن هذه الظاهرة أصبحت مبعث قلق وحيرة، فهي تشمل كل الكلمات والتعبيرات والرموز والإشارات بمختلف الألوان التي صارت تملأ كل الجدران في الأحياء الشعبية الفقيرة خاصة، وعلى جدران المؤسسات التربوية والمهنية وحتى في المرافق والساحات العمومية، فهي ملاحظة بشكل مثير في جدران المراحيض العامة، وفي مواقف الحافلات وعلى كراسي القطارات، وفي كل مكان يصلح للكتابة أو الرسم أو الحفر وحتى للنقش، فباتت مساحات كبيرة يجد فيها الشباب مكانهم المفضل للتجمع ولطرح رسائلهم وشكاويهم، وأحياناً لملأ فراغهم، وتعبيراً عن أمانيتهم وطموحاتهم.

إن الكتابات الجدارية كيفما كان شكلها رمزية أو مقروءة، أو على شكل رسومات أو كاريكاتور، تعتبر دالة بذاتها تفيد فكرة محددة وتعبر عن موقف أو رأي فردي أو جماعي موجه إلى الناس عامة أو إلى فئة أو جماعة مقصودة، تتضمن معنى يمكن استخلاصه (3).

1/ David Manise : Animal étrange et sauvage, une approche Anthropologie, cit. internet.

2/ David Manise : Animal étrange et sauvage, op-cit.

3/ منصورى مختار: الإعلام الرسمي والإعلام غير الرسمي " الكتابة على الجدران نموذجاً "، رسالة دكتوراه دولة في علم الاجتماع،

جامعة وهران، 2003-2004، ص 181.

ويضيف " Bilodeau " كذلك أنها: " نظام يعتبر من أهم أنظمة الإشارات التي تتألف من الثقافة ومحاولة معرفة الدوافع التي تكمن خلف الكتاب الجداريين وذلك من خلال تحليل مضامين أعمالهم بمساعدة نماذج عديدة على اعتبار أن الكتابات الجدارية إنما تحتوي على دلالات أخلاقية وجمالية وغير ذلك...".

ولأن الكتابات الجدارية ليست مجرد كتابات على حد تعبير " David Manise " : " A graff is not just a graff "، بل لها أبعاد وجوانب كثيرة أهمها الأخلاقية والجمالية وحتى الجماعية، لأنها مكان تجمع لكثير من الأشخاص، بعضهم مختص في النقوشات على الجدران والآخر يتفنن في الألوان العادية منها والزيتية حتى تحتفظ بلونها مدة أطول، وكما هي مكان للتجمعات فهي ميدان للمنافسة والتقليد.

وتأخذ الكتابات الجدارية طابع المطالبة بالحقوق المهضومة ومسعى للتملك في عالم خاص ومستقل، ونجد هذا في الكثير من دول العالم خصوصا في فرنسا ونيويورك وغيرها من الدول التي تضم السود إلى جانب المهاجرين الذين يتعرضون إلى التمييز العنصري والاحتقار سواء من طرف السلطات أو من طرف السكان الأصليين، فتتمركز الكتابات الجدارية - خاصة في الشوارع الشعبية الضيقة - مجالا للتنفيس عن هؤلاء ومكانا للمطالبة بحقوقهم وتسوية وضعياتهم، خصوصا المغتربين.

وخلاصة القول، أن الكتابات الجدارية هي كل ما يكتب أو ينقش ويرسم على الجدران بهدف معين مهما كان أصل الأشخاص الذين قاموا به، وإن كان معظمهم يرون فيها عنفا ضد البيئة المحيطة بهم يهدم الأصول العريقة لكل مجتمع ويدمر كل الجماليات والأخلاقيات السائدة.

4-3/ العوامل التي أدت إلى ظاهرة الكتابات الجدارية:

ولأنها ظاهرة متشعبة ومتعددة الأوجه، فإن خلفها جملة من العوامل التي أدت إلى بروزها وحتى إلى تفاقمها بغض النظر عن الحكم عليها أو التصور الاجتماعي حولها. وحتى نعطيها قدرها من البحث فإنه وفي مجمل ما توفر لدينا من أسباب عامة أدت إلى ظهورها فإننا سنحاول تبويبها حتى يتسنى لنا فهمها جيدا وعليه:

أ- العوامل الاجتماعية:

كيفما نظرنا إلى الكتابات الجدارية فهي أولا ظاهرة اجتماعية، وهذا يعني أنها تحدث في الوسط الاجتماعي، فمن يقوم بها هم أفراد من ذلك المجتمع يشكلون جزء من تراثه الثقافي والحضاري، وجزء من عاداته وتقاليده وطقوسه التي تأتي أن تنفصل عنه وترفض أن تهمش أو توضع في الاحتياط.

إن الكتابات الجدارية تمارس عادة و كما رأينا من طرف شرائح شبابية معدومة (ليس لها مستوى ثقافي، تربوي، تعليمي...)، أو شرائح مقموعة (شريحة المغتربين، السود، البطالين...)، وهي جزء من المجتمع الكلي الذي بشكل أو بآخر همش أو تناسي تلك الشرائح.

ومن خلال الصور التي ستعرض ضمن قائمة الملاحق، نستشف تجسيدها للمشاكل الاجتماعية من: طلاق، تفكك أسري، بطالة، فقر (كما في الصورة رقم 5)، والمشاكل العاطفية (كما في الصورة رقم 28). إن الكتابات الجدارية مهما كان أسلوبها: كتابة أو صورة، أو رموز، أو شفرات، فإنه لفهمها لا بد من حل وتفكيك تلك الرموز التي تحتوي في طياتها معاني اجتماعية كثيرة جدا هي في أساسها معاناة تلك الشريحة التي تلجأ إلى هاته الكتابات كحل بسيط أو كطريقة للمطالبة بعدة أشياء، كما أنها تحدث في:

- المجتمعات التي تعاني من خلل في المراتب الاجتماعية وتكشف عن وجود ثغرات في النظام.
- تحدث بسبب انعدام تكافؤ الفرص في العمل، في السفر (الهجرة)، وكذا الاستفادة من امتيازات الدولة.

- تحدث كعنف رمزي مجسد لردة فعل من طرف الشرائح المقموعة على حد تعبير " David Manise " لتطالب بالحقوق المهضومة، والمساواة بين كل شرائح المجتمع.

وما يمكن قوله باختصار أن الكتابات الجدارية هي في مجملها تجسيد للمشاكل الاجتماعية التي يعاني منها أفراد ذلك المجتمع، وارتفاع وتيرتها أو انخفاضها هو مؤشر كفيلا لارتفاع أو انخفاض المشاكل الاجتماعية.

ب- العوامل الثقافية:

في مجملها فإننا لا نبتعد كثيرا عما ذكرناه سابقا، لأن المجتمع إنما يقيم من خلال تراثه الثقافي والحضاري، وبكل ما يحتويه من مقومات تظهر في جملة العادات والطقوس والتقاليد والعقائد الممارسة فيه. وعلى اعتبار أن الكتابات الجدارية هي " منتج ثقافي حضري "، فإنها بشكل أو بآخر تعكس مدى تشبع هذه الفئات أو الشرائح به، فهي حوصلة لهذا البعد الثقافي الحضري. وقد نلمس هذا جليا إذا ما أجرينا مقارنة بسيطة بين جملة الكتابات الجدارية في الدول الغربية والدول العربية، ورغم أنها نتاج تراثي إنساني، إلا أنها تتميز بخصائص محلية تختلف من دولة لأخرى من حيث محتواها الثقافي، ففي الدول الغربية كإيطاليا وفرنسا مثلا فإنه يغلب عليه المواضيع السائدة في تلك المجتمعات، فهي تتجاوز كل القواعد والمحرمات، بل إنها تدين وتندر، وأحيانا تقرف البصر حينما تتأطر و تتحول إلى

أجواء كابوسية وجنسية متوحشة ومبتذلة كما حللها حسان تليلي⁽¹⁾. على عكس ما في الدول العربية، فرغم أنها محاولة لكسر كل الطابوهات "tabo" الموضوعية في المجتمع، لكن محتواها لا يتعدى التصريح بالمعارضة للقيادات وللأنظمة وإن تناولت المواضيع الأكثر حساسية كالجنسية فإنها أبسط بكثير مما هي عليه في الدول الغربية.

إن الكتابات الجدارية هي مؤشر على المستوى الثقافي وحتى التعليمي السائد، فكثيرة هي الكتابات التي تأخذ شكل رموز أو إشارات، حيث تعكس المستوى المحدود لصاحبها، مثلاً (6TRON)⁽¹⁾، وكذلك (MORORA)، (LOV)، وإن لم توحى بالمستوى التربوي المحدود فإنما هي رموز وتشفيرات قد يلجأ ويتعمد فاعلوها حتى تنال حظاً أوفر في الفهم والمعنى. وبالعودة إلى الكتابات الجدارية في القديم فإنها كانت تجسد الطابع الثقافي السائد، ففي رسومات كهوف التاسيلي نلمح تلك الحيوانات الطائرة، وكذلك هو الأمر بالنسبة للآثار العراقية في بلاد الرافدين والتي تم نقل معظمها إلى أوروبا، فتلك الحيوانات الغريبة كالثيران المجنحة إنما هي رسومات لآلهات مجسدة لتلك الأفكار المسيطرة في ذلك العصر، وغيرها من الأمثلة، ومنه أجمع الباحثون الأثريون على أن الكتابات الجدارية بدأت بالرسومات المحفورة أو المنقوشة على جدران الكهوف والمغارات، مروراً إلى المعابد والمقابر، وهذا في عصور ما قبل التاريخ وبالتالي قبل بروز فن الكتابة؛ ولعل المتبصر ما بين الكتابات القديمة والحالية إنما يستشف منها المستوى الثقافي والعلمي والعقائدي الذي كان سائداً في حقبة ما.

إن الكتابات الجدارية في الدول الغربية تعكس بشكل جلي المستوى الثقافي السائد، وهذا ما يتضح من خلال العبارة التي وجدت على قطار ما بين لندن وأكسفور "العصايون بينون قصورا في الخيال والجنانين يسكنونها والأطباء النفسانيون يجمعون الإيجار عنها"⁽²⁾.

والصورة رقم (06) والتي تعني الحب وتبرز بعض العواطف، فإنها تجسد المستوى التعليمي المحدود لصاحبها، كذلك الأمر بالنسبة للصورة رقم (08) "Break Dince" تشير أن صاحبها ذا مستوى تعليمي معين. ولسنا بصدد شرح معاني ومفاهيم هذه الرموز بقدر ما نحن بصدد إبراز البعد الثقافي والتعليمي السائد، ونفس الشيء نلمحه في بعض الصور في المملكة السعودية والتي ترمي إلى قيم التسامح والتعاون والتآزر، وكذلك بالنسبة للعبارة التي وجدت في الضاحية الجنوبية للعاصمة الجزائرية: "أذهبوا إلى بريطانيا فإن بها ملكة لا يظلم عندها أحد"⁽³⁾، وإن كانت تحمل بعداً

1/ Alain vulbeau : les gravittis ou l'émergence de l'incisif, internent.

2/ <http://www.kishtainiat-info.info/arabic/books/shearat/sher4.htm>

3/ مراد الطرابلسي: الجدران الجزائرية من أحلام المهجرة إلى العنف القبلي والطائفي، أنترنت.

إعلاميا، فإنها تجسيد لقيم ومبادئ مستوحاة من العقيدة، وهي دعوة إلى طلب الحوار و رفع الظلم.

ج- العوامل السياسية:

تكسب الكتابات الجدارية بعدا سياسيا لا غنى عنه في معظمها، وهي نفسها سواء في الدول العربية أو الأجنبية، فهي دوما تجسد الصراعات الحزبية والأفكار والجماعات الطائفية التي لم تجد سبيلا للخروج إلى الساحة العامة فتختلف مضامينها السياسية، كما في سنوات الاستعمار الذي عاشته الجزائر، وخلال اندلاع الثورة التحريرية حيث ملئت الجدران بعبارات الترحيب بالثورة وتأييد الثوار و كذا للرفع من عزيمتهم. وعلى العموم فإن الكتابات الجدارية في بعدها السياسي إنما تتزامن مع الأحداث، ومثالنا في ذلك أحداث الجزائر في بداية التسعينات حيث ظهرت تحت وطأة تلك الظروف (سنرى ذلك بالتفصيل في عنصر الكتابات الجدارية في الجزائر)، وما يمكننا قوله أن تزامن الأحداث السياسية مع الكتابات الجدارية، أو غيرها من الأحداث الأخرى المجتمعية، إنما صفة شهدتها ولم تنزل كل دول العالم، ولكن تبعا لنوعية تلك الظروف وشدتها.

ففي فرنسا بعد ثورة الطلاب في عام 1966، حيث كانت دافعا قويا لبروز هذه الكتابات التي جاءت معبرة عن أفكار وآراء جماعات نخبوية مقهورة أي تعبر عن فكرة وثقافة الاغتراب في مجتمع عنصري.

أما في روسيا وبالضبط في موسكو، فإن الأحداث والتحويلات العميقة التي عرفها المجتمع في أواخر الثمانينات - والتي أسفرت عن انهيار عالم ضخم كان يعرف بالاتحاد السوفياتي -، ساهمت وأدت إلى بروز الكتابات الجدارية التي عبرت وبشكل جلي عن تلك التحويلات. ودون أن نركز على هذه الدولة وتناسي أخرى، فإن الكتابات الجدارية كانت ولا زالت تتزامن مع الأحداث السياسية في مجتمع ما، ولعل الكتابات الجدارية في فلسطين أحسن مثلا لها سواء المنجزة من طرف الفلسطينيين أو الإسرائيليين مثلما تعبر عنه الصورة رقم (03).



وخلاصة القول أن الكتابات الجدارية لا تحدث لسبب اجتماعي أو ثقافي أو نفسي أو سياسي بقدر ما تحدث بتظافر جملتها وإن طغت إحداها على الأخرى.

د- العوامل النفسية:

إن الأسباب النفسية والتي هي جملة الصراعات والإحباطات والمشاعر المتناقضة التي تنتاب الفرد تساهم بجزء كبير في بروز الكتابات الجدارية، خاصة وأن معظم القائمين بها هم شباب أو بالأحرى مراهقين، وتعد أحسن ممر لتنفيس تلك الطاقات المعارضة والمنافية أحيانا للمبادئ والقيم والعادات، فهي ليست طريقة تعبير فقط بل تعتبر عنفا رمزيا ينبعث من مضامين تلك الإشارات والرموز التي تبدي الرغبات الجنسية المحرمة منها والمقبولة والتي لا تجد تنفيسا لها، ويلعب الاستقرار النفسي دورا فعلا في سلوكيات الأفراد ونمطيتها، حيث أن القيمة الكمية والكيفية للكتابات الجدارية تختلف من مكان للآخر، ومن وقت للآخر وفي هذا تحليل الحالة النفسية التي كتبت بها، (التحليل النفسي لتلك الكتابات)، هذا من جهة ومن جهة أخرى يوجد ما يسمى بالتقليد (خصوصا تقليد الأطفال لعملية الكتابة). ولعل الكتابات الجدارية في المراهيض العامة هي نوع خاص بذاته عند بعض الباحثين وهو نمط يمتاز بحظ وفير في البحث والتنقيب في الدول الغربية. ومنه فالأسباب النفسية تدخل في خضم الأسباب الاجتماعية والثقافية المؤدية للكتابات الجدارية.

ومن خلال ما سبق عرضه من العوامل يمكننا القول أن الكتابات الجدارية لا تحدث نتيجة عامل واحد، وإنما بتظافر مجموعها ويظهر هذا جليا بحسب اختلاف مواضيعها، وعليه يمكن القول أنها ظاهرة إنسانية، ثقافية، اجتماعية، نفسية وسياسية.

4-4/ من يقوم بالكتابات الجدارية؟ وأين؟:

بروز ظاهرة الكتابات الجدارية بل وبتفاقمها، ازدادت التساؤلات حولها مما دفع بالباحثين إلى محاولة البحث فيها، لكننا لسنا هنا بهذا الصدد بقدر ما نحن بصدد معرفة من يقوم بها وأين يتم ذلك؟ إن الكتابات الجدارية ظاهرة تشتمل المجتمع الإنساني كافة وإن كانت تتميز ببعض الصفات عند مجتمع ما دون غيره، فإنما مرد هذا إلى طبيعة ذلك المجتمع ومقوماته، لكن الباحثين يجمعون على أن هذه الكتابات إنما تمارس من طرف الشرائح المقموعة على حد تعبير " David Manise"، التي تعاني من التمييز العنصري والتهميش في الحقوق سواء الاجتماعية أو السياسية، ولعلنا نشهد ذلك جليا في الدول الغربية كإيطاليا وفرنسا وحتى في نيويورك..؛ إن فئة الشباب هي الأكثر لجوء إلى هذه الظاهرة وذلك في غياب الوسائل التعبيرية الأخرى كالصحافة والتلفزة وغيرها من الطرق المشروعة التي تبقى حكرا على فئات أو أشخاص معينين، كما تعتبر الوسيلة السهلة والبسيطة للتعبير عن الأفكار والآراء التي تدخل ضمن قائمة الطابوهات (tabo) والتي نقصد بها جملة المواضيع المحرم والمنوع الحديث عنها، فتأتي الكتابات الجدارية لكسر تلك المواضيع والمشاركة في الرأي لتبني قضية ما، كما نلمح ذلك في نيويورك، أين نجد معارضة شديدة لاحتلال العراق والحرب على أفغانستان، يجسدها الأشخاص المعارضين للحكم والسياسات أو المؤيدين لها، حيث يقوم بها عادة مجموعة من الشباب، حدد بعض الباحثين سنهم ما بين 14 و17 سنة يخرجون ليلا ما بين الواحدة إلى الخامسة صباحا، ثم يتكلمون في جماعات بعد أن يقتسموا الأحياء فيما بينهم، وهم بذلك يشكلون الشلل أو العصابات كما في إيطاليا، حيث أطلقوا على أنفسهم " عصابات الغرافيتي Graffiti Gangs"، وهم مجموعات من الأقليات العرقية والإثنية من اليافعين الذين اتخذوا من جدران فيلادلفيا مساحة لهم ولأهوائهم، ومنهم من يتركز بكتاباته في المراحيض العامة، وقد سمو أنفسهم أدباء المراحيض⁽¹⁾.

إن الكتابات الجدارية قد تمارس من قبل الشباب الراسبين مدرسيا، أو العاطلين عن العمل والمدمنين على المخدرات والكحول وغيرها من الآفات، والذين يعانون الانحلال الأسري والعائلي والفقر الذي دفع بالكثير من الأطفال للخروج إلى الشارع، بكل ما يحمله من أخطار آفات، ومن ثمة يدخلون عالما آخر لا حدود له. إن ظاهرة الكتابات الجدارية عميقة بعمق أسبابها وشائكة بتداخل عواملها، وعلى العموم فهي تمارس في الأحياء الشعبية والفقيرة لأنها عادة ما تكون بعيدة عن الرقابة الرسمية، فيجد فيها الشباب الملجأ الآمن للقيام بهذه الرغبة تعبيرا عن مشاكلهم أو سخطا على النظام والقائمين به، أو تآزرا مع مشاكل أخرى كما يجري حاليا في قضية فلسطين والحرب على العراق.

1/ مرح البقاعي: عصابات الغرافيتي... والجداريات، سبق ذكره.

وتتواجد الكتابات الجدارية على كل جدران المؤسسات التعليمية أو التكوينية وحتى المهنية، و كذا على جدران الملاعب كتعبير على تأييد فريق ما أو معارضة لغيره، وعلى جدران المسارح كالعبارة التي وجدت على أحد مسارح باريس⁽¹⁾: "لا يعاقب المرء أبدا إذا أमत أحدا من الضحك"، وأيضا تنتشر في محطات الحافلات مثل العبارة التي وجدت في محطة بيكادلي وهي من أجل التعارف " الزواج مؤسسة رائعة، لكن من يرغب في قضاء حياته في مؤسسة ؟"، ونجدها على جدران العمارات والجامعات، كعبارة: " السأم أبصر النور يوما في الجامعة " بجامعة السربون الفرنسية، وكذلك الشأن في المقاهي والقطارات كالعبارة التي وجدها "خالد القشطيني" عند زيارته للجزائر حينما كان متوجها إلى صحرائها الكبرى، أين وجد على حائط مقهى هذه الكلمات: " لا تبصق ؟ ربما ستحتاج إلى بصاقتك بعد قليل"، ووجدت عبارة أخرى على جدول قطارات ليفربول: " السفر على ظهر سلحفاة أسرع لك". والأمثلة كثيرة جدا بحيث لم تعد ظاهرة الكتابات الجدارية خاصة بمنطقة معينة، بل أصبحت تستحوذ على كل مساحة تصلح للكتابة أو الحفر أو النقش كما نلاحظها على طاولات الدراسة، وكذا في المراحيض العامة وعلى الأسوار الإسمنتية... وغيرها من الجدران.

وبتقدم الكتابات الجدارية واعتبارها فنا قائما بذاته، تطورت الوسائل المستخدمة فيه إلى الدهان والرش بمضخات مخصصة لهذا الغرض والتي تختلف باختلاف الألوان وتعدددها، وفي الدول الغربية فإن أسعار تلك المضخات عدلت وقننت حتى يتمكن الشباب من اقتنائها، كما تحولت الكتابات من على الجدران الإسمنتية أو الخشبية إلى الزجاج تبعا للتطور المعماري هناك، حيث تفنن هؤلاء الشباب في تجسيد لوحات فنية تبهر الناظر. وأمام اعتبار الكتابات الجدارية نمط فني قائم بذاته أو باعتبارها عنف مرسل من خلال مضامينها يطرح السؤال نفسه وهو: الكتابات الجدارية فن أم عنف؟.

4-5/ أنواع (أصناف) الكتابات الجدارية:

بعد جملة التعاريف التي سبق ذكرها عن الكتابات الجدارية، يمكننا أن نستشف من ذلك عدة أنواع أو أصناف قد تختلط وتشابك أحيانا، لكنها ربما تأخذ منحنيات أخرى تميز فيها عن بعضها البعض، وسنحاول من خلال ما توافر لدينا من معلومات أن نذكر بعضها منها:

أ- حسب طبيعتها⁽²⁾:

ويقسمها " Lotman " 1977 إلى نوعين هما: الصنف التصويري والصنف الشفهي، وكلاهما مختلف عن الآخر، فالتصويري يشمل كل الرسومات التي تتجسد على الجدران مهما كان حجمها

1/ <http://www.kishtainiat-info.info/arabic/books/shearat/shear4.htm>

2/ <http://www.palestine-info.info/arabic/books/shearat/shear4.htm>

ولونها، وحسب رأيه فإن هذا الصنف قد يتخذ قالباً فنياً خصوصاً حينما يشغل مساحات كبيرة، كما سنرى ذلك في جداريات نيويورك وغيرها، والحضارة العربية أيضاً تزخر بمثل هذا النمط.

أما الصنف الثاني الشفهي، فهو النمط الأكثر شيوعاً ويضم كل ما يمكن كتابته من مفردات أو عبارات أو حتى رموز وإشارات، ويتخذ أيضاً عدة أبعاد، فبقدر ما هو وسيلة تعبيرية أو إعلامية فهو كذلك أداة عنف يشهرها فاعلوها في وجه العامة، فتضم عبارات الشتم والكلام القبيح والمفردات البذيئة التي تمس وتخدش الحياء الاجتماعي، فتشهر بأشخاص وتذم آخرين..؛ وهو في مجمل دراساتها عنف رمزي يتضمن السلبيات أكثر من أي شيء.

ب - حسب مكانها⁽¹⁾: ويقسمها الباحثون إلى نوعين هما:

* النوع الأول: يسمونه بالكتابة العامة، ويشمل كتابة الأسماء والرموز التي تكتب وتحفر أو ترش بالدهان على الجدران الخارجية والأشجار والأسيجة ولوحات الإعلان والأنفاق.

* النوع الثاني: ويسمونه بالكتابات الخاصة، وهي التي توجد على جدران المراحيض، ويعتبرونها نمط خاص بل ومتميز من حيث المضمون والشكل، وتقوم بها جماعات أطلقت على نفسها تسمية " أدباء المراحيض "؛ كما اقترح الأنثروبولوجي الأمريكي " الن دنديز " إسماً خاصاً لهذا النمط: " Latrinatia "، لكن الباحث " آبل إيرنست " انتقده في هذا، ورأى أنه لا حاجة لهذه التسمية الخاصة ما دام مصطلح الكتابات الجدارية شامل لمثل هذا الصنف.

إن الكتابات الجدارية متشعبة ومتداخلة فيما بين أصنافها وهذا تبعاً لمكانها وطبيعتها، وكذلك حسب المحتوى أو المضمون والأدوات المستخدمة فيها، ولا نتوقف عند هذا الحد، بل وتبعاً لميادها سواء كان اجتماعي أو سياسي أو رياضي.

ج- حسب المضمون⁽²⁾: تضم الكتابات الجدارية نوعين أو صنفين، وإن كانا يتداخلان تحت نفس التسمية، لكنهما يختلفان في طريقة الأداء:

* الرسم الجداري: " Le graff " : وهو رسم مصور على الجدار ويشكل جزءاً هاماً من مجموع الكتابات الجدارية العامة، وليس بالضرورة أن يأخذ منحى فنياً، بل قد يكون على شكل الكاريكاتور الذي يحمل في طياته العديد من المعاني ذات الأبعاد الاجتماعية والسياسية وحتى الدينية، وهنا نلمح صفة الاستهزاء والمزح، وهي في كثيرها لا تستهدف الأفراد أو المسؤولين فحسب، بل تصيب في معناها العميق جملة البنى الاجتماعية والقيم، وتمس أحياناً بإطارات النظام السائد وقوانينه، كما حدث

1/ Qui sont les graveurs : http://xxi.ac-reims.fr/leon-bourgeois/matiere/tpe/tpepord/eleve/graffitis%202/qui_sont%20lesgraffeurs.html

2/ Tag, graffiti ou graff : présentation, <http://xxi.ac-reims.fr/leon-bourgeois/matiere/tpe/tpepord/eleve/graffitis%202/Représentation%202.html>

في إيطاليا وبالضبط في مدينة ميلانو، حيث أعلنت السلطات على متابعتها لهؤلاء قانونيا، بل وخصصت جوائز قيمة لمن يقبض عليهم، أو حتى يدل على مكانهم، وبغير إيطاليا فالأمثلة كثيرة... إن الرسم الجداري يتميز من حيث أدائه وغرضه وكذلك الأدوات المستعملة لإنجازه، وهي تتطور تبعا للتقنيات الحديثة، حيث ارتقى حاليا إلى الرسم على الزجاج بعدما كان يمارس في الستينات على البنايات الإسمنتية ثم على العمارات في الثمانينات، وإن كانت باريس قد حظيت بمثل هذا النمط فإن غيرها ولاسيما الدول العربية لا زالت تعيش بدايات الظاهرة كما في الستينات والسبعينات.



نماذج للرسم الجداري.

*النقش الجداري " Le Tag " : ويعتبر قاعدة للكتابات الجدارية، فبالعودة إلى الجذور التاريخية لها، نجد أن الشعوب الأولى كانت تحفر الجدران وتنقش عليها أسماء لهم أو لملاكهم وتجسد طريقة حياتهم، ويعتبر هذا النمط بسيط جدا لبساطة الأدوات المستخدمة فيه، وذلك تبعا لبدائية تلك العصور الغابرة، وانتقالا من الكهوف والمغارات التي كان الإنسان يسكنها، انتقلت تلك النقوشات إلى جدران العمارات والبنايات الحالية، وإن كانت على حسب اعتبار الباحثين الأثرين دليل أثري مهم في التقصي عن حقائق تاريخية لمعرفة حياة الشعوب التي عاشت في تلك الفترة، ومنها يستشف الباحثون نمط الحياة الاجتماعية والثقافية والدينية التي كانت سائدة.

إن النقوش الجدارية القديمة كتلك الموجودة في كهوف التاسيلي بالجزائر وفي بلاد الرافدين ودمشق، هي دليل على وجود هذه التزعة في الإنسان منذ القدم لتخليد ذكراه وترك أدلة على وجوده مهما طال الزمن.



نماذج للنقش الجداري

د - حسب مواضيعها: بالإضافة إلى ما سبق، فإنها تقسم أيضا حسب مواضيعها إلى:

* المواضيع السياسية: كتعبيرات معارضة للحكم، وأخرى مؤيدة لحزب معين، مثل عبارة " انتخبوا RND " التي سجلت في انتخابات الجزائر مرات عديدة، والأمثلة كثيرة جدا، غيرها من الدول أين تبرز الكتابات الجدارية بشكل متزامن مع الأحداث السياسية التي يعيشها أي مجتمع.

* مواضيع اجتماعية: تبدي هموم وآلام الشعوب ومعاناتهم الاجتماعية بسبب عدم تحقيق مطالبهم، كما تضم الكتابات الجدارية مواضيع أخرى سواء ثقافية أو رياضية مؤيدة لفريق أو مناصرة له، وهي تختلف باختلاف مواضيع الحياة الاجتماعية كافة.

إن الكتابات الجدارية في مجملها سواء كانت شفوية (كتابية) أو تصويرية (رسومات)، أو ذات طابع فني (كما هي في الدول الغربية) فإنها تجسد ظاهرة إنسانية وتاريخية محظية، وحسب اعتقادنا فإنها في مجملها ما بين الكتابات والرسومات قد حققت أوسع الأبعاد ولعل الحضارة العربية غنية جدا بهذا النمط، فباجتماع الخط العربي والرسومات على الجدران وتنوع الأدوات والمواضيع، راح أصحابها يتفننون في تشكيل أروع ما جادت به القريحة البشرية، في فسيفساء (Mosaïque) تبهر العيون والعقول، والشواهد كثيرة أهمها⁽¹⁾: جداريات مسجد قبة الصخرة بالقدس الشريف، وكذلك محراب الجامع الكبير في قرطبة والجامع الأموي في دمشق، وأروع ما فيه اللوحة المعروفة بلوحة " بردى " (اسم النهر الذي يروي دمشق وما حولها)، وهي لوحة كبيرة موجودة بالركن الجنوبي الغربي من المسجد، تمثل منظر نهر بردى وهو يخترق الفوطة الغناء ويدخل دمشق، ويبلغ طول تلك اللوحة الفريدة من الفسيفساء قرابة 38 متر وارتفاعها 07 أمتار، وهي أكبر مسطح من الفسيفساء كشف عنه حتى اليوم.

وغيرها من الشواهد، التي تزخر بها الحضارة العربية و الإسلامية (وهي تفوق بكثير جداريات إيطاليا أو غيرها)، وبالحدوث عن الفن التصويري الرائج في الدول الغربية، و غرار باريس وموسكو وكذا نيويورك، فإن هناك العديد من الدول التي قامت بها عدة جمعيات تنشط لصالح الأفراد الذين يقومون بالكتابات الجدارية وذلك للمطالبة بحقوقهم في التعبير والمشاركة في صنع الأحداث المجتمعية، وكل هذه الاتجاهات إنما هي جواب عن موقع الكتابات الجدارية في المجتمعات.

1/ مرح البقاعي: عصابات الغرافيتي...والجداريات، سبق ذكره.

4-6/ بداية الاهتمام بظاهرة الكتابات الجدارية عبر مقاربات نظرية وعلمية مختلفة: أ- المقاربة اللسانية (اللغوية)⁽¹⁾:

مع أن الاهتمام بهذه الظاهرة يعود بجذوره إلى السنوات الأولى من هذا القرن، إلا أن أول دراسة أرختها وحللتها ركزت على جانبها اللغوي والاجتماعي، حيث اهتمت بتحليل المفردات اللغوية الواردة في الكتابات الجدارية والتي تجسدت في أول دراسة صدرت في سنة 1928م من طرف الباحث اللغوي الأمريكي " Read "، حيث سمحت له هذه الدراسة بالنظر وبصورة واسعة لكم ضخ من الكتابات على جدران المراحيض في منطقة غرب الولايات المتحدة الأمريكية وكندا، وهذه المظاهر اللغوية المكتوبة جعلته - وهو الباحث اللغوي - يعطيها أهمية ليدرسها في إطارها العلمي، حيث كتب قائلاً: " إنها ولدت الزيارات للأماكن العامة وعكست اهتماما كبيرا، وأن هذه المفردات والكتابات يجب أن تكون موضوعا جيدا للبحث من قبل علماء البحث اللغوي". وهذا لأن جملة الكتابات التي وجدت في ذلك الوقت ما هي إلا مصطلحات لغوية ومفردات تعكس استخدام الإنسان العادي للتراث اللغوي المحلي وتوظيفه لل لهجة العامية للتعبير عن مفرداته وأقواله الذاتية، وهي في نظر الباحث " Read " تعتبر مصادر هامة للدراسة والبحث والتحليل، ويمكن اعتبار هذه المحاولة كوجهة نظر للمدرسة اللسانية (اللغوية) في تفسيرها لهذه الكتابات الجدارية. وقبل الخوض في بقية العلوم التي تناولت هذه الدراسة يجدر بنا القول أن البحوث الأثرية والحفريات التي تهتم باكتشاف هذا الإرث الإنساني العظيم إنما يطلق عليها " Glyptologie " وهي تعني فن دراسة النقوش الأثرية، بسبب اهتمامها بتلك الآثار وما تحمله من أسرار كامنة حول المجتمعات الغابرة، وتعتبر هذه المساعي الخطوة الأولى في البحث والتنقيب حول هذه الكتابات، لكن فيما بعد ظهرت عدة مدارس بزيادة عدد من الباحثين في اختصاصات متعددة، فكل باحث كان ينظر لها من وجهة نظر معينة، وسنأتي على ذكر هؤلاء ولا سيما في مجال علم النفس وعلم الاجتماع.

لكن معظم الدراسات التي صدرت حول هذه الظاهرة تتفق على وجودها منذ آلاف السنين، بدءا من الباحث " Robert Reisener " الذي تناول في كتبه الجذور التاريخية لهذه الكتابات، ومرورا بمحاولات الأثرين الأمريكيين لدراستها في غواتيلاما والمكسيك، وأخيرا في دراسة " Bushnell " الذي تطرق إلى الكتابات السوفيتية وتجربة الإنسان السوفيياتي في الجداريات التي وجدت في المقابر والمعابد ...، وكذلك ما ذكره " فيكتور هيغو Victor Hugo " من كشوفات في كاتردائية

1/ المركز الفلسطيني للإعلام: مدخل تاريخي عام للكتابات الجدارية،

" نوتردام Noterdam " حيث عزز فيها الجانب الأثري الذي يقوم به المحللين حولها، وحتى نكون أكثر إلماماً بما فإننا سنتطرق إلى المقاربة الاجتماعية وكيف تنظر أو تؤول هذه الظاهرة، وكذلك نفس الشيء بالنسبة للمقاربة النفسية على اعتبار أنهما الأقرب إلى مضامينها.

ب- المقاربة الاجتماعية⁽¹⁾:

وبقدر ما تعتبر الكتابات الجدارية ظاهرة أثرية وتاريخية، غير أن هذا لا ينفي الجانب الاجتماعي الهام لها، بل يدعم الأطر الاجتماعية التي تحدد مغزى هذه الأخيرة، ولقد برز عدد من الباحثين الذين ركزوا في دراستهم لها من هذا المنظور، وإن كان البعض يرى تداخل الجانب النفسي معه في كثير من مظاهر الكتابات الجدارية، حيث يرى العالم النفسي " Codpaile " أن المركبات (التشكيلات) الفكرية التي مثلتها الكتابات الجدارية لها مغزى اجتماعي باعتبارها تلقي الضوء على المواقف الاجتماعية للصراع النفسي والإنساني...، وهذا يعني أن محتوى الكتابات الجدارية كثيراً ما يعبر عن المشاكل والمواقف الاجتماعية التي يعانيها الفرد في حيزه أو مجتمعه، وكذا الأمر بالنسبة لـ " M. K. Opler "، حيث حدد درجة الامتلاء في الكتابات الجدارية الخام في مجتمع ما تعكس مشكلاته الاجتماعية، أي أنه بقدر تلك المشاكل وقوتها تكون الكتابات الجدارية قوية وكثيرة ومتنوعة والعكس صحيح.

كما أن لوماس " Lomas " أكد أن: " المعطيات الثقافية الواردة في مجمل الكتابات الجدارية التي دأب العامة على كتابتها والتعبير عنها يتضمن الرسالة الاجتماعية التي تعكس المواقف الاجتماعية والتغيرات العريقة في المضمون الثقافي... "، وهو يتفق مع " Freeman Richard " الذي يقول أن: " الكتابات تعكس طبيعة المجتمع وتحديدات الطابع العاطفي للأفراد الذين يمارسون هذا النوع من التعبير... "، وهذا يعني أن الكتابات الجدارية إنما هي الوجه الثاني لما يحدث في المجتمع من مواقف وحركات، وهي دليل قاطع على المضمون الثقافي والعادات السائدة في تلك الحقبة. وبالعودة إلى الباحث " Robert Reisener " المشهور في الكتابات الجدارية نجده يولي أهمية كبيرة لما هو مكتوب على الجدران معتبراً ذلك بمثابة " الباروميتر " الذي يقيس طبيعة التغيرات الاجتماعية التي تفرض نفسها وتحتل تفكير العامة من المجتمع، وهو يؤكد دوماً على أن هذا النوع من الكتابة يخبرنا بما يحدث في مدننا وقرانا.

وهكذا نجد أن علم الاجتماع قد ركز بشكل كبير في دراسته لهذه الظاهرة على سلوكيات وأحداث المجتمع التي تطبع في أذهان الأفراد، ومن ثمة تفرغ أو تجد طريقها للخروج من خلال تلك

1/ المركز الفلسطيني للإعلام: المرجع السابق.

الكتابات، وإن كان المضمون الاجتماعي يضم معه كل الإرث الثقافي الذي لا يقل أهمية عليه في تكوين هاته الكتابات، والذي يعتبر أحد العوامل الهامة في قيام أي مجتمع على أساس أن الكتابات الجدارية هي جزء منه.

ج- المقاربة النفسية⁽¹⁾:

على اعتبار أن مضمون الكتابات الجدارية هو ما يفكر فيه مجموع أفراد المجتمع، وأن الفرد الذي يجسد هذه الكتابات هو طرف من هذا المجموع، فإن المدرسة النفسية باهتمامها بهذه الظاهرة إنما تهتم بالجانب النفسي للقائمين بتلك الكتابات، وعليه فإن فردية الكتابة وإن عبرت عن رؤى وتحليلات ذاتية إلا أنها ترتبط بالواقع المعاش، وإن كانت تشكل سيرة ذاتية أو جزءاً منها " Auto Biography " لمن يكتبها بصفته جزءاً في المجتمع، حيث يجسد فيها نفسيته ويجول فيها بأراء متضاربة ورغبات مختلطة وأخرى تود الخروج والتعبير، أو معاناة وآلام لا يحس بها إلا هو، فهي من هذا المنظور أسلوب للتعبير أو بالأحرى للتنفيس عن ذاته، فيكتب ويرسم كل ما يبدو له محرماً وممنوعاً بطرق أخرى. وهكذا فإن المدرسة النفسية تهدف إلى التركيز على الدوافع النفسية التي تؤدي بالأفراد إلى الكتابة على الجدران مع مراعاة نمط ونوعية تلك الكتابات، لأنها في الأخير جملة من الرموز والشفرات المقنعة التي تحتاج إلى كثير من الدقة والانتباه لفكها وفهمها هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجد أن هذه المدرسة ركزت وبشكل كبير على نوعية الكتابات الممارسة على جدران المراحيض، بل واستخدمت الجدران في تجارب لمعالجة المرضى النفسيين في المستشفيات النفسية، حيث قام بعضهم بتحليل العلاقة ما بين الجدران قبل الكتابة وبعدها مع مراعاة نوعها وشكلها، وكذا دراسة درجة الإثارة والانتباه التي تقنع الإنسان العادي باتخاذ موقف اتجاهها، أو بالأحرى باتخاذ وتشكيل تصور حولها، حيث ارتكزت تلك النظرة على قيمة المبادئ الاجتماعية التي تنبع من قدرة الكتابات على تمثيلها على الجدران، وبالتالي أثارت بقية أفراد المجتمع بصورة أو بأخرى، بل وذهب الكثير منهم خاصة الباحث " ABELL " إلى دراسة الظاهرة في الوعي النفسي من خلال مكتسبات علم النفس واستخدام أدواته، وبالذات آراء وأقوال " فرويد " في الأنا والشعور واللاشعور، حيث نلاحظ في إحدى دراسات " ABELL " الإلحاح الشديد على دراسة العلاقة بين رائحة العفن الإنساني الخارج منه في العملية الطبيعية (الإخراج Wast) والدوافع التي تؤدي بالكاتب إلى استخدام جدار المرحاض مثلاً للإفراغ والتعبير، وكذلك محتوى (مضمون) المفردات وعلاقتها بمفهوم " Tabo " الحياء والممنوع في المجتمع، حيث اعتمد الباحث على السيرة الذاتية التي كتبها أحد الأمنيين على أفكار فرويد " Freud " .

1/ المركز الفلسطيني للإعلام: المرجع السابق.

وهكذا نستخلص من كل ما تقدم، بأن المدرسة النفسية حاولت التطرق بالدراسة لظاهرة الكتابات الجدارية انطلاقاً من عدة معطيات، وهدفها الأول والأخير هو فهم مغزى وسبب هذه الأخيرة، لكننا في طرحنا لهذه المقاربة، إنما نلمح وبشكل كبير المدى ارتباطها وتفاعلها مع المقاربة الاجتماعية وحتى اللغوية والثقافية.

د- المقاربة الانثروبولوجية (الثقافية):

وفي هذه المقاربة الأخيرة لا نبتعد كثيراً عما ذكرناه فيما سبق من المقاربات، لكننا وعلى الأرجح سنركز وبشكل مثير على المضمون الثقافي لهذه الظاهرة التي مازالت تمثل صلب المجتمع، ولأن لاشيء يشكل قوام المجتمعات إلا ما تحتويه من ثقافات وعادات وتقاليد وجملة الطقوس الجميلة منها والبديعة، لكنها باجتماعها تشكل بطاقة هوية مجتمع وتميزه عن البقية، ولأن لكل مجتمع لغته الخاصة ولهجاته المتعددة بتعدد الأجناس والأعراق، فإن له كذلك مبادئ وعقيدة يؤمن بها ويحرص عليها في كل الظروف، ومهما ظهرت التزايدات والصراعات في مجتمع معين، لكنه يظل تحت لواء هذه الثقافة المشتركة.

وعليه فإن دراسة الكتابات الجدارية من وجهة النظر الانثروبولوجية، لا يجب أن ينفصل عن كل هذه المعطيات، بل تتمناها بجذورها التاريخية المتأصلة فيها بتأصل تاريخ الجماعة في ذهن أفرادها، فالكتابات الجدارية ما هي إلا خلاصة طبعت عند كل فرد من المجتمع، وإن أجبرته ظروف معينة على إخراج ما يجول في ذهنه وفكره إلى الجدار معيراً أو رافضاً أو عدائياً، فإن المضمون والإرث الثقافي يبقى كما هو، بل يرسخ ويجسد بالبند العريض في كل رمز وفي كل حرف؛ هذا ولقد لعبت الاكتشافات الأثرية دوراً هاماً في معرفة طبيعة المجتمعات والقبائل التي كانت في عصور ماضية فقط عن طريق إرثهم الجداري الذي مازال حاضراً حتى الآن، حيث كانوا قد رسموا بل ونقشوا على الصخور سير حياتهم العادية وكذا تطلعاتهم وأمالهم، وإن كانت الكتابات الجدارية عريقة بهذا القدم، فإنها كذلك جديدة بجدة الحياة ودروها، فقد سارت الكتابات الجدارية في منحى العصرنة، وكل حقبة حلت كانت تبعا لبقية الظروف، والأمثلة كثيرة التي تبرز عصرنة الكتابات الجدارية ومواكبتها لتطورات ومتغيرات الوقت والأحداث، وسنأتي في نقاط لاحقة على ذكرها.

وفي نهاية هذا العرض لا بد من الإشارة إلى دور العلم، ورغم ما أولاه من اهتمام لهذه الظاهرة إلا أنه لم يوفها حقها في البحث والتنقيب، وعلى حد تعبير " بوشنل " فإننا لم نحللها التحليل الكافي، فمعظم ما قدم انصب على توثيقها وتصنيفها، ومثال ذلك محاولات " Kilroy " وغيره من المهتمين بالظاهرة في جمع العديد من الكتابات وتصنيفها وتقديمها للقراء دون محاولة دراسة أبعادها الحضارية

ودورها في الفكر الإنساني وكذا دور الفرد العام في صياغة المواقف والاتجاهات في مجتمعه، إلا استثناءات قليلة ممن تناولوها من منظور علمي بحت.

4-7/ الكتابات الجدارية في العالم⁽¹⁾:

في هذا الجزء سنتناول بروز الكتابات الجدارية في عدة نقاط من العالم التي تعد عواصم لها، لكن قبل الخوض فيها نلفت الانتباه إلى أن هذه الموجة التي اجتاحت هذه المناطق حديثة، أما عن محتواها فهناك خلط، فمنهم من يعتبرها مجرد كتابات تحمل المشاكل والمعاناة وتشكل طابع مسيء للمحيط أو عنيف ضده، ومنهم من يعتبرها موجة فنية متصاعدة في طريقها إلى التألق، لكننا سنأتي إلى هذا في جزء آخر يشمل تصنيفاتها، وعليه فإننا سنتطرق إلى عدة نقاط مهمة ساهمت وبشكل مثير في شيوع هذه الظاهرة وهي:

أولاً: في الولايات المتحدة الأمريكية: حيث أن الكتابات الجدارية تأخذ الطابع الفني بعد مرورها على الطابع الكتابي البسيط في شكل موجات من الانتفاضة والمظاهرات، ولأن الو.م.أ هي مزيج من الأعراق والأجناس وهي على رأس الدول التي شهدت مشاكل عرقية وعنصرية، فإن هذه الظاهرة وجدت فيها الأرض الخصبة لتتبلور وتشكل في طوابع جديدة، وسنتعرض بالذكر إلى نقطتين مهمتين في الو.م.أ وهما:

- **نيويورك:** هي عاصمة الكتابات الجدارية في العالم كما يجولوا للبعض أن يسميها، ويعود الظهور فيها إلى منتصف السبعينات، حيث بدأت مجموعات من شباب المدينة تستخدم الجدران للتعبير عن ذواتهم وإحاسيسهم النفسية وتفوقهم، فجسدوا ذلك في صور وكتابات هزلية ومثيرة للضحك، ولقد ارتبط ظهورها في نيويورك أولاً بالأنفاق والقطارات، حيث أن الكتابة عليها كانت بمثابة المغامرة، والجماعات التي تبنت هذا الإتجاه هم الشباب السود والإسبانيين الذين وجدوا في أوضاعهم المادية والاجتماعية منفذاً لهم لخلق وإبداع طرائق تفكير مختلفة عن إطار الثقافة العامة، وقد توصلوا عبر تطوير أدواتهم ورسومهم إلى إبداع اتجاه جديد في الكتابة الجدارية وذلك نحو الفن الجداري، لكن الشيء الأساسي الكامن خلف هذا التطور في نيويورك هو مدرسة "HIP- HOP" التي برزت في أوائل الثمانينات وهي التي كانت مسؤولة عن شعبية هذه الجداريات وتطورها، كما أسهمت وسائل الإعلام بشكل كبير في شيوعها، وكذا في بروز العديد من الثقافات والظواهر الأخرى مثل النمط الأمريكي الموسيقي " Rap Music " وكذا الرقص " Break dancing " وغيرها ممن تسمى كذلك بالثقافات الهامشية.

1/ المركز الفلسطيني للإعلام: المرجع السابق.

إن الكتابات الجدارية في مدينة نيويورك يقوم بها عدد أو شريحة من الأفراد الذين أبوا أن تذكر أسماءهم، بل وراحوا يضعون لأنفسهم أسماء مستعارة معظمها من طبيعة ثقافتهم الأصلية التي يتوقون إلى العيش في كنفها لكنهم يتواجدون في مجتمع رافض لهم، حيث يتميز بسيادة الأبيض على الأسود، فأُسست هذه الشرائح فرقا تعاونت فيما بينها لتكسي مدينة نيويورك بكتابتها الجدارية رغم اختلافها في العادات والمبادئ، لكنها تجتمع في أحلامها وتطلعاتها وكذا في رفضها لسلطة ذلك المجتمع.

وهكذا أصبحت مدينة نيويورك قبلة للزوار من كل أنحاء العالم لمشاهدة الجداريات الضخمة في كل نواحيها، حتى في الأنفاق والقطارات، وإن طرحت هذه الظاهرة الكثير من الإشكاليات حول علاقة المجتمع وموقفه باعتبارها خطرا على الذوق العام، كما أنها ساهمت في انتقالها إلى نقاط عديدة من العالم. وإن كانت الكتابات في نيويورك تعبر عن التمييز العنصري والمشاكل الاجتماعية والاقتصادية للأقليات والأجانب والطلبة، فإنها في شطر آخر تجسد أحلام الأمريكيين وتطلعاتهم المتفوقة التي عبرت عنها الكتابات الجدارية بأحسن صورة، حيث ظهرت مضامينه عبر استخدام تمثال الحرية وناطحات السحاب والجسور العملاقة والأنفاق والقطارات (ميترو) في الرسوم التصويرية، ثم انتقلت فيما بعد إلى مدن أخرى مثل: سيدني، لندن وشيكاغو...

أما بالنسبة لانتشار وكثرة الكتابات الجدارية في قطارات الو.م.أ، فيرجعها بعض الباحثين إلى الاستخدام المكثف لها أكثر من أي دولة أخرى، وكذلك بسبب صعوبة مكافحة وقمع هذه الظاهرة في تلك الأنفاق من طرف السلطات، نفس الأمر في ألمانيا حيث ترتبط فكرة الكتابات الجدارية بجدار برلين، وهذا بسبب موقعه الجغرافي وكذا التاريخي، وعليه فإننا نلمح اتجاهين اثنين في ظهور هذه الكتابات في نيويورك وهما:

أ- **الاتجاه الأول:** ويضم جملة الأشخاص المتمردون الذين سمو أنفسهم بالفنانين، هؤلاء لم يتخلوا عن المبادئ الأولى للكتابات الجدارية من حيث الأدوات المستعملة وطريقة وزمن إجرائها، لكنهم احتكوا ببقية الموجات الفنية الأخرى، ثم حاولوا تطوير هذه الظاهرة ليحسدوا منها فنا جداريا ضخما، وهم عادة ما يبرزون أعمالهم الفنية تخليدا للحلم الأمريكي.

ب- **الاتجاه الثاني:** وهي الفئة التي تمسكت بالمبادئ والأهداف المبدئية للكتابات الجدارية، تشكوا من خلالها مشاكلها وآلامها وتطالب بالعدالة الاجتماعية، كما تضم الفئات المحرومة والمغتربين والعمال والبطالين، وهم يبرزون ذلك في كتابات ورسومات بتقنيات بسيطة.

- **سوهو مركز آخر للكتابات الجدارية:** وهو حي يقع في "هيوستون"، وتعتبر الكتابة الجدارية فيه امتدادا لما في نيويورك، وإن كان هناك بعض الاختلاف، حيث ذكر "ديفيد روبنسون" في

بمجموعته عن كتابات سوهو: " أنها امتداد لأعمال حركة " HIP - HOP " في نيويورك مع مؤثرات جديدة "، غير أن القائمين بها مختلفين عنهم في نيويورك من حيث العنصر، ففي سوهو معظمهم ينتمون إلى المجتمع الأبيض الأمريكي، بينما في نيويورك معظمهم من السود، كما أن كتابات سوهو تتميز بالتغير لأن ما يمكن ملاحظته اليوم قد لا تجده غدا، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على وفرة الكتاب الذين يوقعون بأسمائهم الحقيقية على أعمالهم عكس نيويورك، وما نود قوله أن ظاهرة كتابات سوهو كغيرها من الظواهر المنتشرة في الو.م.أ، ما هي إلا امتداد لحركات الشباب الرفض والمقهور لمعطيات وتعايير مجتمعه وسلطته والرغبة في عيش أفضل و حياة أحسن.

ثانيا: في الدول الأوروبية: يذكر بعض الباحثين أن ظهور الكتابات الجدارية في بعض الدول الأوروبية، كان بسبب انتقالها من الو.م.أ وبالضبط من مدينة نيويورك، حيث انتشرت بعدها في عدة عواصم كإيطاليا وبريطانيا وفرنسا وحتى في موسكو، وقد بدأ الاهتمام الأوروبي بهذه الظاهرة عن الطريق السياح الذين كانوا يزورون نيويورك وشاهدوا عن كثب أعمال الشباب التي غطت جدران المدينة وألبستها حلة جديدة، وهكذا بدأ هؤلاء يتحدثون عنها، مما حفز ذوي الاهتمام بنقل هذه العادة وممارستها في دولهم، وكانت كل دولة تضيف معالمها وسماتها الخاصة بها على هذه الظاهرة، وسنحاول أن نجول عبر عدة نقاط ونبدأها بـ :

أ/ إيطاليا: كانت بداية هذه الظاهرة في المدن الإيطالية وعلى رأسها مدينة ميلانو التي احتلت الصدارة من حيث كثافة وانتشار الكتابات الجدارية، التي حولت جدرانها إلى خربشات وكتابات ورسومات، لتطورها فيما بعد إلى اتجاه فني شغل كل زوايا المدينة (ميلانو)، وشغل مواطنيها وزوارها في آن واحد، حيث قامت مجموعات من الشباب العاطلين عن العمل من هواة الشغب، الذين اتخذوا في منتصف الثمانينات من جدران المدينة لوحا مفتوحا يدونون عليه شعاراتهم وصرخاتهم، وهي وسيلة للإفصاح والتعبير عن رفضهم ومحاولة خروجهم من شرعية المجتمع وقوانينه السائدة، وهؤلاء الشباب يشكلون حسب الفنانة "جين غولدن" شللا أطلقت على نفسها إسم " عصابات الغرافيتي Graffiti Gang " اتخذت من الليل ستارا لتمارس فوضاها، وتسجل سخطها على الجدران ناشرة الرعب في كل مكان، مما أحال واجهات الأبنية ونواحي الطرقات إلى وثيقة سوداء في تاريخ فيلادلفيا، وهؤلاء الشباب المشاكسين على حد تعبير رئيس بلدية ميلانو ينتشرون في أحياء وشوارع المدن وأنفاق الميترو ومحطات الحافلات.

وأمام تفاقم هذه الظاهرة اتخذت السلطات الإيطالية عدة إجراءات للكف منها وإيقاف زحفها رغم أنها حققت في المسار الفني نجاحات ضخمة كادت توازي نجاحات نيويورك، حيث شكلت

معرضا خاصا لرسومات جدارية للعمارات والوجهات شغلت الكثير ممن أطلقوا على أنفسهم " رسامو السبراي "، وأخرى سميت نفسها بالعصافير الفنية. حيث أن هذه الحائطيات الإيطالية الجميلة التي تنتشر في الأحياء الشعبية، تقود أحيانا إلى أشكال فنية متشابهة حتى تبدو وكأنها لشخص واحد، وذلك لتشابه الأسلوب المحدد بالخطوط السوداء الخارجية الشكل، وكذلك لتشابه في استخدام الألوان القوية التي تشغل مساحات كبيرة، لكن المتمعن فيها والمطلع على تاريخ هذه المدن وثقافتها، يكتشف التطابق بين الأبعاد الفكرية الاجتماعية والإيديولوجية ومعاني تلك الرموز والرسومات، لكن انتشار هذه الظاهرة في إيطاليا شأنها شأن العديد من الدول الغربية (الأوروبية) التي ظهرت فيها بشكل متزامن، مع أن الإيطاليين يصرون ويؤكدون بأنها كانت منتشرة منذ بدايات هذا القرن في جزيرة " سردينيا " واتسعت منذ بدايات الحرب العالمية الثانية، ومنها انتشرت في عموم بلدان أوروبا كفرنسا وألمانيا وكذلك بريطانيا وحتى إلى موسكو، لكن إيطاليا سجلت وبشدة تواتر هذه الظاهرة على يد جماعات العصافير الفنية، والتي تكونت بعد ثورة الطلبة، حيث جعلت من جدران المدن تقصيا دقيقا ومتفتحا على المشاكل السياسية والاجتماعية والمطلبية ليسار الإيطالي.

لقد كانت هذه الجدران الإيطالية القديمة تحمل سمات مناضلة، لأنها منفلتة من الرقابة الرسمية لما تحمله من قدرات احتجاجية ورافضة، ولأن الأحياء الشعبية الفقيرة بأزقتها الضيقة وطراز بيوتها القديم عادة ما تكون بعيدة عن هذه الرقابة، لذلك فقد وجدت فيها تلك الجماعات مأمنا لها في طرح مشاكلها دون قمع أو ردع، بينما في الثمانينات وحتى الآن فهي تواجهها حملات ضخمة معارضة لهذا النمط - وسوف نرى ذلك في جزء آخر - الذي ترى فيه بلدية ميلانو خرقا للأعراف وتحطيما للتقاليد المرموقة التي تميزت بها وذلك لما تحتويه من معاني معارضة للسياسة معينة أو مناهضة لجهة ما، كما يرى مسؤولوا ميلانو أن هذه الكتابات إنما تشكل إهانة وتشويه للمدينة، وعلى العموم فقد حاولوا بجدية محاربتها.



تمثل هذه الصورة الاتجاه الفني للكتابات الجدارية في إيطاليا.

ب/ في فرنسا: هناك انتشرت الكتابات الجدارية بشكل متزامن مع إيطاليا وهولندا وغيرها، وقد ازدهرت من خلال الأقليات وأحياء الفقراء السود في المدن الفرنسية، وبشكل كبير في مدينة باريس

وبلدية " Seine Saint- Denis و Charle Ville - Mézières Recrute"⁽¹⁾، حيث انتشرت في مركزين مهمين هما: الحي الجامعي والأحياء السكنية التي يتواجد فيها العمال الأجانب، حيث يقول المهاجرون إذا أردت أن تتعرف على ما يجري في العالم من أحداث فعليك أن تترل إلى محطة الميترو المقابلة للحي الجامعي حيث يجتمع الطلبة الوافدين من مختلف أنحاء العالم، وستقرأ على الجدران مقالات عن مختلف الأحداث الحساسة التي تجري في العالم. كذلك الأمر بالنسبة للأحياء التي يتواجد فيها المهاجرون سواء كانوا عربا أو غير ذلك من مجموع الذين يعانون الشعور بالعنصرية فيختارون الجدران والكتابة عليها تعبيرا عن سخطهم لذلك التمييز العنصري، وإلى جانب هذا هناك تيار مضاد لهذه الشريحة حيث يرد عليهم بكتابات جدارية أخرى تمقتهم وتحتقرهم أكثر، ويرى الأستاذ: حسان تليلي في حديثه عن "المقال الجداري" ضمن نظرية الاتصالات: " أن الكتابات الجدارية في فرنسا تعكس آراء عدد من الشرائح و الأقليات التي لا يتسنى لها التعبير عنها عبر القنوات التقليدية كالصحف و التلفزة...، كما أن هناك قاسم مشترك في الأفكار والآراء لاسيما وأن بلدا كفرنسا يحوي العديد من الجنسيات الغريبة وحتى المتبناة والتي هي بشكل أو بآخر تعاني مرارة العنصرية، ظف إلى ذلك تصاعد الحركات القومية في فرنسا"، ولكن يجدر بنا ذكر ما أحدثته تجربة الطلاب الفرنسيين سنة 1966 التي كانت مؤشرا جديا في الثقافة الثورية، واستخدامها للكتابة على الجدران ساهم و بجزء كبير في انتشار هذه الظاهرة. لقد تميزت ظاهرة الكتابات الجدارية في فرنسا بطابعها الكتابي (الشفهي) وليس التصويري (الرسومات) كما في نيويورك وسوهو، وهذا بسبب التناقضات الضخمة التي يحتويها المجتمع الفرنسي، ورغم ذكرنا لبعض الأطراف الفعالة في هذه العملية إلا أنها تأسست بفضل شباب الأوساط الشعبية الذين يسكنون في أحياء أو سكنات جماعية وشعبية وهم الأفراد الذين أطلق عليهم تسمية "الشعبة المقموعة"⁽²⁾.

كما أن هذه الظاهرة تزامنت مع العديد من الظواهر الثقافية الأخرى ولا سيما " Hip-hop" و " Rap" و " Break dancing"، وهي كلها تعكس ما يسمى بالثقافة الحضرية بما فيها الكتابات الجدارية التي شكلت جدلا كبيرا على اعتبار أنها تظم عدة تيارات أهمها المعارض لها والذي يعتبرها عنفا أو جنحة وربما جريمة يعاقب عليها القانون، فهو يعتبر تلك الشريحة التي تمارسها إنما هي متمردة هدفها الأول هو تشويه قوائم الدولة ومبادئها وعاداتها العريقة، ولأن فرنسا كغيرها من الدول تسعى دوما لإبراز هذا الجانب الإنساني والتراثي، فقد عمدت السلطات الفرنسية وخاصة بلدية

1/ Alain Vulbeau : Les gravitis ou l'émergence de l'incisif, les inscriptions de la jeunesse, Paris, L'Harmattan, coll, débats, 2002.

2/ CF. parmi d'autres articles des même genres, les nouveaux procédés pour éliminer les graffitis, la gazette, 27/05/2002, pp. 53 - 54.

باريس كغيرها من الدول - التي تعاني من هذه الظاهرة المستفحلة - إلى التصدي لها عبر وضع عدة حلول وكان هذا في التسعينات. هذا عن الجانب أو التيار المعارض، لكن بالمقابل هناك تيار آخر يساند هذه الحركة ويدعمها بل ويعطيها الحق على اعتبارها طريقة للتعبير الذي لم تنله بطرق أخرى مشروعة، وعلى أساس أنها تجسد مشروعية التعبير حتى ولو كان عنفا، وهذا التيار السائد سعى في فرنسا كما في نظيراتها من الدول إلى التكتل وإنشاء جمعيات خاصة للدفاع عن حقوق هذه الشريحة وأولى حقوقها هي شرعية التعبير.

ج/ في بريطانيا: في التجربة البريطانية يختلف الإطار نوعا ما، إذ أن معظم الأدبيات المكتوبة ركزت على الطابع الكتابي، والتي انتشرت في مناطق كثيرة من مدنها وشوارعها ومحلاتها التجارية، وشغلت لوحات الإعلان ولافتات النوادي...، وقد غطت نواحي اجتماعية واقتصادية وسياسية، وتناولت في مجموعها التيارات الجديدة في المجتمع، كما ركزت على مشكل الجنس والحركات الأنثوية، وذهبت بعيدا في البحث عن الكتابات الجدارية في المدن البريطانية المختلفة وإيرلندا وتوثيقها وتصنيفها والبحث عن الجانب الجمالي والمضحك فيها، وتضمنت بعض الرسومات واللوحات الجدارية والإعلانية التي اعتاد عليها الشارع البريطاني، كما طرحت إشكاليات الدين والعلمانية بصور متعددة ومختلفة، حيث يجد فيها المهتم تعليقات وأفكار وحكم كثيرة حرص الشارع العام على كتابتها بصورة بيانية وتلاعب بالألفاظ، تدخلت فيها لهجات المدن التي نشأت فيها، وقد تميزت مدينة "ملبورن وسيدني" بنوع مشابه للكتابات والرسوم التصويرية التي طبعت أعمال لندن، وعليه فإن الكتابات الجدارية في بريطانيا تميزت بنفس الخصائص تقريبا كما في إيطاليا وفرنسا، وإن اهتمت بالكتابات والرموز عكس التصوير كما في إيطاليا واليوم.أ، وكذلك الأمر بالنسبة لمحتواها الذي تراوح ما بين المواضيع والأحداث السياسية إلى المشاكل الاجتماعية والعرقية.

في موسكو (روسيا): لقد كانت البداية الحقيقية لانتشار الكتابات الجدارية في موسكو بفضل العصابات التي اخترعت أساليبها ورموزها بدأت أولا على السيارات التي تلونت وتشكلت الأطر الخارجية لها بعبارات كثيرة باللغات الروسية والإنجليزية تحديدا. وبالعودة إلى تاريخ الكتابات الروسية نجد الباحث "جون بوشنل" John Bushnell " أحد المهتمين بكتابة التطورات الاجتماعية السوفياتية، وقد أتاحت له فرصة أبحاثه التي أجراها على الكتابات في موسكو تقديم رؤية ودراسة نوعية في هذا الاتجاه، وهذه الأخيرة ابتعدت عن الجانب الجمعي وركزت على تحليل وربط الكتابة في موسكو بمشاكلها في التجربة العالمية، حيث ربط ذلك بتاريخ الشعوب السوفياتية، مدعما إياها بالمكتشفات الأثرية التي وجدت في مغاور " كييف " والمعابد والبيوت القديمة، وفي مجمل دراسته فإن " بوشنل "

ركز بالبحث عن دوافع وأسباب هذه الظاهرة وعن مصادرها الثقافية التي نشأت في كنفها، وراح بالبحث حتى إلى جذور الثقافة الشعبية الغربية، موظفا في ذلك الفلكلور الثقافي من موسيقى وطقوس...، كما حاول في بحثه هذا إيجاد العلاقة ما بين المدينة والكتابة الجدارية ليؤكد أن الارتباط حاصل بينهما بصورة واسعة وعميقة، وإن كان هذا لا ينفي أبدا تطابق الإنتاج الكتابي السوفياتي مع غيره.

إن الكتابات الجدارية الروسية أو السوفياتية في مجملها حملت معها نفس المنحنى الفني الذي أخذته بعض الدول الأوروبية، وبالعودة إلى أهم الدوافع التي ساهمت في ازدهارها ظروف القمع الشيوعي للفكر، وكذا مدى الحرية التي منحتها الثقافة الرسمية لحزب الشعب للتعبير والتنفيس في أجواء خاصة بعيدة عن الأطر والمنظومات الإيديولوجية التي أوجدها النظام كقنوات لتكريس ثقافة ليست بالضرورة تمثل ثقافة الشعب.

وككل دول العالم فإن الكتابات الجدارية في موسكو، ما هي إلا نتاجات الشباب المعدومين والجيل الجديد الذي يبحث عن قنوات للتعبير، وإن اعتبرت الكتابات الجدارية خارجة عن القانون ومخلة بقيم وتقاليد المجتمع، فإن هؤلاء الشباب شكلوا عصابات سميت نفسها بأسماء كثيرة مثل: "Fanaty" و"Metalist" التي يلبس أفرادها الحديد ويحملون الخناجر، وكذا فرق "الروك آند رول" وغيرها من الأسماء، وكانت تلك الجماعات تنقل عن بعضها البعض التعبيرات والرموز والتشفيقات وغير ذلك من أدوات التعبير اللغوي الخاصة بها.

لقد لعبت الظروف السياسية والاجتماعية في المجتمع الروسي دورا هاما في بروز الكتابات الجدارية، ولا سيما التي أخذت طريقها في أواخر الثمانينات لتؤدي إلى انهيار عالم كان يعرف بالاتحاد السوفياتي، بالإضافة إلى كل تلك التطورات الاجتماعية ونشوء المجتمعات الجديدة حول المدن بسبب الهجرة، ساهم كل ذلك في نشوء الظاهرة وتفاقمها.

وعليه من خلال عرضنا لهذه التجربة في الو.م.أ، وفي الدول الأوروبية، ورغم إشارتنا السريعة إلى هذه التجارب الثرية والفعالة، إلا أن هناك العديد ممن شبهها بتجربة ألمانيا المسيطر عليها طابع جدار برلين كما هو طابع الميترو والقطارات في الكتابات الجدارية في نيويورك...، وكذا تجربة بلغاريا والتشيك وغيرها وكل كتابة في هذه الدول إنما لها طابعها الخاص بالنمط الجغرافي والحضاري والثقافي وحتى السياسي، وإن كانت كلها تتشابه وتترام مع بعضها.

ورغم إشارتنا المتواضعة إلى جذور هذه الظاهرة عبر عدة نقاط من العالم، فإن ما يمكننا استخلاصه أن الكتابات الجدارية إنما هي تراث إنساني قديم قدم البشرية ومستجد بجدة الحياة

العصرية، وإن كنا قد تطرقنا بالحديث عن الو.م.أ، أو عن إيطاليا وفرنسا وحتى هولندا وكذا روسيا، فإن هذه الكتابات في العالم العربي مهمشة جدا بسبب قلة الدراسة فيها أو لغيابها أصلا، ولكن ما يجمع عليه بعض الباحثين أن الكتابات الجدارية في الدول العربية هي الآن في أولى خطواتها البسيطة، حيث تضم عبارات ومفردات متناثرة وبعض التعبيرات البسيطة، كما أن الجانب التصويري بسيط جدا، إضافة إلى الاستخدام البسيط للتقنيات المتوفرة في هذه المجتمعات، ولعل أبرز التجارب هي المتزامنة مع ما وجدناه في الانترنت من تجربة لبنان وفلسطين، حيث برزت وبدأت في الانتشار في عام 1987 وإن كانتا متشابهتين في الطابع السياسي والثوري ضد الاحتلال الإسرائيلي، حيث يرد الباحث "خليل أحمد خليل" في دراسة له حول الكتابات الجدارية، أنها بدأت بعد أحداث 75 و76 في لبنان لكننا لم نتمكن من جمع معلومات أوفر عنها.

وخلاصة القول أن قلة البحوث في الكتابات الجدارية في الدول العربية، هي الحافز المهم الذي شجعنا على إجراء هذه الدراسة رغم قلة الموارد النظرية فيها.

4-8/ الكتابات الجدارية فن أو عنف؟ :

تعد الكتابات الجدارية ظاهرة اجتماعية، إنسانية نشأت في المجتمع وتعود إليه، فهي بسيطة ببساطة السكان البدائيين حينما كانوا يحفرون على جدران المغارات والكهوف ليركوا آثارا تدل على تواجدهم يوما بتلك البلاد، ولأن التاريخ لا يهضم حق فاعليه فإن تلك الشواهد لا زالت لحد اليوم قائمة بل وشاخخة، لكن تطورات العصر تفرض التغيير في كل طبعه، فكذلك الأمر بالنسبة للكتابات الجدارية حيث لازمتها تلك التغيرات وتحولت إلى المدن وبالضبط إلى ضواحيها، أين يكثُر عدد السكان وتكثُر معهم المشاكل والبطالة والفقر، وتنتشر معه المخدرات والكحول، لتصبح الكتابات الجدارية وسيلة للتعبير في خضم السياسات القاهرة، فكانت بأدواتها البسيطة وسيلة للتنفيس والتعبير.

إن الشباب الذين يمارسونها بسطاء ببساطة الطبقات الشعبية، وهم في معظمهم معدومين (لم يتلقوا أي جانب فني)، لكنهم أنجزوا أشياء سمحت في كثير من الأحيان من تغيير الوضعيات، ولعل الكتابات التي شهدتها إيطاليا خير دليل على ذلك وبالضبط في مدينة فيلادلفيا سنة 1984، حينما تعدت الكتابات الجدارية حدود المعقول وراحت تجهز على كل شيء جميل في المدينة، حيث تحول وجهها إلى أشكال ورسومات تثير الرعب والإساءة في شعور المواطنين، فقام عمدة هذه المدينة "ويلسن غوود" بتأسيس شبكة مكافحة أعمال الغرافيتي، واستدعى الفنانة التشكيلية "جين غولدن" من ولاية كاليفورنيا، لإدارة هذه الشبكة في محاولة لإنقاذ هذه المدينة من خطر الغرافيتي الذي بات يهدد أمن سكانها؛ وفي هذه الحالة إنما نلمح مدى العنف المحسد لهذه الظاهرة، وهو رمزي ترسله تلك

الكتابات والرسوم إلى أعين كل أفراد المجتمع دون تمييز وربما للسلطات على وجه الخصوص، فما كان من عمدة المدينة إلا محاربتها ومكافحتها، ومن أجل هذا الهدف شكلت مؤسسة اجتماعية برنامجها هو فن الجداريات وترأسته تلك الفنانة برعاية دائرة الترفيه في مدينة بنسلفانيا، وأوكلت المهمة لها من أجل إنقاذ سمعة المدينة وما تحويه من مقومات ثقافية وجمالية، وهذه المهمة تختصرها في محاولة إعادة تأهيل هؤلاء الشباب وترويضهم وجعلهم ينخرطون في حركة جماعية تهدف إلى صهر أفكارهم الناقمة والسلبية وتحويلها إلى فعل جماعي إنمائي خلاق، من خلال تحويل الخربشات الحائطية إلى لوحات فنية جمالية وتزيينية معبرة، ولأن هذه المهمة صعبة بسبب هؤلاء الأفراد فإن "جين غولدن" تقول: "في البدء كان الأمر يبدو نكتة بالنسبة لسكان فيلادلفيا وكان غير مشجع على الإطلاق، حيث كيف يمكن استقطاب هؤلاء الشباب المتمردين وترويض أفكارهم المتطرفة ومن ثمة توظيفها في خدمة القضايا العامة؟..."، لكن "غولدن" سرعان ما بدأت مشوارها الصعب انطلاقاً من الحديث مع هؤلاء الشباب وتعريفهم بمدى فوضوية ما يقومون به، بالإضافة إلى الاستنكار المجتمعي لهم ولعملهم وتحويل ذلك إلى نشاط مستحب ومقبول مع احتفاظهم بهدفهم المنشود، خصوصاً وأنهم يعانون من التمييز العنصري والاضطهاد الطبقي، وبصعوبة حققت "جين" ذلك وأصبح هؤلاء يستقطبون رفاقهم من كل مكان لمتابعة الندوات وحلقات البحث والتدريب التي كانت تنتظم في المركز للتعريف بتاريخ الرسوم الجدارية وأدائها ودورها التاريخي والمتجدد في خدمة المجتمع وبت الأفكار عن طريق المنظور الجمالي، وهكذا ولدت فكرة هذا البرنامج في سنة 1984 وتحولت تلك العصابات إلى مبدعين في اللون والرسم، وانطلقوا في نشر أفكارهم وتطلعاتهم نحو العدالة الاجتماعية، وليس نحو اللغة الساخطة والفوضى بل في لوحات فنية عملاقة.

ومنذ ذلك الوقت قام هذا البرنامج بتأسيس حوالي 2100 لوحة جدارية يقوم بها كل أبناء المدينة، بل وأصبحت حافزاً لتأسيس الحوار الجاد بين أبناء المجتمع الواحد بعيداً عن العنصرية والطبقية، هذا المثال بالنسبة لمدينة فيلادلفيا، ورأينا كيف كانت الكتابات الجدارية عنف ضد المجتمع بأكمله، وكيف تحولت إلى فن مقبول وموافق عليه.

أما بالنسبة لبقية دول العالم فهي تتراوح ما بين الاعتراف بها كفن، ورفضها كمنط للعنف، وفي مدينة "أطلنطا" عاصمة جورجيا فإن الكتابات الجدارية تفاقم حجمها وصارت تملأ كل جدرانها وضاق بها سكانها ذرعاً، مما دعا مجلس المدينة إلى تطبيق غرامات مالية وعقوبات بالسجن قد تصل إلى 6 أشهر وراء القضبان يقضيها كل من يتساهل من أصحاب العقارات في إباحة هذه الكتابات على جدران أبنيتهم.

أما في مدينة ميلانو الإيطالية⁽¹⁾، فقد قدّم أحد أعضاء المجلس البلدي اقتراحاً تمت الموافقة عليه بالإجماع، ويقضي بالبدء بمحاربة هذه الظاهرة، حيث تم تخصيص ميزانية خاصة لهذا الغرض، وذلك من خلال إعفاء من يقوم بتنظيف الجدران من الضرائب، كما استحدثت البلدية هاتفاً مجانياً للتبليغ عن (رسامي الجدران)، وقامت الشركة المختصة بالتنظيفات باستخدام مستحضرات خاصة شفافة يتم من خلالها طلاء جدران المدن، بحيث لا تلتصق وترسخ على سطوح الجدران أصباغ من أي نوع كانت.

وكذا مدينة باريس⁽²⁾، فقد وضعت مجموعة من المتطوعين لشركات التنظيف بغية إزالة وتنظيف الجدران من تلك الكتابات، وكان هذا في 15 أكتوبر 1999، وهؤلاء المتطوعين ينتمون إلى 3 مؤسسات تنظيفية توزعت عبر المدينة لأجل هذا الغرض، وقد كلفتها مبالغ مالية ضخمة جداً، رغم أن هذه الخدمة قدمت مجاناً للسلطات، إلا أنها لم تنه هذه الظاهرة، حيث عمدت السلطات المحلية إلى محاولة إيجاد حل آخر يتمثل في خلق مساحات للكتابة الجدارية بوضع أو بالأحرى حجز جدران رسمية خصيصاً لهؤلاء الشباب لممارسة كتاباتهم، مع تحديد الوقت وتوفير الإنارة العمومية والأمن، بالإضافة إلى هذا وضعت استراتيجية وقائية تمثلت في التعديل في أسعار المضخات الخاصة بالطلاء أو الدهن.

أما في بقية الدول الأوروبية⁽³⁾ فإن السلطات اتخذت عدة إجراءات لمحاربة هذه الظاهرة والسيطرة عليها والكبح من جماحها ووضعها في إطار الكتابة الرسمية الثقافية أو القضاء عليها، وقد صرفت مبالغ مالية خيالية من طرف المنظمات والهيئات الحكومية على الجماعات القائمة بهذه الكتابات بغية الكف عنها أو الحد من انتشارها، وفي هذه المساعي نلمح العنف الذي تكتسيه الكتابات الجدارية وأثرها السلبي على الذوق والأمن العامين.

أما في نيويورك فقد شكلت السلطات المحلية فرقا لمسح وتنظيف الشوارع والأنفاق من هذه الرسومات، حيث أنفقت أموالاً كثيرة عليها، لكن ذلك لم يمنع من ممارسة مثل هذه النشاطات، وهكذا لجأت السلطات المحلية مرة أخرى للعفو عن القائمين بها، فانقسم الشارع إلى صنفين: منهم من اتخذ طابعاً فني كما في الدول الأخرى، ومنهم من ظل يشوه الإطار الاجتماعي والجمالي للمدينة.

1/ <http://www.albayan.co.ae/albayan/culture/2000/issue33/thaskeel/2.htm>

2/ David Manise : Animale étrange et sauvage, Internet.

3/ <http://www.palestine-info.infi/arabic/books/shearat/shear4.htm>

وفي بريطانيا فقد خلقت السلطات أجواء جيدة لمثل هؤلاء، حيث خصصت لهم أماكن للقيام بأعمالهم وأقامت لهم مشاغل زودتها بكل الأدوات، ومع ذلك لم تقض على الظاهرة وإن أضفت عليها بعض الصفات الرسمية، فالشوارع والمحلات العامة مليئة بهذه الكتابات والرسوم، كما أن بعض الأكاديميات قدمت مواد ومتطلبات بيدي فيها الطلاب كيفية إزالة هذه الكتابات من الشوارع، ومن جهة أخرى فقد نشأت عدة جمعيات مؤيدة لهذه الظاهرة وللقائمين بها مثلما ذكرت "Jell Posner" في كتابها "SPRAY IF LOUD" سنة 1982. عن جمعية في استراليا للدفاع عن فناني الجرافيتي بسبب الحكم القانوني " جريمة بتهمة تدمير الممتلكات العامة"، التي تمارس ضد الأفراد الذين يقبض عليهم متلبسين بالقيام بهذه الكتابات وهذا في القانون الاسترالي، وكذا الأمر في روسيا. وهكذا فإن كل هذه النماذج المهمة إنما هي دليل على أن الكتابات الجدارية ظاهرة منفصلة من الرقابة الرسمية، وأنها مطاردة تحت أي ظرف، وإن كانت بعض الدول تبنت الاتجاهات الفنية للجرافيتي، فإن الكثير منها يعتبرونها عنفا وتدميرا للقيم الجمالية والعمرائية يهدد أمن السكان ويخلق القطيعة بين أفراد المجتمع الواحد، وهو أيضا أسلوب عصيان وتمرد الحكومات والأنظمة.

وبين هذا وذاك يمكننا القول أن الكتابات الجدارية في الدول العربية لا زالت في خطواتها الأولى ولم ترتق إلى الفن الجداري، بل وإن البيئة والثقافة العربية بما تحويه من قيم وعادات جد محافظة على عكس الدول الغربية، التي هي أكثر عرضة لعنف هذه الظاهرة المهذدة لكيانها وعقيدتها. وفي مجمل دراستنا لهذه الظاهرة فإن الكتابات الجدارية في لبنان أو الجزائر أو السعودية، إنما هي مؤشر على تفرقات في البناء الاجتماعي والثقافي، ودليل على تواجد طائفي وسياسي يحاول جاهدا تفكيك الأمة وإضعاف ترابطها ببعضها.

4-9/ الكتابات الجدارية في الجزائر:

تشهد الجزائر حاليا على غرار بقية الدول العربية موجة الكتابات الجدارية التي راحت تعم أحيائها وبالأحرى تملأ جدرانها، ولكنها تبدو وبشكل كبير في العاصمة وضواحيها، وكذا بقية المدن الكبرى: كوهان وقسنطينة، عنابة، سطيف، تيزي وزو وغيرها من الولايات، حيث الكثافة السكانية مرتفعة وجملة العوامل الاقتصادية والسياسية متفاقمة. وهي في الجزائر شأنها شأن بقية دول العالم، تنتشر في أزقة الأحياء الفقيرة والشعبية منها على وجه الخصوص، ولكي نحاول الإلمام أكثر فإننا في عجلة سنذكرها خلال مراحلها الزمنية.

4-10/ الكتابة الجدارية ما بين الماضي والحاضر في الجزائر:

إن الكتابات الجدارية في الجزائر بغض النظر عن عصور ما قبل التاريخ، فإنها ارتبطت وبشكل مباشر بجملة الأحداث والظروف التي كانت سائدة، ولكن بدايتها ظهرت خلال فترة الاستعمار وإن اتخذت في ذلك الوقت طابع رياضي تبعا للتنافس الذي كان بين الأندية الرياضية، والذي امتد إلى تنافس بين الأنصار في الشوارع والأحياء، حيث يخلد كل طرف النتائج التي حققها فريقه خاصة مع بروز الأندية المسلمة " Les Clubs Musulmane " بداية بنادي مولودية الجزائر الذي تأسس ليلة المولد النبوي الشريف عام 1921 حيث اشتق اسمه من تلك الليلة، وكان يدعمه عرب وبربر العاصمة، الذين دونوا على الجدران نتائجه الساحقة التي قهر بها الأندية الأوروبية، وكانت تلك الكتابات تذكيرا لخصومهم بتفوقهم، وقد فسر المؤرخون ذلك التصرف على أنه فعل وطني كان يعبر عن التمييز والاعتزاز بالذات وبالقدرة على قهر من استعمر البلاد لمدة عقود وحكمها بالحديد والنار وأذل أهلها وسلب خيراتها، كما كانت أسماء الملاكمين الجزائريين الذين تفوقوا على الأوروبيين تملأ الجدران والأماكن العمومية لتذكير الأوروبيين بهزائمهم، وحين بدأت الأحزاب الوطنية الجزائرية تشارك في الانتخابات البرلمانية المحلية التي كانت تنظمها سلطات الاحتلال، غدت الكتابة على الجدران وسيلة تعبئة شعبية إما في المشاركة في العملية الانتخابية أو لمقاطعتها، وهذا يعني أن الكتابات الجدارية كانت ملازمة للأحداث السياسية آنذاك، حيث كانت أول من أخرج الجزائريين باندلاع الثورة المسلحة بعد تزوير الإدارة الاستعمارية نتائج الانتخابات العامة التي جرت عام 1947 وفازت بها الأحزاب الوطنية على الأحزاب الفرنسية، وبعدها برزت كتابات مجهولة المصدر تشير إلى عدم جدوى العمل السياسي وحتمية تغيير التعامل مع الفرنسيين "، وأن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة ".

وترامنا مع اندلاع الثورة في الفاتح من نوفمبر 1954 انتشرت الكتابات في كل المدن التي أخذت طابعا تعبيريا عنها، وكذلك طابعا إعلاميا عن انطلاقها، فظهرت هذه الكتابات في عبارات عديدة منها " اسم جبهة التحرير الوطني" وكذلك " الجزائر مسلمة " كرد فعل على عبارة " الجزائر فرنسية ". وتتطور الثورة التحريرية وحجب جميع الصحف التي كانت تصدر بأقلام جزائرية، تحولت جدران المدن إلى مساحات إعلامية يكتبها أطفال صغار حملوا قضية كبيرة وأرهبوا الإدارة الفرنسية بتصرفهم هذا وبعنادهم، فخصصت فرق كاملة لملاحقتهم ومحو ما يكتبونه يوميا، كما خصصت جوائز لمن يلقي القبض عليهم وسجنت عددا كبيرا من الأطفال لمجرد الاشتباه بهم واكتشاف لون الطلاء على أيديهم بتهمة الانتماء إلى " كتاب الجدران"، حيث كانت وقتها جنحة يعاقب عليها القانون الفرنسي بالسجن، لكن هذه المكافحة ليست بدافع الحفاظ على رونق المدن والطرز المعماري

كما رأينا ذلك في الدول الغربية حاليا، وإنما بتهمة تأليب الناس على الحكم والإخلال بالنظام العام، واعتبارها محرزا ومشجعا للثوار على الاستمرار في ثورتهم، وفي هذه النقطة إنما نلمح الجانب أو الطابع الثوري والسياسي الذي لعبته الكتابات الجدارية وبشكل إيجابي لصالح الدولة وحرية الوطن، وهو الشيء الذي نلمحه حاليا في فلسطين والعراق وأفغانستان. وتزامنا مع الكتابات الجدارية للثوار فإن الفرنسيين أصبحوا بدورهم يكتبون مواقفهم المعارضة لسياسة الجنرال " شارل ديغول " حيال الجزائر، والتي كانت تتجه نحو التفاوض مع الثوار؛ فانتشرت الكتابات الجدارية المعارضة للمفاوضات ولاستفتاء تقرير المصير، ثم برزت كتابات بعبارات: " نعم " و"لا" على الجدران كإعلام للمواطنين الذين كان معظمهم أميون، فجاءت لتسهيل عملية الانتخاب باختيار كلمة "نعم" للتصويت على استفتاء تقرير المصير.

وهكذا لعبت الكتابات الجدارية دورا مهما في حركية الثورة التحريرية، حتى قادها الشعب المغوار إلى الحرية والنصر على المستعمر الفرنسي، وكانت هذه لمحة عنها خلال فترة الاستعمار. أما بعد الاستقلال، وبانتهاء الحرب التحريرية انتهت الكتابات الجدارية في المدن الجزائرية، لأنها كانت تخدم الثورة فقط ولم يعد لها حاجة بعد الاستقلال فتلاشت ولم يبق منها إلا الشيء القليل، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الكتابات الجدارية ليست واحدة من طقوس وعادات الشعب الجزائري، فغابت الكتابات قدرا من الزمن ثم عاودت البروز من جديد، وتلك حقبة أخرى من تاريخ الجزائر هي فترة عاشت فيها جملة من الاضطرابات في أواخر الثمانينات ما بين التيارات والأحزاب السياسية المعارضة لبعضها البعض، فكانت مجسدة لهذا التضارب حيث حملت عبارات سياسية، وبعد أحداث العنف التي وقعت في أكتوبر 1988 التي عمت كل مناطق القطر ضد سياسة النظام القائم مما أفضى إلى تغيير الدستور وإعلان التعددية السياسية وإطلاق حرية الصحافة، برزت الكتابات الجدارية من جديد بعبارات مطالبة برحيل رجال السلطة الحاكمة آنذاك، وكانت تحمل دلالات علمانية وإسلامية وتؤكد في مجملها على فساد النظام السابق وعدم أهليته لقيادة البلاد، وبعد أول انتخابات محلية في البلاد في 12 جويلية 1990 والتي أسفرت عن الفوز الساحق لجهة الإنقاذ الإسلامية، عبر أتباعها عن فرحتهم بعبارات مثل: " بلدية إسلامية" التي كتبت عشرات المرات في البلديات التي أعطتهم أغلبية الأصوات. وبعد اعتقال قيادة جبهة الإنقاذ في جويلية 1991 والتي كانت تمثل أكبر القوى السياسية، ظهرت الكتابات الجدارية بشكل عنيف في معظم المدن تطالب بالإفراج عنهم، وإن كانت تبدو في معظمها منظمة، حيث تكررت العبارات نفسها في معظم المدن مثل: " إما الانفراج أو الانفجار"، وهو تهديد باستخدام العنف في حالة عدم إذعان السلطة للضغوط وإفراجها عن القيادة

المحبوسة، كما ظهرت عبارات التشجيع مثل: " ياعلي يعباس الجبهة دائما لا باس" في إشارة إلى علي بلحاج وعباسي مدني أكبر قيادي الإنقاذ نفوذا وشعبية، كما ظهرت رموز للحزب نفسه باللغة الأجنبية في كل مكان " Fis"، وفي شتاء العام نفسه ومعارضة لحزب الإنقاذ برزت كتابات جدارية أخرى مطالبة بتطبيق النظام العسكري الذي كان في ذلك الوقت بقيادة رئيس الجمهورية " الشاذلي بن جديد" لردع هذا الحزب وإيقاف نشاطه، ومن بينها كتابة: " لا لإيران ثانية في الجزائر" وكذلك: " أوقفوا زحف الفاشية"، و" أنقذوا الديمقراطية".

وقبل شهر من يوم الاقتراع صرح الرئيس بأنه على استعداد لاستنساخ التجربة الفرنسية - الرئيس فرونسوا ميتيران يساري والبرلمان والحكومة يمينيان -، وهذا فقط لطمأنة أنصار جبهة الإنقاذ الخائفين من أن تكون نتيجة الانتخابات نقمة عليهم، فرد عليه الشارع بالكتابات الجدارية التي وصفته بالجاهل الذي يلعب بالنار، ثم بعدها برزت العديد من الكتابات المتزامنة مع موجة الإرهاب التي لم تسلم منها أي مدينة من المدن الجزائرية، وظهرت عبارة مدونة بالخط العريض " أنقذوا الجزائر"، ورغم حظر التجول المفروض إلا أنه كانت هناك مجموعات من الشباب تخرج ليلا وتكتب عبارات التهديد والوعيد التي تندد برئاسة اليمين زروال للبلاد وتنظيمه للانتخابات الرئاسية في 1995 فكتب هؤلاء " يا زروال يا طاغوت ستموت ستموت" وغيرها. وفي هذه الفترة التي ارتفعت فيها موجة الإرهاب حيث بلغ نشاطها ذروته من تقتيل وذبح للمواطنين الحد الذي يكفي للتعبير عن حقدهم، وراحت المجموعات الإرهابية تتفنن في التنكيل بالضحايا وجثثهم من قطع الرؤوس وتعليقها على مداخل المدن بغية زرع الرعب والهلع في نفوس المواطنين، وضمن حملة التمثيلات التي عاشها المواطن الجزائري ما حدث في حوش جرو بمنطقة بوفاريك، حيث هاجمت مجموعة إرهابية أكواخ فقيرة فذبحت حوالي 13 شخص دفعة واحدة معظمهم من الأطفال والنساء، ووقعت جريمتها بدم الضحايا على الجدار، فكتبت إسم " الجماعة الإسلامية المسلحة السنوية السلفية الموحدة"، وكانت المرة



صورة رقم: 04

الأولى التي تظهر فيها الكتابة الجدارية بالدم البشري، وهي نقلة غير مسبوقه ثم أصبحت فيما بعد أمرا عاديا.

كما عرفت الجزائر موجة من المشادات وأحداث الشعب المدنية مثلما حدث عام 2001 في مواجهات بين قوات الدرك الوطني

لمنطقة القبائل وبين السكان، وبالضبط في بلدية " بني دواله" حيث قتل شاب برصاص جندي وكانت إصابته بليغة فتعذر نقله لشدة المواجهات وقبل لفظ أنفاسه، كتب في المكان الذي سقط فيه بدمه على

الجدار عبارة: " Vive La Liberté " تحيا الحرية " ، وكانت هذه الواقعة التي اهتز لها الشارع الجزائري مرة ثانية، حيث برزت الكتابات الجدارية بهذا النمط بعد عشرية الإرهاب.

لقد حاولنا فيما سبق أن نستعرض أهم النقاط التي برزت فيها الكتابات الجدارية، مع ذكر ظروفها التي أدت إلى ظهورها، وإن كانت العشرية الدموية التي عاشتها الجزائر أكثر تميزا عن مثيلاتها في الدول الأخرى.

وما يمكننا استخلاصه أن الكتابات الجدارية في الجزائر، إنما ظهرت خلال فترة الاحتلال فجاءت كأداة للتعبير والتوعية وطلب الوحدة لأجل الحرية والنضال، ثم غابت بعد ذلك نهائيا ولم يعد لها أثر، لكن وبمجرد الانقلابات السياسية والأحداث العنيفة التي عرفتها الجزائر، رجعت وبشكل عنيف جدا وحملت في سماتها أبعاد العنف والمأساة التي عاشها الشارع فكثبت بدم ضحايا الإرهاب، ثم بعد الهدوء النسبي عادت بسبب أحداث الشعب والمواجهات القبلية التي عاشتها البلاد، وخصوصا في المناطق القبائلية (أحداث العروش).

وبين هذه وتلك فإن الكتابات الجدارية حملت عدة أبعاد سياسية واجتماعية وحتى ثقافية، كما برزت بمعاني أخرى للتعبير عن أحلام الشباب ومشاكلهم التي تميز حياتهم، فاختلقت مواضيع الكتابات من أحلام الهجرة إلى الخارج، إلى معاناة من البطالة والفقر، إلى المشاكل الاجتماعية كالطلاق والتفكك الأسري، وغيرها من العوامل التي تدفع بهؤلاء الشباب إلى تجسيد تطلعاتهم وشكاويهم في كتابات مختلفة اللون والأداء، حيث جسدت معاناتهم كما في الصورة رقم 05 التي



تعبّر عن القمع والطلاق في آن واحد، وكذلك عبارات الحب المنتشرة

في كل مكان، كأنهم يريدون الخروج من الدوائر الخفية إلى العلنية

مجسدة في رسومات لقلب يخترقه سهم كما في الصورة رقم (06)

أو عبارات باللغة الأجنبية مجسدة برسومات كما في الصورة رقم (07)

تعبّر في مجملها عن أنماط سلوكية عنيفة.

إضافة إلى مواضيع أخرى تحمل معاني الهجرة وطلب العمل، كالعبارة التي

وجدت على جدار لبنانية في طور الإنجاز ببلدية جسر قسنطينة في ضواحي

العاصمة " اذهبوا إلى بريطانيا فإن بها ملكة لا يظلم عندها أحد"،

ويبدو أن من كتبوها تأثروا بوصية الرسول صلى الله عليه وسلم



لأصحابه بأن: " اذهبوا إلى الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد "، وأصبحت بريطانيا في السنوات الأخيرة قلة لأعداد متزايدة من الشباب الجزائريين لسهولة إجراءات الإقامة وتوفر فرص العمل بها. وفي بلدية الثنية شرق العاصمة توجد كتابات بالخط الكبير بالعربية والفرنسية والانجليزية تشيد بلندن منها عبارة: " لندن جنة فوق الأرض "، و " في لندن تتلقى أجرك قبل أن يجف عرقك "، وأيضا " لندن بلد الحرية " وغيرها من العبارات المغربية التي صورت سهولة الحياة والرغبة في بلد الضباب بريطانيا، والصور التي سنراها تبرز جملة المواضيع المختلفة التي تناولتها الكتابات الجدارية، لكننا لسنا بصدد فرز محتواها ورموزها، وإنما بشكل آخر أوردنا المواضيع التي عبرت عنها هذه الكتابات.

الخلاصة

لقد أصبحت الكتابات الجدارية في الجزائر في الوقت الحالي متداولة ومنتشرة شأنها شأن بقية الدول العربية، - بينما أخذت عند الدول الغربية منحنيات فنية - حيث تشهد هذه الكتابات أولى بداياتها، وهي تنتشر بشكل مثير في كل المرافق العمومية وفي المراحض العامة، وعلى أسوار وجدران المؤسسات التعليمية والمهنية وحتى التكوينية، وهي بشكل مترامن في معظم ولايات الوطن من العاصمة إلى سطيف وقسنطينة محل دراستنا إلى ووهران وعنابة وحتى بعض الولايات الجنوبية، ولكننا لسنا بهذا الصدد لإحصاء عددها أو مواضيعها، بقدر ما نحن بصدد البحث عن جملة التصورات الاجتماعية حولها كظاهرة. لذلك فقد اعتمدنا في هذا الجانب النظري إلى إبراز الجزء الأول الخاص بالتصورات الاجتماعية، مروراً بالجزء الثاني الخاص بالعنف الرمزي، وكيف أن الكتابات الجدارية هي عنف ضد مرافق الدولة والمواطنين على حد سواء، ولأننا حاولنا بقدر الإمكان الإلمام بهذا الموضوع الجد متشعب، فإننا لا نخلو من الأخطاء، غير أننا سنحاول في الجزء الثاني " التطبيقي " إبراز همزة الوصل ما بين الفصول الثلاثة مستعينين بجملة الصور السابق ذكرها، وهذا فقط لنبرز هدف هذه الدراسة وأهمية بحثنا.

الفصل الثالث